

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى عَلَى نَبِيِّكُمْ وَأَكْبَرَهُ



وَأَقْرَبَهُ
وَأَكْبَرَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسيني عاملی

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٣	الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم المجلد ٩
١٣	اشاره
١٤	اشاره
١٩	[اتمه القسم السادس]
١٩	[اتمه الباب الرابع]
١٩	الفصل الرابع: دلالات و عبر
١٩	اشاره
٢٠	يكفينيك الله، و ابنا قبيله:
٢١	النبي صلى الله عليه و آله يحتل أبا براء المسؤليه:
٢٢	شرف التواضع .. و ذل الغطرسه:
٢٣	الرسل لا تقتل:
٢٥	ديته الرجلين لما ذا؟!:
٢٦	الأفق الضيق:
٢٧	خلافه النبوه:
٢٩	المشركون في مواجهه الوجدان:
٣٠	رفضه صلى الله عليه و آله هديه ملاعب الأسنه منطقاته و دلالاته:
٣٣	المنطق القبلى مرفوض فى الإسلام:
٣٤	مصير زيد بن قيس، و ابن الطفيل:
٣٤	فرت و الله:
٤٤	الباب الخامس غزوه بنى النضير
٤٤	اشاره
٤٧	الفصل الأول: النصوص و الآثار
٤٧	اشاره

٤٨	تمهيد ضرورى:
٥١	نص ابن كثير:
٦١	قصة عمرو بن سعدى القرظى:
٦٥	القتال فى بنى النضير:
٦٧	نصوص أخرى حول قضية بنى النضير:
٧٢	ليخبرن بما هممتم به:
٧٧	الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول:
٧٧	اشاره:
٧٩	بدايه:
٧٩	الاختلافات الفاحشه:
٨٠	تاريخ غزوه بنى النضير:
٨٣	تذكير بما سبق:
٩٠	تهافت ظاهر:
٩٠	سبب غزوه بنى النضير:
٩٦	روايه لا يعتمد عليها:
٩٧	نقض العهد .. والتكبير:
٩٩	نقض العهد و المؤامره:
١٠٠	المعاهدات فى الإسلام:
١٠١	من عهد الأشر:
١٠٥	الوفاء بالعهد:
١٠٥	الشرط الأساس فى كل عهد:
١٠٦	العهد لا تنقض، و هى ملزمه للجميع:
١٠٨	إحترام أمور المعاهدين:
١٠٨	المعاهدون لا يجفون و لا يقصون:
١٠٩	من نتائج الصلح و العهد:
١١٠	العهد .. و الحذر:

- ١١١ الخيانة فى حجمها الكبير:
- ١١٢ الوفاء بالعهد ضروره حياتيه:
- ١١٣ الغدر عجز و عدم ورع:
- ١١٤ الغادر هو الذى يعاقب:
- ١١٤ السلاح فى أيدي المعاهدين:
- ١١٥ موقف له دلالاته:
- ١١٧ وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن:
- ١٢٢ التصوير الحافد، و التزوير الرخيص:
- ١٢٣ مزيد من التجنى:
- ١٢٤ الفصل الثالث: القرار و الحصار
- ١٢٤ اشاره
- ١٢٨ القرار الحكيم:
- ١٣٠ لماذا كان الرسول أوسيا؟
- ١٣٢ حامل اللواء:
- ١٣٥ الفتح على يد على عليه السلام:
- ١٣٥ اشاره
- ١٣٧ ١- الحكمه .. و المعجزه:
- ١٣٨ ٢- الشعور بالمسؤوليه:
- ١٣٨ ٣- الأسرار العسكريه:
- ١٣٩ ٤- دراسه شخصيه العدو:
- ١٣٩ ٥- إستباق مخططات العدو:
- ١٤٠ ٦- العمليات الوقائيه:
- ١٤٠ ٧- إرهابات:
- ١٤١ ٨- الفتح على يد على عليه السلام:
- ١٤٢ ٩- قتل قائد المجموعه:
- ١٤٢ ١٠- الإشكال فى شعر حسان:

- ١٤٣ تحديد المواقع:
- ١٤٣ اشاره
- ١٤٥ ١- بنو النضير شرقى المدينة:
- ١٤٥ اشاره
- ١٤٩ مناقشه للسهمودى لا تصح:
- ١٥٠ مناقشه أخرى وردها:
- ١٥٠ ٢- قرب بنى خطمه إلى بنى النضير:
- ١٥٤ خلاصه أخيره:
- ١٥٤ مناقشه مع الواقدى:
- ١٥٥ قطع النخل، أو حرقه:
- ١٥٧ عدد النخلات المقطوعه؟!
- ١٥٨ تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل:
- ١٥٨ اشاره
- ١٦٠ ١- لماذا ابن سلام؟!
- ١٦٠ ٢- شكوك تصل إلى حد التهمه:
- ١٦٠ اشاره
- ١٦١ البعض لم يفهم الآيه:
- ١٦٢ ٣- الحرق أم القطع؟!
- ١٦٢ اشاره
- ١٦٢ الحكم الفقهى فى قطع الأشجار و حرقها:
- ١٦٣ حرق النخيل، و الفساد فى الأرض:
- ١٦٥ جواب السهيلي لا يصح:
- ١٧١ ضروره قطع الأشجار و حرقها:
- ١٧٦ المهاجرون!! و قطع النخل:
- ١٨٠ التصويب فى الاجتهاد:
- ١٨٢ هذا الشعر لمن؟!

- ١٨٦-----الفصل الرابع: الجزء الأوفى
- ١٨٦-----اشاره
- ١٨٨-----تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى:
- ١٩١-----اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم:
- ١٩٣-----يخربون بيوتهم بأيديهم:
- ١٩٦-----نجاف الباب و وصيه موسى:
- ١٩٧-----روايات غير موثوق بصحتها:
- ١٩٨-----لأول الحشر:
- ٢٠٤-----سبب إخراج عمر لليهود:
- ٢١٦-----دعاوى لا تصح:
- ٢١٨-----الروايه الأقرب إلى القبول:
- ٢١٨-----لا إكراه فى الدين:
- ٢٢٠-----إلى خير أم إلى الشام؟
- ٢٢٢-----السلح للمؤمنين فقط:
- ٢٢٣-----حزن المنافقين:
- ٢٢٥-----نماذج مثيره:
- ٢٢٥-----حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود:
- ٢٢٨-----روايه شاذه لابن عمر:
- ٢٢٩-----روايه أخرى تحتاج إلى إصلاح:
- ٢٣٠-----بنو النضير بمنزله بنى المغيره:
- ٢٣٦-----ملاحظه:
- ٢٣٦-----نزول آيه سوره المائده فى بنى النضير:
- ٢٣٧-----التربيه القرآنيه:
- ٢٣٨-----الله هو الذى أخرجهم:
- ٢٤٠-----العز و الذل .. بما ذا؟
- ٢٤١-----مبالغات لا مبرر لها:

- ٢٤٤ صلاح الخوف في بني النضير:
- ٢٤٤ تحريم الخمر في غزوه بني النضير:
- ٢٤٨ الفصل الخامس: كي لا يكون دوله بين الأغنياء
- ٢٤٨ اشاره
- ٢٥٠ الخيانه و الفداء:
- ٢٥٠ أموال بني النضير في النصوص و الآثار:
- ٢٥٤ أموال بني النضير لم تخمس:
- ٢٥٤ توضيحات للواقدي:
- ٢٥٤ اشاره
- ٢٥٤ ألف: التعبير ب (صدقات) و (صوافي):
- ٢٥٧ ب: حياثل ماكره أخرى:
- ٢٥٩ أموال بني النضير في ء أم غنيمه؟
- ٢٦١ الجواب الأمثل:
- ٢٦٢ المهاجرون .. و أموال بني النضير:
- ٢٦٣ حكايه قسمه الأراضي:
- ٢٦٤ محاسبات دقيقه:
- ٢٦٨ المستفيدون من أراضي بني النضير:
- ٢٧١ نضان غير متوافقين:
- ٢٧٢ كي لا يكون دوله بين الأغنياء.
- ٢٧٦ لما ذا اختص ذوو القربى بالخمس و الفيء؟
- ٢٨١ الفصل السادس: أراضي بني النضير و الكيد السياسي
- ٢٨١ اشاره
- ٢٨٢ الغاصبون:
- ٢٨٢ نص الروايه:
- ٢٨٨ المؤاخذات التي لا محيص عنها:
- ٣٠٠ سؤال .. و جوابه:

- ٣٠٩ الانتصار لرسول الله صلى الله عليه و آله، أم لعمر الفاروق؟!
- ٣١١ يحسبهم الجاهل أغنياء:
- ٣١٨ الزهد .. الحريه:
- ٣١٩ الزهراء عليها السلام .. فى مواجهه التحدى:
- ٣٢٣ لماذا لم يسترجع على عليه السلام ما اغتصب؟!
- ٣٢٤ الباب السادس حتى الخندق
- ٣٢٤ اشاره
- ٣٢٧ الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث
- ٣٢٧ اشاره
- ٣٢٨ بدايه:
- ٣٢٨ الرصد الدقيق:
- ٣٢٩ نتائج و آثار:
- ٣٣١ غزوه ذات الرقاع:
- ٣٣٣ نقاط لا بد من بحثها:
- ٣٣٤ التسميه بذات الرقاع:
- ٣٣٤ تاريخ هذه الغزوه:
- ٣٣٨ الصحيح و المعقول:
- ٣٤٢ مؤيدات:
- ٣٤٢ لما ذا مؤيدات؟!
- ٣٤٣ كلام الدمياطى:
- ٣٤٤ دليل الرأى الآخر:
- ٣٤٥ غزوتان أم غزوه واحده:
- ٣٤٦ من استخلف النبى صلى الله عليه و آله على المدينه؟!
- ٣٤٨ توضيحات عباد بن بشر:
- ٣٥٠ تسجيل تحفظ:
- ٣٥٠ مع الحدث فى مراميه و دلالاته:

٣٥٢ ----- قصة غورث بن الحارث:

٣٥٥ ----- قصة أخرى تشبه قصة غورث:

٣٦١ ----- القصة الأقرب إلى القبول:

٣٦٢ ----- كيف نفهم هذه القصة؟!

٣٦٤ ----- الفهارس

٣٦٤ ----- ١- الفهرس الإجمالي

٣٦٤ ----- ٢- الفهرس التفصيلي

٣٨٢ ----- تعريف مركز

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحر گاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افسست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹ع/۲ ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

ص: ٦

[تمه القسم السادس]

[تمه الباب الرابع]

الفصل الرابع: دلالات و عبر

اشاره

يكفينيك الله، و ابنا قبله:

قد ذكرت الروايات المتقدمه: أن النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله) يجيب على تهديدات عامر بن الطفيل بقوله: (يكفينيك الله، و ابنا قبله).

و المقصود ب (ابنى قبله): الأوس، و الخزرج.

و هذه الكلمه تتضمن:

١- إعزازا لجانب الأوس و الخزرج.

٢- تحريضا لهما على إسداء النصر ضد العدو، الذى لا مبرر لعدوانه، إلا الحميه الظالمه الخرقاء، حميه الجاهليه، و إلا الانقياد للهوى، و الاستجابه لنزغ الشيطان.

٣- إن اعتماده (صلى الله عليه و آله) هو على الله أولا و بالذات، و لكنه فى نفس الوقت يعد العده، و يعتمد الوسائل الماديه فى دفع الأخطار المحتمله، و هذا يدل على واقعيه الإسلام، و على أنه لا يتعامل مع الأمور بصوره تجريديه و ذهنيه محضه، كما أنه لا يفرط فى الاعتماد على القوه الماديه، بل هو يعتمد عليها فى صراط اعتماده على الله سبحانه، فالله هو المصدر الأول للقوه.

بل و حتى القوه الماديه، إذا لم تنته إلى الله فإنها تتحول إلى ركام و حطام

لا- أثر له، إن لم نقل: إن له الكثير من الآثار السلبية و الهدامه فى كثير من الأحيان، و هذا موضوع حساس و خطير، يحتاج إلى توفر أتم، و وقت أوفى.

النبى صلى الله عليه و آله يحتمل أبا براء المسؤوليته:

و بعد .. فإننا نجد: أنه (صلى الله عليه و آله) قد اعتبر أبا براء هو المسؤول عما حصل، حينما قال: (هذا عمل أبى براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا).

و نحن نشك فى ذلك.

فإن الروايات التى روت لنا ما حصل، لعلها متفقه على أن أبا براء، لم تكن له أية علاقته بما حدث، لا من قريب، و لا من بعيد، و قد صرحت بعضها بأنه كان مستاء جدا مما حصل.

بل إن بعضها يصرح: بأنه قد مات أسفا على ما صنع به عامر ابن أخيه. و عليه فيرد هنا سؤال، و هو:

هل إنه لم تبلغ النبى (صلى الله عليه و آله) الأخبار على حقيقتها؟

و إذا كان ذلك، فما بال جبرائيل لا يوقفه على حقيقه ما جرى؟!

أم يعقل أن يكون ما وصل إلينا قد تعمد التعقيم على ما جرى، أو كان محرفا لسبب أو لآخر؟!

و لعل الإجابة الأقرب إلى الواقع هى: أن النبى (صلى الله عليه و آله) كان على علم تام بما حصل، و لكنه أراد تحريض أبى براء ضد مرتكب الجريمة عامر بن الطفيل؛ بالطريقه المشروعه، و المقبوله لدى الناس، فلقد كان أبو براء قد قبل - مختارا و متبرعا- بأن يكون مسؤولا عن حياه أولئك

النفر، وهو الذى بادر إلى إظهار الرغبه بإرسالهم إلى تلك المنطقه، و حينما عبر النبي (صلى الله عليه و آله) عن مخاوفه من أهل نجد، نجد أبا براء قد قبل أن يجيرهم، ثم يذهب بنفسه، و يخبر أهل نجد بأنه قد أجاز أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله).

و لعل من نتائج موقف النبي (صلى الله عليه و آله) هذا، ثم مبادره حسان بن ثابت لتحريض ربيعه بن أبى براء على عامر، أن سأل ربيعه النبي (صلى الله عليه و آله) أو غيره: إن كانت ضربه أو طعنه لعامر تغسل عن أبيه هذه الغدره، فقال (صلى الله عليه و آله): نعم.

فطعنه ربيعه فى حياه أبيه، فقتله، (كما فى معالم التنزيل) أو فأشواه، كما فى المصادر الأخرى.

شرف التواضع .. و ذل الغطرسة:

و تحدثنا الروايات المتقدمه: أن عامر بن الطفيل لم يستطع أن يميز النبي (صلى الله عليه و آله) من بين أصحابه حيث كان جالسا بينهم كأحدهم حتى يسأل عنه هذا و ذاك فيخبرونه.

نعم، و هذه هى أخلاق الإسلام و تعاليمه، و هذه هى تربيته للإنسان، فهو يربى فى الإنسان إنسانيته أولاً، و يفهمه أن الحكم ليس امتيازاً و إنما هو مسؤوليه و واجب فى إطار قاعده: لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى.

فالإسلام يربى فى الإنسان روح الرفض و الإدانه لكل الامتيازات الظالمه، التى يجعلها المتزعمون، و أصحاب الثروات و الوجاهات لأنفسهم، لا لشيء إلا لأنهم أبناء فلان، أو لأنهم يملكون القوه، أو المال، أو ما أشبه

ذلك. من دون أن يقدموا لمجتمعهم أدنى ما توجهه عليهم القيم و المثل الإنسانية، و لا حتى أن يعترفوا لغيرهم بأبسط الحقوق، حتى حق الحياه، فضلا عن حق الحريه، و العيش بكرامه.

الرسلا لا تقتل:

و يلاحظ هنا: أن عامر بن الطفيل قد ارتكب عملا شنيعا، يرفضه الخلق الإنساني، و يأنف منه حتى أكثر الناس بعدا عن المعاني الإنسانية و الاخلاقيه. ألا و هو قتل الرسول، (حامل كتاب النبي (صلى الله عليه و آله)) و قد جرت عادة العرب قديما (بأن الرسل لا تقتل) (١) كما أنه يخفر ذمه أبي براء، و ما جرت عادة العرب بذلك أيضا.

و هناك جريمه ثالثه، و هى أن قتله للرسول كان غدرا و غيله و ذلك أمر لا يستسيغه حر يحترم نفسه، و يطمح إلى ما كان يطمح إليه مثل عامر. مع أنه هو نفسه يرسل إلى النبي (صلى الله عليه و آله) يطلب منه ديه الرجلين، اللذين قتلها عمرو بن أميه الضمري فى طريقه رغم أن عمرو لم يكن يعلم بالعهد الذى أعطاهما إياه الرسول، و رغم أن ما فعله عامر، من شأنه أن ينسف كل العهود و المواثيق، و يعطى حق المعامله بالمثل الذى تقره جميع الأعراف، و لا تمنع منه الشرائع.

و لكن سماحه الإسلام .. و حرص النبي (صلى الله عليه و آله) على أن يعامل الناس بأخلاقه هو، لا على حسب أخلاقهم هم، هو الذى جعله لا٠.

يتخذ مواقفه من خلال الانفعالات و المشاعر، التي تنشأ عن إثارات يتعمدها الخصوم فى كثير من الأحيان، فإن الإنسان المسلم لا تزله الرياح العواصف، و لا- يفقد توازنه، و لا- يتخلى عن مبادئه و لا- يحيد عن هدفه ليصبح أسير مشاعره الثائره، و انفعالاته الطاغيه و يلبى نداءاتها و يستجيب لإثاراتها.

فوجد النبى (صلى الله عليه و آله) يرسل بديه الرجلين، و لا يذكر بشىء مما فعله قومهما، بل هو يظهر استياءه من قتل عمرو بن أميه لهما، و يصرح بتصميمه على أن يديهما فور علمه بما جرى عليهما، و قبل أن يرسل إليه عامر بطلب ديتهما.

و بذلك يتميز الإنسان المؤمن عن غيره، يسير كل منهما فى خطه الذى ينبغى له، هذا دليله عقله و حكمته، و رائده رضى ربه، و سلامه دينه، و الفوز بالآخره، و ذاك دليله هواه و رائده شهواته، و هدفه الدنيا، و زخرفها.

و فى مقابل ذلك نجد عامر بن الطفيل ينقاد لهواه فيقتل الرسول، و الرسل لا تقتل، و يخفر الزممه، و يستعمل طريقه الختر و الغدر، و كل ذلك شنيع، و فظيع.

و هو كذلك ينقاد لهواه لأنه يرفض أن يكون موته بغده كغده البعير، و يأنف أن يكون ذلك فى بيت سلوليه.

أما رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فهو ينسجم مع أخلاقه، كما أنه ينطلق من مبادئه الساميه فى كل مواقفه و لا يخرج أى شىء عن توازنه و متانته، لا يززع ثباته، و لا تزله الرياح العواصف مهما كانت هوجاء، و عاتيه (١) ٩.

ديہ الرجلين لما ذاب؟!!

و من جهه ثانيه نلاحظ: أن قبيله عامر قد رفضت الاستجابه لطلب ابن الطفيل بقتل المسلمين، و ذلك وفاء لذمه أبى براء و جواره.

و لا- بد أن يكون موقف النبي (صلى الله عليه و آله) هذا مؤثرا فى إعطاء صورته حسنه للعامريين، و يفترض البعض أيضا: أن ذلك يزيد فى حاله عدم الانسجام فيما بين هذه القبيله و بين عامر بن الطفيل، الذى ارتكب تلك الجريمه النكراء، فهو (صلى الله عليه و آله) يريد استماله بنى عامر إلى جانبه، و لهذا قرر التدخل فى السياسه الداخليه للقبيله.

و لكننا نقول: إن بعض النصوص تؤكد أن موقف النبي (صلى الله عليه و آله) هذا قد كان منطلقا من قيمه أخلاقيه، و رساليه، فرضها عليه واقع أن هذين الرجلين كانا من أهل ذمته (صلى الله عليه و آله)، و لم يقتلا من أجل ذنب أتياه، حسبما أشرنا إليه آنفا.

و يضيف ذلك البعض: أنه كان معيبا فى حق بنى عامر، ترك الرجال يقتلون، و هم تحت حمايتهم، و لهذا كان الشاعر المسلم كعب بن مالك واضحا فى هذا الصدد.

إلى أن قال: و لم يكن محمد يستطيع التخلي عن بنى عامر قبل التخلي عن كثير من الآمال، و لكن هذا لم يمنعه من أن يصلى و يطلب من الله معاقبه عامر (١).

و لكننا نقول: إنه (صلى الله عليه و آله) قد دعا على رعل و ذكوانق.

و عصيه، و لم أجد أنه دعا على بنى عامر، بل ذكر الواقدي: أنه (صلى الله عليه و آله) قال: اللهم اهد بنى عامر، و اطلب خفرتى من عامر بن الطفيل (١). و لعل عدم مشاركته بنى عامر فى الدفاع عن أجارهم أبو براء، إنما هو من أجل أن لا تحدث انشقاقات خطيره بينهم و بين غيرهم ممن استجاب لابن الطفيل.

و أما القول بأن تخلى النبى (صلى الله عليه و آله) عن بنى عامر، معناه التخلى عن كثير من الآمال، فإنه غير واضح، إذ ما ذا يمثل بنو عامر، و ما هو الدور الذى قاموا به، أو يمكنهم أن يقوموا به فى نصرته (صلى الله عليه و آله)؟!

الأفق الضيق:

و ما أقل عقل عامر بن الطفيل، و ما أحقر طموحاته و أحطها، و ما أضيق الأفق الذى يفكر فيه، حينما نجده يفعل الأفاعيل انطلاقاً من حاله انفعاليه أثارها أمر تافه، و تافه جداً، جعله يرتكب أبشع جريمه، و يخالف كل الأعراف و التقاليد، فيغدر، و يخفر الذمم و يقتل الرسول، و يقتل الكثيرين غيره، و يبادر إلى الزحف نحو المدينه، كل ذلك من أجل أى شىء يا ترى، و فى سبيل أىه قضيه؟!

إن ذلك كله .. كما ورد فى الروايات قد كان من أجل أن صبيا عطس، فشتمته النبى (صلى الله عليه و آله) لأنه حمد الله، و يعطس عامر فلا يحمد الله، فلا يشتمته رسول الله (صلى الله عليه و آله).١.

و ما كان أحرأه بأن يستفيد من هذه القضية درسا حياتيا مفيدا، فيتوجه نحو الله سبحانه و يعتبر أن العز، و الشرف، و السؤدد بالقرب منه تعالى، و العمل بما يرضاه، و أن كل شىء بدون الله فهو حائل زائل، و زخرف باطل، لا قيمه له، فيربى نفسه على ذكر الله، و التقرب إليه لينال كل ما يصبو إليه من عز و شرف و حياه و سعادته.

و لكنه يتخلى عن ذلك كله، ليتبع خطوات الشيطان، و يشمخ بأنفه، و ينظر فى عطفه، و يصر مستكبرا صادًا عن ذكر الله سبحانه، يتخيل أن بإمكانه أن يحصل على شىء بدون الله، و بدون اللجوء إليه سبحانه، فتكون النتيجة هى أنه يجلب لنفسه الوبال، و الدمار، و يخسر الدنيا و الآخرة و بئس للظالمين بدلا.

خلافه النبوه:

أما مطالب عامر بن الطفيل التى عرضها على النبى (صلى الله عليه و آله) فهى تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: يجسد طموحاته و أطماعه الدنيوية و حبه للتسلط، و الاستئثار، فنجده يساوم النبى (صلى الله عليه و آله) - كما فعله مسيلمه الكذاب فيما بعد (١) - ليقاسمه السلطه على الناس، بزعمه، فيقترح عليه أن يكون للنبى (صلى الله عليه و آله) السهل، و يكون لعامر أهل الوبر، من دون أن يكون لديه أى مبرر لذلك، سوى الغطرسة و الطغيان، و الاعتزاز بألف أشقرن.

١- فقد كتب النبى (صلى الله عليه و آله): أما بعد فإن الأرض لى و لك نصفان.

و ألف شقراء و الاعتماد على قوه السيف، الذى يرى فيه المحلل لكل محرم، و يسمح له بارتكاب أى مأثم، و من دون أن يعطى لأولئك الناس الذين يطمح للتسلط عليهم حق الاختيار، الذى يساوى حق الحياه، و كأن الناس سلع تشرى، و تباع و توهب.

هذا عدا عن أنه لا- يملك هو نفسه أى امتياز يخوله الاستثناء بشىء من الامتيازات دون غيره، فهو لا يملك العلم النافع، و لا يرفع شعار الهدايه لسبيل الله و الحق، و الخير، و لا غير ذلك من مقومات.

الثانى: إنه يرشح نفسه لمنصب خطير و هام، ألا و هو خلفه النبوه، و قياده الأمه و هدايتها. هذا المنصب الذى لم يكن يملك أى شىء من مقوماته: خلقيا، و إنسانيا، و سلوكيا، فضلا عن الامتياز العلمى، و سائر القدرات و المؤهلات الذاتيه، التى لا بد من توفرها فى من يتصدى لمنصب كهذا.

و لا أدل على ذلك من أنه تثور ثائرتة، لأن الرسول (صلى الله عليه و آله) يشمّت غلامه الذى حمد الله، و لم يشمّته هو، حيث لم يحمد الله تعالى.

و بعد هذا .. فكأنه لم يسمع ما أجاب به النبى (صلى الله عليه و آله) أحد بنى عامر بن صعصعه، حينما عرض على النبى (صلى الله عليه و آله) فى مكه نفس ما عرضه هو عليه، فأجابه (صلى الله عليه و آله) بقوله: (إن الأمر لله، يضعه حيث يشاء).

فلا- مجال لرأى أحد فى أمر الإمامه بعده (صلى الله عليه و آله) و لا- يثبت ذلك بالانتخاب، و لا- بالشورى، و لا- هو من صلاحيات النبى (صلى الله عليه و آله) نفسه، و إنما هو فقط من صلاحيات رب العزه، و خالق الكون دون سواه؛ فهو الذى يختار و منه يصدر القرار، و قد قدمنا بعض ما يرتبط بهذه القضيه فى

الجزء الثالث من هذا الكتاب فى فصل: حتى بيعه العقبه، فراجع.

المشركون فى مواجهه الوجدان:

و بعد .. فقد ذكرت الروايات: أن أبا براء، ملاعب الأسنه، قد أرسل إلى النبى (صلى الله عليه و آله) يستشفيه من ديبيله كانت فى بطنه، فتناول رسول الله (صلى الله عليه و آله) جبوبه (و هى المدره) من تراب، فأمرها على لسانه ثم دفاها بماء، ثم سقاها إياها، فكأنما أنشط من عقال (١).

و فى نص آخر: فتفل فيها و قال: دفاها بماء، ثم أسقاها إياه ففعل؛ فبرئ، و يقال: إنه بعث إليه بعكه عسل؛ فلم يزل يلحقها حتى برئ (٢).

و يذكرنا هذا النص بما قدمناه عن مشركى مكه أيضا، الذين يعلم كل أحد ما لاقاه النبى (صلى الله عليه و آله) منهم، حتى اضطروه إلى الهجره، فإنهم مع عدائهم له (صلى الله عليه و آله) يودعون أموالهم عنده (صلى الله عليه و آله)، حتى ليضطروا إلى إبقاء على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى مكه ثلاثه أيام- حين الهجره- ليؤدى الودائع و الأمانات إلى أصحابها.

و معنى ذلك هو: أنهم يرون فى هذا النبى (صلى الله عليه و آله): أنه متصل بالغيب، حتى ليرسلون إليه يستشفونه من أمراضهم، كما و يرون فيه أنه فى غايه الأمانه و الرعايه لحقوق الناس، و أموالهم.

الأمر الذى لا بد أن يكشف لهم عن ملكات و فضائل أخلاقيه نادره ١.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٧٢.

٢- راجع: مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٥٠ و الإصابه ج ٣ ص ١٢٤ و السيره الحلييه ج ٣ ص ١٧١.

لديه (صلى الله عليه وآله) وأنه لا مطمع له بمال، ولا بمتاع دنيا.

إذا، فإنهم لا بد أن يتلمسوا التناقض الهائل الذى يجدون أنفسهم فيه، فهم يكرهونه، و يكذبونه، و يتهمونه، و هم كذلك يرون طهارته، و عفته و صدقه، و أمانته، حتى لقبوه بالصادق الأمين. فيعيشون حاله الصراع الداخلى مع ذاتهم، و مع وجدانهم، و ما أشده من صراع، و ما أعظم البركات التى يحصلون عليها لو انتصر عقلهم و وجدانهم. و ما أخطرها و أشدها دمارا، لو انتصرت المشاعر و الأهواء، و المصالح الشخصية الرخيصة.

و ليراجع الجزء الثانى من هذا الكتاب فى بحث: العوامل المساعدة على انتصار الإسلام و انتشاره ففیه مطالب أخرى ترتبط بهذا المقام.

و لعل هذا الإحساس الوجدانى الصريح، الذى أدركه أبو براء من خلال مصادقته له (صلى الله عليه وآله) - فإنه كان له صديقا - هو الذى جعل هذا الرجل يتحمس لأن يرسل النبى (صلى الله عليه وآله) دعاته إلى نجد، ثم يتعهد بأن يكونوا فى جواره، و تحت حمايته.

رفضه صلى الله عليه وآله هديه ملاعب الأسنة منطلقاته و دلالاته:

و تواجهنا فى الروايات المتقدمة قضيه رفضه (صلى الله عليه وآله) هديه أبى براء، ملاعب الأسنة، على اعتبار أنه (صلى الله عليه وآله) و آله) لا يقبل هديه مشرك، حتى و لو كان صديقا له.

و قد تقدم فى فصل: أبو طالب مؤمن قريش، موارد أخرى فى هذا المجال، و هى تدل على: أن ذلك كان نهجا له (صلى الله عليه وآله) و يصير على الالتزام به، و التعامل على أساسه.

و نحن فى مجال فهم الهدى النبوى فى هذا الاتجاه، نشير إلى ما يلى:

ألف: إن من الواضح أن المشركين لا يقيسون الأمور بمقاييس صحيحه، و لا يبنون علاقاتهم مع الآخرين على أساس المثل و القيم و المبادئ عموماً.

و إنما ينطلقون فى تقييمهم للأمر من نظره ضيقه، و مصلحيه، قائمه على أساس الأهواء، و الطموحات غير المترنه و لا المسؤوله. و على هذا، فقلما تجدهم يبادرون إلى إتخاف بعضهم بالهدايا و نحوها من منطلق منطقي، أو من شعور إنسانى نقى و برىء، أو من مبادئ إنسانيه، و مثل عليا.

و إنما غالباً ما يكون ذلك تزلفاً، و تصنعاً؛ بهدف الحصول على ما هو أعلى، و ما هو أهم، أو بهدف دفع غائله من لا يجدون لدفع غائلته وسيله، و لا عن التصنع و التزلف إليه مهرباً، و محيصاً.

و لأجل ذلك .. فلو فرض أن النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) قد قبل هديتهم. فعدا عن كون ذلك يدخل فى نطاق المواده لهم، و هو ما ينهى عنه القرآن الكريم صراحه؛ فإنه لو أراد بعد ذلك أن يتخذ من انحرافاتهم و جرائمهم موقفاً رافضاً و مسؤولاً، فلسوف يعتبرون ذلك، و يعتبره كل من هو على شاكلتهم، نكراناً للجميل، و كفراناً للنعمة، الأمر الذى يجعل من هذا الأمر مبرراً لأيه سلبيه تظهر على مواقفهم منه فيما يأتى من الأيام.

كما أن رفض النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله) لهديتهم لا يعتبر مقابله للإكرام بضده، و لا يعد خلقاً سيئاً، أو تصرف نايياً.

إذ إن النبى (صلى الله عليه و آله) يملك كل الحق فى أن يفهمهم أن القضييه قضيه مصيريه، لا- يمكن الإغضاء عنها، و لا التساهل فيها، و لا

تخضع للمساومه، و لا للمداهنه، و لا يمكن التنازل عن أى شىء فيها فى مقابل المال و النوال.

و لا سيما إذا كان إعطاء المال أو تقديم الهديه يوزن بميزان جاهلى، مصلحى، حسبما ألمحنا إليه.

ب: و بعد فإن إهداء أبى براء ملاعب الأسنه للنبي (صلى الله عليه و آله)، و قول حامل الهديه حينما رد النبي الهديه: (ما كنت أرى أن رجلا من مضر يرد هديه أبى براء) (١) يدل على أن أبى براء كان رجلا ذا أهميه فى مجتمعه الذى يعيش فيه، حتى إن أى مضرى لا يجرؤ على رد هديته احتراماً و تقديراً له.

فإهداؤه للنبي (صلى الله عليه و آله) يدل على أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان قد ذاع صيته، و ظهرت هيئته فى مختلف أرجاء المنطقه آنئذ، و بدأ يتزلف إليه المترلفون، و يخطب وده الخاطبون.

ج: كما أن الأمر الذى يثير العجب حقاً هو: أننا نجد أبى براء ذلك الرجل المعروف و المبجل فى محيطه، و الذى لا يرد هديته مضرى ليس فقط يتلقى هذه الصدمه الكبيره، و هى رد هديته من قبل صديقه، بالإذعان و القبول، و إنما هو يطلب من النبي إرسال دعائه إلى بلاد نجد، و يقبل أن يتحمل مسؤوليه حمايتهم، و كونهم فى جواره.

هذا كله .. عدا عن طلبه الاستشفاء بالنبي (صلى الله عليه و آله) و عمله بما أرسل به إليه.

مع أننا نجد ابن أخيه عامراً على العكس من ذلك تماماً؛ حيث يشيره ٢.

تسميت النبي لـغلام حمد الله، و عدم تسميته له، و هو لم يحمد الله. ثم يتنامى به الأمر، و يتعاضم حتى يرتكب تلك الجريمة النكراء، بأسلوب رخيص و لئيم، أقل ما يقال فيه: إنه مجلبه للعار الدائم، و الذل المقيم .. و المخالف حتى لأعراف الجاهليه، فضلا عن مناقضته لكل القيم و المثل و المبادئ الإنسانية.

فإن كان ما فعله أبو براء عن سياسه و دهاء فنعم السياسه تلك، و حبذا هذا الدهاء، و إن كان عن عقل و حكمه فالمجد و الخلود لهذا العقل، و تلكم الحكمه، و إن كان عن قناعه وجدانيه و نفحه إيمانيه كانت قد بدأت تذكو في نفسه، فما علينا إلا أن نقبل بالروايه القائله: إنه قد أسلم قبل أن يموت.

و نحن نود أن تكون هذه هي عاقبته، و إن كنا لا نملك الدليل القاطع على ذلك.

المنطق القبلي مرفوض في الإسلام:

و بعد .. فقد رأينا النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) ليس فقط لا يؤيد ما فعله عمرو بن أميه الضمري، من قتل الرجلين، و إنما يعبر عن إدانته و استيائه من هذا الأمر.

ثم هو يتعهد بأن يدي الرجلين، و يفعل ذلك.

و إذا أردنا أن لا- نقبل بكون الرجلين كانا قد أسلما حقيقه بقرينه: أنهم يقولون: إنه (صلى الله عليه و آله) أعطى ديه حرين مسلمين.

فإننا لا بد أن نستفيد من موقف النبي (صلى الله عليه و آله) هذا حتى و لو كانا كافرين إدانه صريحه للمنطق الجاهلي القبلي الذي يبيح للإنسان أن

يقتل أيا من أفراد القبيلة الأخرى، لو ارتكب واحد منها جريمة تجاه قريب له فرضا.

فهو (صلى الله عليه وآله) يلوم عمرو بن أمية و يدين عمله، و يقول له:

بئس ما صنعت، رغم أنه لم يكن يعلم بالعهد، و رغم أن اللذين قتلتهما كانا بزعمه مشركين.

و يوضح: أنه (صلى الله عليه وآله) إنما يدين المنطق القبلي الجاهلي قوله (صلى الله عليه وآله): رجلين من أهل ذمتي قتلتهما لا لأجل دينهما، حسبما روى.

مصير زيد بن قيس، و ابن الطفيل:

و تذكر الروايات المتقدمة: أنه بعد أن أراد زيد بن قيس قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و حبس الله يده، حتى لم يتمكن من سل سيفه،

كانت النتيجة: أن الله سبحانه و تعالى يرسل على زيد بن قيس صاعقه، فتحرقه، ثم يموت عامر بن الطفيل من غده كغده البعير فى بيت سلوليه.

و ما ذلك إلا لأن هذين الرجلين قد رأيا بأمر أعينهما الآيه الظاهره، و المعجزه القاهره له (صلى الله عليه وآله)، و لكنهما يصران على الضلال، و الكفر، و لا يعتبران بما رأياه من كرامه إلهيه له (صلى الله عليه وآله)، فكانت النتيجة: أن أصبحا عبره لمن اعتبر، و خسرا الدنيا و الآخره، و بئس للظالمين بدلا.

فزت و الله:

و نجد فى الروايات المتقدمة: أن جبار بن سلمى، المشرك، حينما طعن

ابن ملحان الأنصاري سمعه يقول: فزت و الله، تحير في فهم مغزى كلامه، فقال في نفسه: ما فاز؟ أليس قد قتلت الرجل؟!!

ثم يسأل عن هذا الأمر بعد ذلك، فأخبروه: أنه الشهاده، فقال: فاز لعمر و الله. و كان ذلك سبب إسلامه.

و نحن بدورنا ليس لدينا ما يثبت أو ينفي هذه الروايه، و لكننا نعلم:

أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما ضربه ابن ملجم على رأسه في مسجد الكوفه، قال: فزت و رب الكعبه (١).

و نقول: إن تحير ذلك المشرك، و قول أمير المؤمنين (عليه السلام) و ذلك المسلم لهذه الكلمه طبيعي جدا.

فإن من يفهم الأمور فهما دينويا و مصلحيا بحثا، يقيس الربح و الخسران بمقاييس الماده و الماديات و حسب. فلا يمكنه أن يفهم الموت إلا على أنه ضياع و خيبه؛ لأنه يراه عدما و فناء، و خساره وجود، و نهايه حياه.

أما الإنسان المسلم القرآني؛ فهو يرى في الموت أمرا آخر، و معنى يختلف كليا عن هذا المعنى، و ذلك من خلال التعليم القرآني، الذي هو المصدر الأصفى، و الأدق و الأوفى، ثم التربيه النبويه الرائده، و توجيهات الأئمه و الأوصياء (صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين).

و لا نريد أن نفيض في ذكر الآيات و الروايات التي تعرضت لحقيقه ٦.

١- ترجمه الإمام على (عليه السلام) من تاريخ دمشق ج ٣ ص ٣٠٣ تحقيق المحمودى و مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن أبى الدنيا، مطبوع في مجله تراثنا السنه الثالثه عدد ٣ ص ٩٦.

الموت، و بينت موقعه فى مسيره الإنسان و مصيره، و إنما نكتفى بالإشارة إلى ما يلى:

١- قال تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (١).

٢- عن الإمام الحسين (عليه السلام)؛ فى خطبه له فى مكه، قبل أن يخرج إلى العراق: خط الموت على ولد آدم، مخط القلاده على جيد الفتاه، و ما أولهنى إلى أسلا فى اشتياق يعقوب إلى يوسف (٢).

٣- و فى روايه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس، و يقلع منابت الغفله، و يقوى القلب بمواعد الله، و يرق الطبع، و يكسر أعلام الهوى، و يطفى نار الحرص) (٣).

٤- عن الصادق (عليه السلام): (إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً؛ فإن الميت هو الكافر) (٤).

و الآيات و الروايات حول الموت و الحياه كثيره، فيها الإشارات و الدلائل الجمه إلى كثير من الأمور الهامه و الخطيره، و نحن نكتفى هنا بالإشارة إلى ما يلى:

ألف: بالنسبه للآيه الكريمه نقول: إننا نلاحظ أنها قدمت ذكر الموت على ذكر الحياه (الموت و الحياه).٧.

١- الآيه ٣ من سوره الملك.

٢- اللهوف ص ٢٥ و مقتل الحسين للمقرم ص ١٩٠ عنه و عن ابن نما ص ٢٠.

٣- البحار ج ٦ ص ١٣٣ و مصباح الشريعه ص ١٧١ و ميزان الحكمه ج ٩ ص ٢٤٥.

٤- معانى الأخبار ص ٢٧٦ و ميزان الحكمه ج ٩ ص ٢٣٧.

كما أنها صرحت: بأن الموت مخلوق لله سبحانه، كما أن الحياه مخلوقه له تعالى.

إذا فـللموت دوره كما هو للحياه، و ليس هو مجرد فناء و عدم، يظهر معناه و مغزاه من خلال ظهور المعنى المقابل له.

ثم صرحت الآية: بأن السر فى خلق هذين العنصرين هو وضع الإنسان على المحك فى سوقه نحو الأفضل و الأحسن، و الأكمل، الأمر الذى يفيد: أن لهما دورا فى بناء شخصيه الإنسان و تكامله.

و ذلك يعنى: أنهما مرحلتان يتجاوزهما الإنسان، و لا يتوقف عندهما فى مسيرته الظافره نحو الحياه الحقيقيه و إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ (١)، حيث إن بها يبلغ الإنسان مرحله كماله، و فيها تتساقط الحجب الماديه المانع من الإحساس بالأمر إحساسا واقعا و حقيقيا و عميقا.

ب: إن الكلمه المرويه عن الإمام الحسين (عليه السلام) قد اعتبرت أن الموت بمثابة قلاده على جيد الفتاه، و معنى ذلك هو: أن الموت هو زينه للحياه و يزيد فى بهجتها، و يعطيها رونقا، و بهاء و جمالا، و بدونه تكون باهته خافته تماما كما هو الحال بالنسبه للقلاده التى تزيد فى بهجه و بهاء و جمال الفتاه، و توجب انشداد الأنظار إليها، و تعلق النفوس بها.

و لأجل هذا المعنى جعلها على جيد (فتاه) و ليس (المراه). فإن الفتاه هى التى تميل إليها نفوس الطالبين، و تكون موضعا لتنافس المتنافسين.

كما أننا نلاحظ: أنه لم يستعمل كلمه (عنق) هنا و إنما اختار كلمهت.

(جيد) الذى هو من الجوده، و هو تعبير مريح للنفس أيضا، و مثير لكثير من المعانى اللذيذه فى أعماقها.

فالموت زينه الحياه، و بهجتها، حينما يثير فى الإنسان طموحه إلى ما هو أبعد و أوسع و أعلى و أغلى، و يشد روحه و عقله إلى الآفاق الرحبه، و ملاحظه أسرار الكون و خفاياه، و حقائقه و دقائقه و مزاياه، من أجل أن يسخر كل ما فى الوجود و يستفيد من كل ما تصل إليه يده فى مجال إبعاد الشفاء و العناء، و مساعدته على بلوغه مدارج الكمال، و وصوله إلى أهدافه الساميه، و تحقيقه مثله العليا، الأمر الذى يحتم عليه التزام الفضائل، و التعالى عن الموبقات و الرذائل.

بالإضافه إلى أن حقيقه الموت، و إدراكها بعمق يمنح هذا الإنسان القدره على الوقوف فى وجه شهواته و يهيمن عليها، لأنه يعطى الحياه الدنيا قيمتها الحقيقيه، و يمكن الإنسان من أن يفهمها بعمق، و يعرف مدى واقعيتها.

حتى ليرى الإنسان المؤمن: أن الموت فى بدايه الحياه الحقيقيه، و أن الخروج من هذه الدنيا المحفوفه بالمخاطر هو السبيل للسلامه من دواعى و طغيان الشهوات، و الراحة من مكافحه النفس الأماره بالسوء.

فالموت إذا، هو بدايه الراحة، و الخير، و الفوز.

و به تتساقط الحجب و تزول الموانع عن الإحساس الحقيقى بالوجود، و الوصول إلى كنه الحقائق.

و هو يمكن الإنسان من أن يملك نفسه، و يستفيد من وجوده و طاقاته بصوره كامله.

و لأجل ذلك، فقد كان الموت للإنسان المؤمن أحلى من العسل (١).

و وصف الحسين (عليه السلام) أصحابه فقال: (يستأنسون بالمنيه دونى استئناس الطفل إلى محالب أمه) (٢).

و قال أمير المؤمنين (عليه السلام): و الله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه (٣).

كما أن الموت يصبح خروجاً من سجن قاس و مرهق، فإن الدنيا سجن المؤمن، و القبر حصنه و الجنة مأواه (٤). و ما أحلى أن يحصل الإنسان على حريته، و يكون هو سيد نفسه و يواصل انطلاقة نحو الله، و يسرح فى رحاب ملكوته. وَ إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣).

أما الكافر فهو يرى الموت فناء و عدماً، و ضياعاً، فهو كارثة حقيقية بالنسبة إليه، و خسران لنعيم الدنيا، و الدنيا هى جنه الكافر و القبر سجنه، و النار مأواه، حسبما جاء فى الحديث الشريف (٤).

و بكلمه .. إن الموت هو سر الحياه، و هو يعطى للحياه معناها و قيمتها، و هو سر الطموح، و الحركة و البناء، و العمل الهادف المنتج، و هو سر سعى الإنسان نحو كماله و نحو ربه: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ٨.

١- وسيله الدارين فى أنصار الحسين ص ٢٥٣.

٢- مقتل الحسين للمقرم ص ٢٦٢. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٩ ٢٦ فزت و الله: ص : ٢١ (٤) البحار ج ٧٠ ص ٩١ و الخصال ج ١ ص ١٠٨.

٣- الآيه ٦٤ من سوره العنكبوت.

٤- البحار ج ٧٠ ص ٩١ و الخصال ج ١ ص ١٠٨.

فَمَلَأْتِيهِ (١).

و بالموت تتساقط الحجب و الموانع التى تقلل من قدره الإنسان على الإحساس بالواقع، لأنه إنما يتصل بالواقع عن طريق الحواس الماديّه، التى لا تسمح بالإحساس بالواقع إلا فى مستوى التخيل و التصوير، و لا توصل إلى كنه الحقائق، و الاتصال بأسرار الكون و الحياه.

هذا بالإضافة إلى أن المعاصى تزيد من طغيان الجسد، و ضعف القدرات الروحيه، فيتضاءل إحساسه بالحقائق، و يتقاصر فهمه عنها، و لا يعود قادرا على التعامل معها بعمق ذاته و وجوده، و بكنه مواهبه الإلهيه.

و كل ما تقدم يفهمنا بعض ما يرمى إليه الحديث الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام) و المتقدم برقم (٣)، و لعل جانبا مما يرمز إليه الحديث رقم (٤) انضح أيضا.

ج: و لكننا نزيد فى توضيح خلق الموت هنا، فنقول: إنه إذا كان الموت انتقالا من نشأه إلى نشأه، و تصرفا فى الصوره و الشكل، مع بقاء المضمون و الحقيقه و الماهيه على ما هى عليه، فإن خضوع الموت لعملية الخلق يصبح بمثابة من الوضوح، لأن الخلق يختزن هذا المعنى أيضا، و يشهد لذلك قوله تعالى: مِنْ مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ أَى وجدت فيها الأشكال و الصور البدائيه للإنسان، وَ غَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ (٢) أَى لم يوجد فيها ذلك.

و قال تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ.

١- الآيه ٦ من سوره الإنشاق.

٢- الآيه ٥ من سوره الحج.

ثلاث (١).

د: بقى أن نشير إلى أن الحكم على الكافر بالموت فى الآخرة، إنما هو بملاحظه: أن نفسه و روحه لن تكون قادره على نيل درجات القرب، و السير فى رحاب ملكوت الله سبحانه، و الإحساس بعظيم جلاله، و القرب من ساحه قدسه بل يكون الكافر فى ظلمات الجحيم، يأتيه الموت من كل مكان، و ما هو بميت، محجوب عن الله، و عن رحمته، مشغول بنفسه و آلامه، عن كل شىء آخر.

ه: و بعد .. فإننا بملاحظه بعض ما تقدم نستطيع أن نفهم كيف يكون المؤمنون شهداء على الناس، و أن ندرك بعمق معنى الشهيد و الشهاده.

فإنها من الشهود، الذى هو الوصول إلى الواقع و ملامسته، مع إدراك و وعى له، و إحساس واقعى و وجدانى به، ثم معرفه قيمته و حقيقته على ما هو عليه فى نفس الأمر.

و من هنا نعرف: أن الشهود يزيد عن الحضور، فإن الإنسان قد يكون حاضرا لحدث ما، و لكنه ليس شاهدا له إذا لم يدركه بعمق راسخ، تشارك فيه قوى الإدراك الباطنيه الظاهريه فى الوصول و الحصول.

و بما أن الشهاده هى الوصول إلى الحقيقه، مع إدراك و إحساس واقعى بها، بسبب تساقط الحجب، و زوال الموانع الماديه، فيستطيع الإنسان حينئذ أن يدرك واقع الحياه و سر الوجود، و حقائقه.

فإنها لا يمكن - يعنى الشهاده- أن ينالها الكافر، لأنه محجوب بذنوبه، ر.

و بأعماله، و تكون حياته موتا، أما موته فلا يؤهله إلا لمواجهه مصيره الأسود، حيث تحف به ملائكة العذاب، و تحتوشه زبانية جهنم، و يبقى محجوبا عن ساحه القدس الإلهيه، و عن الانطلاق فى رحابها، و نيل برکاتها.

كما أن هذه الشهاده تحتاج إلى تربيته إلهيه، و رعايه ملكوتيه، تمنحه المعرفه الحقيقيه، و الرؤيه الصادقه، و تربيته سلوكيا و عاطفيا، و تصفى و تزكى نفسه و روحه، و عمله، و كل وجوده؛ ليكون إنسانا إلهيا بكل ما لهذه الكلمه من معنى.

نعم، و هذا ما يفسر لنا قوله تعالى: **وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ (١)**.

فإن الله هو الذى يربيهم، و يزيكهم، و يؤهلهم لتلقى المعارف، و يكشف عن أبصارهم و بصائرهم ليصلوا إلى درجه الشهود و الخلود، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر **(٢)**.

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (٣).

أما الكفار، ف: **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (٤)**.

و **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً (٥)**.

١- الآية ١٤٠ من سوره آل عمران.

٢- الآية ٥٥ من سوره القمر.

٣- الآية ١٧ من سوره محمد.

٤- الآية ١٧٩ من سوره الأعراف.

٥- الآية ٧ من سوره البقره.

و فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (١).

و: و عمليه الجهاد الأكبر ما هي إلا بذل الجهد من أجل الوصول إلى حالة الشهود هذه؛ ليكون الجهاد الأصغر انعكاسا طبيعيا لدرجه الشهود التي يصل إليها الإنسان، و لمدى إدراكه لحقيقه الكون، و الحياه، و إحساسه بالله سبحانه، و بألطافه، و الحصول على بر كاته.

و لأجل ذلك، فقد كان الجهاد بابا من أبواب الجنه، لا يستطيع كل أحد و لوجه و الدخول فيه، بل فتحه الله لخاصه أوليائه و ليس كل أوليائه، فهؤلاء الخاصه و حدهم الذين يمكنهم الجهاد، و يستحقون لقب (مجاهد) و يمكنهم أن ينالوا درجه الشهاده، و يكونوا شهداء.

قال علي (عليه السلام): الجهاد باب من أبواب الجنه، فتحه الله لخاصه أوليائه (٢).

و يلاحظ هنا كلمه: (خاصه أوليائه) أي و ليس كلهم.

أما الآخرون، فإنهم لا يستطيعون ذلك، و إن كان يمكن لكل واحد أن يقاتل، و أن يصبح قتيلا.

و بعد كل ما قدمناه، فإننا نفهم بعمق ما جاء على لسان ذلك الرجل (ما فاز؟! أليس قد قتلت الرجل).

ثم نفهم بعمق أيضا قول أمير المؤمنين (عليه السلام): فزت و رب الكعبه.٣.

١- الآيه ٥ من سوره الصف.

٢- نهج البلاغه (بشرح عبده)، الخطبه رقم ٢٦ أولها: ج ١ ص ٦٣.

الباب الخامس غزوه بنى النضير

اشاره

الفصل الأول: النصوص و الآثار الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول الفصل الثالث: القرار و الحصار الفصل الرابع: الجزاء الأوفى
الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى

ص: ٣٤

الفصل الأول: النصوص والآثار

إشاره

تمهيد ضروري:

هناك بعض الأحداث الهامه، و المواقف الحساسه، التي تحمل في طياتها الكثير من العبر و العظات، و تترك لها آثارا بارزه على منحنى و عمق الفكر الإنساني، و الرسالي، و على الفهم الدقيق للمسار العام في خط الرساله ..

هذا عدا عن التأثير الظاهر لها في البنيه العقائديه، و في اللاشعور، و الشعور الوجداني المهيمن على الموقف، و الحركه، و السلوك للإنسان في مختلف مراحل و أدواره، و في كثير من أحواله و أطواره.

و لكن هذه الأحداث و المواقف بالذات، و خصوصا ما كان منها في العهد النبوي الشريف لم تنل قسطها من البحث و التقصي من قبل العلماء و أهل الفكر بل مروا عليها- تقريبا- مرور الكرام، فبدت: و كأنها أمور تافهه و حقيره، و محدوده و صغيره، و خيّل إلى الكثيرين: أنها ليس فيها ما ينفع و لا- ما يجدى .. فكان طبيعيا أن يبقى الكثير من جوانبها، و حقائقها، و ظروفها و ملبساتها رهن الإبهام، و الإهمال، و كأنها ليست حقيقه ثابتة، و إنما هي محض و هم أو خيال.

و لا نبعد كثيرا إذا قلنا: إن غزوه بنى النضير كانت واحده من هذه الأحداث، التي لها هذه الحاله التي أشير إليها، فهي حدث فريد و متميز، لا

يقول فى أهميته عن أى من الأحداث الكبرى فى العهد النبوى الشريف ..

و يتضح ذلك بصورة أجلى و أتم من خلال دراستنا لكثير من النصوص و الآثار التى وردت فى هذه الواقعة ..

و لا أدل على ذلك من أنهم يقولون: إن سورة الحشر- بتمامها- قد نزلت فى هذه المناسبه .. و هذا يبرهن على الأهميه البالغه لهذه الواقعة، و على أنها كانت تمثل تحولا كبيرا و إيجابيا، فى مسيره العمل و العاملين فى سبيل الله سبحانه من جهه .. كما أنها تعتبر- من الجهه الأخرى- ضربه قاسيه و قاصمه لأعداء الله، و أعداء دينه من الكافرين ..

فقد كان اليهود- الذين كان بنو النضير أقواهم شوكة، و أشدهم شكيمه، و أعزهم عزه- يعيشون فى قلب الدوله الإسلاميه، و حيث كان بإمكانهم الاطلاع على أدق دقائقها، و على حقائق خفاياها و نواياها، ثم الوقوف على المستوى الحقيقى و الدقيق لما تملكه من قدرات و إمكانات ماديه و معنويه .. و على كل الواقع الذى كان قائما فى داخل المجتمع الإسلامى، سواء على مستوى العلاقات و الارتباطات فيما بين فئات ذلك المجتمع، أو سائر المجالات، و مختلف المواقع.

كما أنهم- أعنى اليهود- كانوا يملكون أذرع ظاهره و خفيه، ممتده هنا و هناك، و فى عمق المجتمع الإسلامى الجديد، حتى على مستوى بعض القيادات فيه، و التى كانت تساهم بشكل فعال فى صنع القرار، أو فى عرقلته و تعطيله. ثم إن لليهود الهيمنه الروحيه و الثقافيه و العلميه على الأكثرية الساحقه، التى يفترض فيها: أن تكون القاعده الصلبه، و القويه، التى تعتمد عليها تلك القيادة فى تنفيذ القرار، و فى فعاليتها، و قوه تأثيره، ثم فى

الحفاظ عليه و حمايته على المدى القريب أو البعيد على حد سواء ..

هذا .. و علينا أن لا ننسى أن اليهود كانوا يملكون قوه كبيره فى حساب الثروات و الأموال ..

و يكفى أن نذكر: أنهم كانوا يملكون من (الحلى) الشىء الكثير، قال بعضهم: إنهم كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكه و غيرهم. و كان يكون عند آل أبى الحقيق (١).

و سيأتى فى غزوه خيبر: أن آل أبى الحقيق قد قتلوا بسبب ذلك الحلى كما ذكر ذلك غيره أيضا (٢).

هذا .. بالإضافة إلى ما كان لليهود من ديون على الناس، قد بلغت حدا جعلهم يجدون فيها حائلا دون تسهيل أمر رحيلهم، لو لا أن تصدى النبى (صلى الله عليه و آله) لحل هذا المشكل بالصوره التى لم يبق لهم معها أى خيار، حينما أمرهم بالوضع (أى حذف بعض المال) و بالتعجيل فى الآجال (٣).

و علينا أن لا ننسى: أن هذه الضربه القاسيه و القاصمه التى تلقاها اليهود عامه، و بنو النضير بصوره أخص، إنما تمثل إضعافا لواحد من أهم مصادر القوه و التحدى لدى أعداء الإسلام و المسلمين، و لا سيما بالنسبه إلى المشركين، و كل من يتعاطف معهم من القبائل و الطوائف فى المنطقه العربيه، حيث خسروا واحدا من أهم حلفائهم، و ذوى القوه و النفوذ فيهم.٤.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧.

٢- الأموال ص ٢٤٢ و زاد المعاد ج ٢ ص ١٣٦.

٣- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

و قد نجد فيما يأتى من فصول إلماحه أو أكثر إلى هذا الأمر، و إلى غيره من أمور فرض علينا البحث التذكير بها، و الإلماح إليها.

و لذا .. فإننا سوف نكتفى هنا بهذا القدر، و نبدأ- بحول الله و قوته- بالحديث عن غزوه بنى النضير، حسبما يتهاى لنا فى نطاق مراعاة نسق الكتاب و مستواه، و كثير من الأمور الأخرى التى لا بد لنا من مراعاتها، فيما يرتبط بمقتضيات البحث بصوره عامه ..

فنقول .. و من الله نستمد الحول و القوه، و منه نطلب التوفيق و التسديد:

إننا نذكر فى البدايه نصا لهذه الغزوه، نختاره مما هو بحوزتنا من نصوص، و سوف يكون هذه المره لابن كثير فى سيرته، و فى بدايته و نهايته، مع حذف بعض ما رأينا من المناسب حذفه .. ثم نشير فى نهايه النص إلى جانب من المصادر و المراجع، التى يمكن الرجوع إليها للاطلاع على نصوص هذه الغزوه.

فنقول:

نص ابن كثير:

قال ابن كثير: عن سوره الحشر فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سوره بنى النضير.

و حكى البخارى عن الزهرى، عن عروه أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بسته أشهر قبل أحد.

و قد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه، عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهرى به.

و هكذا روى حنبل بن إسحاق، عن هلال بن العلاء، عن عبد الله بن

جعفر الرقى، عن مطرف بن مازن اليماني، عن معمر، عن الزهري، فذكر غزوه بدر في سابع عشر رمضان سنة اثنتين.

قال: ثم غزا بني النضير، ثم غزا أحدا في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع.

وقال البيهقي: وقد كان الزهري يقول: هي قبل أحد.

قال: وذهب آخرون إلى أنها بعدها، و بعد بئر معونه أيضا.

قلت: هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم، فإنه بعد ذكره بئر معونه و رجوع عمرو بن أمية و قتله ذينك الرجلين من بني عامر، و لم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لهذا قال له رسول الله (صلى الله عليه و آله): (لقد قتلت رجلين لأدينهما).

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى بني النضير يستعينهم في ديه ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية، للعهد الذي كان (صلى الله عليه و آله) أعطاهما، و كان بين بني النضير و بين بني عامر عهد و حلف، فلما أتاهم (صلى الله عليه و آله) قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه- و رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد- فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخره و يريحنا منه.

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخره كما قال، و رسول الله (صلى الله عليه و آله) في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر و عمر و علي، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد

القوم، فقام و خرج راجعا إلى المدينة.

فلما استلبث النبي (صلى الله عليه و آله) أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسأله عنه فقال: رأيت داخل المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به.

قال الواقدي: فبعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) محمد بن مسلمه يأمرهم بالخروج من جواره و بلده، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم و يحرضونهم على المقام و يعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، و حمى حبي بن أخطب، و بعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله): أنهم لا يخرجون، و نابذوه بنقض اليهود. فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم.

قال الواقدي: فحاصروهم خمس عشرة ليلة.

و قال ابن إسحاق: و أمر النبي (صلى الله عليه و آله) بالتهيؤ لحربهم و المسير إليهم.

قال ابن هشام: و استعمل على المدينة ابن أم مكتوم، و ذلك في شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال، و نزل تحريم الخمر حينئذ، و تحصنوا في الحصون، فأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بقطع النخيل و التحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد و تعيب من صنعه، فما بال قطع النخيل و تحريقها؟

قال: و قد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي، و وديعه، و مالك، و سويد، و داعس قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا و تمنعوا،

فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم و إن أخرجتم خرجنا معكم. فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، و قذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم و يكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة.

و قال العوفى: عن ابن عباس، أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه (و) وسقا (١). رواه البيهقى.

و روى: من طريق يعقوب بن محمد، عن الزهرى، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمه، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن مسلمه، أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعثه إلى بنى النضير و أمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال.

و روى البيهقى و غيره: أنه كانت لهم ديون مؤجله، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ضعوا و تعجلوا.

و فى صحته نظر، و الله أعلم.

قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (٢) بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، و منهم من سار إلى الشام، فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر: سلام بن أبى الحقيق و كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق و حى بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها.

فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث: أنهم استقبلوا بالنساء و الأبناء.

١- الوسق: حمل البعير.

٢- النجاف: أسكفه الباب.

و الأموال، معهم الدفوف و المزامير و القيان يعزفن خلفهم بزهاء و فخر، ما رؤى مثله لحي من الناس فى زمانهم.

قال: و خلوا الأموال لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، يعنى النخيل و المزارع، فكانت له خاصه يضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا- أن سهل بن حنيف و أبا دجانه ذكرا فقرا فأعطاهما، و أضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمه. حكاة السهيلي.

قال ابن إسحاق: و لم يسلم من بنى النضير إلا- رجلان و هما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش و أبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

قال ابن إسحاق: و قد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك و ما هم به من شأنى؟

فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله لعنه الله.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكاملها، يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته، و ما سلط عليهم به رسوله، و ما عمل به فيهم.

إلى أن قال ابن كثير: فأسرهم بالمحاصره بجنوده و نفسه الشريفه ست ليال، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا و صالحوا على حقن دمائهم و أن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركبهم، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانه لهم و احتقاراً، فجعلوا يخبون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

إلى أن قال: و قد روى البخارى و مسلم جميعاً عن قتبيه، عن الليث، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حرق نخل بنى النضير و قطع، و هى البويره، فأنزل الله: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا

قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَيَاذَنِ اللَّهُ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (١).

و عند البخارى من طريق جويريه بن أسماء، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حرق نخل بنى النضير و قطع، و هى البويره، و لها يقول حسان بن ثابت:

و هان على سراه بن لؤى حريق بالبويره مستطير فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام الله ذلك من صنيع و حرق فى نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بسترو تعلم أى أرضينا نضير قال ابن إسحاق: و قال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير و قتل كعب بن الأشرف فالله أعلم:

لقد خزيت بغدرتها الحبور (٢) كذاك الدهر ذو صرف يدور

و ذلك أنهم كفروا برب عظيم أمره أمر كبير

و قد أوتوا معا فهما و علما و جاءهم من الله النذير

نذير صادق أدى كتابا و آيات مبينه تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق و أنت بمنكر منا جدير

فقال: بلى لقد أديت حقا يصدقنى به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشده من يكفر به يخز الكفور د.

١- الآية ٥ من سورة الحشر.

٢- الحبور: جمع حبر، و هم علماء اليهود.

فلما أشربوا غدرا و كفراو جدّ بهم عن الحق النفور

أرى الله النبي برأى صدق و كان الله يحكم لا يجور

فأيده و سلطه عليهم و كان نصيره نعم النصير

فغودر منهم كعب صريعافذلت بعد مصرعه النصير

على الكفين ثم و قد علته بأيدينا مشهه ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلاإلى كعب أخوا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكرو محمود أخو ثقه جسور

فتلك بنو النصير بدار سوء أبارهم بما اجتموا المبير (١)

غداه أتاهاهم فى الزحف رهوا (٢)رسول الله و هو بهم بصير

و غسان الحمامة مؤازروه على الأعداء و هو لهم وزير

فقال السلم و يحكم فصدواو خالف أمرهم كذب و زور

فذاقوا غب أمرهم و بالالكل ثلاثة منهم بعير

و أجلوا عامدين لقينقاع و غودر منهم نخل و دور و قد ذكر ابن إسحاق جوابها لسماال اليهودى، فتركناه قصدا.

قال ابن إسحاق: و كان مما قيل فى بنى النصير قول ابن لقيم العبسى، و يقال: قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعى: ا.

١- أبارهم: أهلكتهم.

٢- رهوا: يسيرا سهلا.

أهلى فداء لامرئ غير هالك أحل اليهود بالحسى المزنم (١)

يقيلون فى جمر العضاء و بدلوا أهىضب عودا بالودى المكمم (٢)

فإن يك ظنى صادقاً بمحمدتروا خيله بين الصلا و يرمرم (٣)

يؤم بها عمرو بن بهته إنهم عدو و ما حى صديق كمحرم

عليهن أبطال مساعير فى الوغى يهرون أطراف الوشىج المقوم (٤)

و كل رقيق الشفرتين مهندتورثن من أزمال عاد و جرهم

فمن مبلغ عنى قريشا رسالهفهل بعدهم فى المجد من متكرم

بأن أخاهم فاعلمن محمداتلید الندى بين الحجون و زمزم

فدينوا له بالحق تجسم أموركم و تسمو من الدنيا إلى كل معظم

نبى تلاقته من الله رحمهو لا تسألوه أمر غيب مرجم

فقد كان فى بدر لعمرى عسيرهلكم يا قريش و القلب الملمم

غداه أتى فى الخزرجيه عامدا إليكم مطيعا للعظيم المكرم ح.

١- الحسى: ما يحسى من الطعام. و المزنم: الرجل يكون فى القوم ليس منهم، يريد: أحلهم بأرض غربه فى غير عشائهم، و انظر الروض الأنف ج ٢ ص ١٧٧.

٢- جمر: الأصل خمر. و ما أثبتته من ابن هشام، و العضاء: شجر، و أهىضب: مكان مرتفع، و الودى: صغار النخل، و المكمم: الذى خرج كمامه.

٣- الصلا: موضع، و يرمرم: جبل.

٤- الوشىج: شجر الرّماح.

معانا بروح القدس ينكى عدوه رسولا من الرحمن حقا لم يتلعم

رسولا من الرحمن يتلو كتابه فلما أنار الحق لم يتلعم

أرى أمره يزداد فى كل موطن علوا لأمر حمه الله محكم قال ابن إسحاق: و قال على بن أبى طالب، و قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين، و لم أر أحدا يعرفها لعلى:

عرفت و من يعتدل يعرف و أيقنت حقا و لم أصدف

عن الكلم المحكم اللاء من لدى الله ذى الرأفة الأراف

رسائل تدرس فى المؤمنين بهن اصطفى أحمد المصطفى

فأصبح أحمد فينا عزيزا عزيز المقامه و الموقف

فيا أيها الموعده سفاها و لم يأت جورا و لم يعنف

ألستم تخافون أدنى العذاب و ما آمن الله كالأخوف

و أن تصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب أبى الأشرف

غداه رأى الله طغيانه و أعرض كالجمل الأجنف

فأنزل جبريل فى قتله بوحي إلى عبده ملطف

فدس الرسول رسولا له بأبيض ذى هبه مرهف

فباتت عيون له معولات متى ينح كعب لها تذرّف

و قلن لأحمد ذرنا قليلا فإنا من النوح لم نشتف

فخلاهم ثم قال اظعنوا حورا على رغم الأنف

و أجلى النضير إلى غربهو كانوا بدار ذوى أخرف

إلى أذرع رداً و هم على كل ذى ذمر أعجف و تركنا جوابها أيضا من سمال اليهودى قصدا.

ثم ذكر تعالى حكم الفى ء، و أنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله (صلى الله عليه و آله) و ملكها له، فوضعها رسول الله (صلى الله عليه و آله) حيث أراه الله تعالى.

كما ثبت فى الصحيحين، عن عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فكانت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) خاصة، فكان يعزل نفقه أهله سنه ثم يجعل ما بقى فى الكراع و السلاح عده فى سبيل الله.

إلى أن قال:

قال الإمام أحمد: حدثنا عارم و عفان، قالا: حدثنا معتمر: سمعت أبى يقول: حدثنا أنس بن مالك، عن نبى الله (صلى الله عليه و آله): أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله، حتى فتحت عليه قريظه و النضير، قال: فجعل يرد بعد ذلك.

قال: و إن أهلى أمرونى أن أتى نبى الله (صلى الله عليه و آله) فأسأله الذى كان أهله أعطوه، أو بعضه، و كان نبى الله (صلى الله عليه و آله) أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله.

قال: فسألت النبى (صلى الله عليه و آله) فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى و جعلت تقول: كلا و الله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكنهن و قد أعطانيهن أو كما قالت.

فقال النبى (صلى الله عليه و آله): لك كذا و كذا.

و تقول: كلا و الله.

قال: و يقول لك كذا و كذا، و تقول: كلا و الله.

قال: و يقول لك كذا و كذا، حتى أعطاها حسبت أنه قال عشره أمثاله، أو قال قريبا من عشره أمثاله أو كما قال. أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به. ثم ذكر ابن كثير و غيره:

قصة عمرو بن سعدى القرظي:

حين مر على ديار بني النضير و قد صارت بعدها ليس بها داع و لا مجيب، و قد كانت بنو النضير أشرف من بني قريظة، حتى حداه ذلك على الإسلام و أظهر صفه رسول الله (صلى الله عليه و آله) من التوراه.

قال الواقدي: حدثنا إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، قال: لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنزلهم، فرأى خرابها و فكر، ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم فى الكنيسة، فنفخ فى بوقهم، فاجتمعوا.

فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل؟. و كان لا يفارق الكنيسة و كان يتأله فى اليهوديه.

قال: رأيت اليوم عبرا قد عبرنا بها، رأيت منازل إخواننا خاليه بعد ذلك العز و الجلد، و الشرف الفاضل، و العقل البارع، قد تركوا أموالهم، و ملكها غيرهم، و خرجوا خروج ذل، و لا و التوراه ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجه، و قد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ثم بيته فى بيته آمناء، و أوقع بابن سنينه سيدهم، و أوقع ببني قينقاع فأجلاهم و هم أهل جد يهود، و كانوا أهل عده و سلاح و نجده، فحصرهم فلم يخرج إنسان

منهم رأسه حتى سباهم.

و كلهم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب. يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني و تعالوا نتبع محمدا، و الله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به و بأمره ابن الهيبان أبو عمير و ابن حراش، و هما أعلم يهود جاءنا يتوكفان قدومه و أمرانا باتباعه، جاءنا من بيت المقدس و أمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما و دفناهما بحرتنا هذه.

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم.

ثم أعاد هذا الكلام و نحوه، و خوفهم بالحرب و السب و الجلاء، فقال الزبير بن باطا: قد و التوراه قرأت صفته فى كتاب باطا، التوراه التى نزلت على موسى، ليس فى المثنائى الذى أحدثنا.

قال: فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من أتباعه؟

قال: أنت يا كعب.

قال كعب: فلم؟ و التوراه ما حلت بينك و بينه قط.

قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا و عقدنا فإن أتبعته أتبعناه و إن أبيت أبيتنا.

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب، فذكر ما تقاولا فى ذلك، إلى أن قال عمرو: ما عندى فى أمره إلا ما قلت، ما تطيب نفسى أن أصير تابعا! رواه البيهقى (١).

١- السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٤٥-١٥٦ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٤-٨١ و النصوص المتقدمه موجوده- كلا- أو بعضا- فى المصادر التاليه: الثقات ج ١- ص ٢٤٠-٢٤٣ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و فتوح البلدان قسم ١ ص ١٨-٢٢ و الوفاء ص ٦٨٩-٢١٣ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٣ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢ و ٢١٣ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٢-٤٣١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠-٤٦٣ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧-٢٦٢ و البحار ج ٢٠ ص ١٥٧-١٧٣ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و ٣٦٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٩٧ و ١٩٨ و ١١٩-١٢٣ و الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٣ و ١٧٤ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ١٩٩-٢١٢ و بهجه المحافظ ج ١ ص ٢١٣ و شرحه بهامشه، نفس الصفحات و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣٥٧-٣٦١ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠-٢٦٣ و أنساب الأشراف قسم حياه النبى (صلى الله عليه و آله) ج ١ ص ٣٣٩ و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج ٢ ص ٥٥٠-٥٥٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ فما بعدها، و مدارك التنزيل بهامشه، نفس الجزء و الصفحه، و تفسير جامع البيان ج ٢٨ ص ١٩ فما بعدها، و غرائب القرآن بهامشه ج ٢٨ ص ٢٩ فما بعدها و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ فما بعدها و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ فما بعدها و أحكام القرآن للجصاص

ج ٣ ص ٤٢٨ فما بعدها و أسباب النزول ص ٢٣٦ - ٢٣٩ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٦٤ فما بعدها و التفسير الكبير
ج ٢٩ ص ٢٧٨ فما بعدها و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و ٧١ و ٧٢ و كذلك في ج ٤ ص ٤٩٨ فما بعدها و العبر و ديوان المبتدأ و
الخير ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ - ٤٨٨ و تفسير الصافي ج ٥ ص ١٥٣ فما بعدها و تفسير البرهان ج ٤ ص
٣١٣ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٧ - ٢٠٢ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٨٣ و السيره
الحليه ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٧٠ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٠ - ٣٤٤ و عمدته القارى ج ١٢ ص ٤٣ و ج ١٧ ص
١٢٥ فما بعدها.

و النضير اسم جبل نزلوا به، فسموا باسمه (١).

القتال فى بنى النضير:

يقول اليعقوبى، بعد أن ذكر إنذار النبى (صلى الله عليه و آله) إياهم بالخروج من ديارهم و أموالهم، فلم يمثثوا استنادا لوعود ابن أبى و المنافقين: (.. فسار إليهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد العصر، فقاتلهم، فقتل منهم جماعه، و خذلهم عبد الله بن أبى و أصحابه، فلما رأوا:

أنه لا- قوه لهم على حرب رسول الله طلبوا الصلح، فصالحهم على أن يخرجوا من بلادهم و لهم ما حملت الإبل، من خرتى (٢) متاعهم. لا يخرجون معهم بذهب، و لا فضه، و لا سلاح) (٣).

و قال ابن الجوزى: (فقاموا على حصنهم يضربون بالنبل و الحجاره) (٤).

و عند البعض: أنه لما جاء يستعينهم: (هموا بالغدر به، و خرجوا يجمعون الرجال و السلاح) (٥).

و سيأتى- حين الحديث عن خراب بيوتهم- ما يدل على ذلك أيضا ..٢.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩.

٢- الخرتى: أردأ المتاع، راجع: لسان العرب ج ٢ ص ١٤٥.

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩.

٤- الوفاء ص ٦٨٩ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و سيره مغلطى ص ٥٣ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازرونى و غيره و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٧١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٥- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢.

و بعد أن ذكر الواقدي قدوم النبي (صلى الله عليه وآله) لحصارهم، قال:

(.. و جعلوا يرمون ذلك اليوم بالنبل و الحجارة، حتى أظلموا، و جعل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقدمون من كان تخلف في حاجته، حتى تماموا عند صلاه العشاء. فلما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) العشاء رجع إلى بيته في عشره من أصحابه، عليه الدرع، و هو على فرس، و قد استعمل عليا على العسكر، و يقال: أبا بكر.

و بات المسلمون يحاصرونهم، يكبرون حتى أصبحوا.

ثم أذن بلال بالمدينه، فعدا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأصحابه الذين كانوا معه، فصلى بالناس في فضاء بني خطمه، و استخلف على المدينه ابن أم مكتوم (١).

و سيأتي عن قريب: أن بعض النصوص تقول: إنه (صلى الله عليه وآله) حصرهم، و طلب منهم: أن يعطوه عهدا، فأبوا. فقاتلهم يومهم ذاك، ثم غدا على بني قريظه، و دعاهم إلى أن يعاهدوه، ففعلوا، فعدا على بني النضير بالكثائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء.

و إنما قاتلهم لأنه كان بينهم و بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد و مده، فنقضوا عهدهم (٢).

قال السمهودي بعد ذكره روايه ابن إسحاق: (و أصبح منه ما رواه ابنر.

١- مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٧١ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٢- تفسير القمي ج ٢ ص ٣٥٩. و مصادر كثيره أخرى ستأتي في الفصل الثاني حين الكلام حول تاريخ غزوه بني النضير.

مردويه، بسند صحيح: أنهم أجمعوا على الغدر، فبعثوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله): أخرج إلينا في ثلاثه من أصحابك، و يلقاك ثلاثه من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك.

فاشتمل اليهود الثلاثه على الخناجر، فأرسلت امرأه من بنى النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم، تخبره بأمر بنى النضير، فأخبر أخوها النبي (صلى الله عليه وآله) بأمر بنى النضير قبل أن يصل إليهم، فرجع و صبحهم بالكثائب. فحصرهم يومه، ثم غدا على بنى قريظه، فحاصرهم فعاهدوه.

فانصرف عنهم إلى بنى النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء الخ (١).

نصوص أخرى حول قضيه بنى النضير:

و فى بعض النصوص: أنه (صلى الله عليه وآله) أجلهم عشرا- أو ثلاث ليال- فمن رأى بعد ذلك ضربت عنقه، فمكثوا أياما يتجهزون، و أرسلوا إلى ظهر لهم بذى الجدر، و تكاروا من أشجع إبلا، فأرسل إليهم ابن أبى: أن ٩.

١- وفاة الوفاء ج ١ ص ٣٩٨ و حياه الصحابه ج ١ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ و قال الكاندهلوى: و أخرجه أيضا أبو داود من طريق عبد الرازق عن معمر بطوله مع زياده، و عبد الرزاق، و ابن المنذر و البيهقى فى الدلائل كما فى بذل المجهود ج ٤ ص ١٢٤ عن الدر المنثور. و عن عبد بن حميد فى تفسيره و راجع: شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و المصنف ج ٥ ص ٣٥٩ و تفسير لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و أسباب النزول ص ٢٣٧ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عبد الرازق، و عبد بن حميد، و أبى داود، و ابن المنذر و البيهقى فى الدلائل و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٦٤ و ٢٦٣ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩.

معه ألفين من قومه، و غيرهم من العرب، يدخلون معهم حصنهم، و يموتون عن آخرهم، و تمدهم قريظته، و حلفاؤهم من غطفان، فطمع حبي بن أخطب الخ .. (١).

و تذكر بعض النصوص: أنهم حين حاصرهم (صلى الله عليه و آله) و قطع نخلمهم، قالوا: نحن نخرج من بلادك ..

فقال (صلى الله عليه و آله): لا أقبله اليوم. و لكن اخرجوا منها، و لكم دماؤكم، و ما حملت الإبل، إلا الحلقه، فنزلت يهود على ذلك. و كان حاصرهم خمسة عشر يوما ..

إلى أن قال: و تحملوا على ستمائه بعير (٢).

و نلاحظ هنا: اختلاف النصوص فى مدة الحصار، من خمسة عشر يوما حسبما أشير إليه آنفا .. إلى: ست ليال (٣). ٣-

١- راجع على سبيل المثال: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٧.

٢- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و عمد القارى ج ١٧ ص ١٢٦ و حول حصرهم خمسة عشر يوما، راجع: الوفاء ص ٦٩٠ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٣ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و البحارج ٢٠ ص ١٦٥ و ١٦٦ عن الكازرونى و غيره، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٣ و أنساب الأشراف (قسم حياه النبى (صلى الله عليه و آله)) ص ٣٣٩.

٣- تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ٥٩ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن سيره ابن هشام، و عن الوفاء، و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٩٨ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣-

و قيل: خمسا و عشرين (١).

أو ثلاثا و عشرين و فيها نزلت صلاه الخوف (٢).

أو نيفا و عشرين (٣).

أو قريبا من عشرين (٤).

أو عشرين (٥).

أو إحدى و عشرين (٦).

و من جهه أخرى روى عن بعض أهل العلم: أن بنى النضير قد ألقوا الحجر على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأخذه جبرئيل (٧). ٣.

١- عمده القارى ج ١٧ ص ١٢٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٢- عمده القارى ج ١٧ ص ١٢٦ و الجامع للقيروانى ص ٢٧٨ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٣- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧.

٤- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢٦١.

٥- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٦- البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ عن الكازرونى و غيره و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و الكشف ج ٤ ص ٤٩٨ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و مدارك التنزيل بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤.

٧- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٣.

و فى نص آخر: أنه لما أشرف حامل الصخره بها أخبر النبى (صلى الله عليه و آله) جبرائيل بالأمر (١).

و كان الذين ذهبوا مع النبى (صلى الله عليه و آله) إلى بنى النضير، لا يبلغون عشره، و هم: أبو بكر، و عمر، و على، و طلحه، و الزبير، و سعد بن معاذ، و أسيد بن حضير، و سعد بن عباده (٢).

و فى روايه: لما رأوا قله أصحابه (صلى الله عليه و آله) قالوا: (نقتله، و نأخذ أصحابه أسارى إلى مكه، فنبيعهم من قريش) (٣).

(و لزم رسول الله (صلى الله عليه و آله) الدرع فبات فيه) (٤).

(و كان سعد بن عباده يحمل التمر إلى المسلمين) (٥).

و لم يغتهم أحد، و لم يقدر ابن أبى أن يصنع شيئاً، فجهدهم الحصار، و ضاقت عليهم الأحوال. فأرسلوا إلى النبى (صلى الله عليه و آله) و آله) بقبولهم الجلاء (٦).

و بعد حصارهم، و قطع نخلمهم قالوا: (يا محمد نخرج من بلادك، و أعطنا مالنا، فقال: لا، و لكن تخرجون و لكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا) ١١.

١- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و راجع: مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٥.

٢- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و المغازى ج ١ ص ٣٦٤ و عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣.

٤- مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٧٢.

٥- مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٧٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٦- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١.

ذلك، فبقوا أياما ثم قالوا: نخرج و لنا ما حملت الإبل، فقال: لا و لكن تخرجون و لا يحمل أحد منكم شيئا، فمن وجدنا معه شيئا من ذلك قتلناه.

فخرجوا على ذلك) (١).

و كان منهم جماعه من أولاد الأنصار، لأن المرأة من الأنصار كان إذا لم يعيش لها ولد تجعل على نفسها: إن عاش لها ولد، تهوده، فلما أجليت بنو النضير، قال آباء أولئك: لا ندع أبناءنا، و أنزل الله: لا إكراه في الدين (٢)، و هي مخصوصه بهؤلاء الذين تهودوا قبل الإسلام، و إلا .. فإكراه الكفار الحريين سائغ الخ .. (٣).

و قد ذكر البعض: أن ابن يامين قد جعل لرجل عشره دنانير، ليقتل عمرو بن جحاش (٤).٤.

١- تفسير القمي ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢ ص ١٦٩ و ١٧٠ عنه و راجع حول عدم قبول النبي (صلى الله عليه و آله) منهم: لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤-٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه نفس الجلد و الصفحه. و غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٣-٣٨ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و تفسير الصافي ج ٥ ص ١٥٥.

٢- الآية ٢٥٦ من سوره البقره.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠ عن أبي داود و لباب التأويل ج ١ ص ١٨٥ و فتح القدير ج ٥ ص ٢٧٥ عن أبي داود و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه و البيهقي في السنن و الضياء في المختاره و الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٨ عنهم و عن ابن منده في غرائب شعبه و عن النحاس في ناسخه و عبد بن حميد و سعيد بن منصور.

٤- مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

و ذكر البعض: أن المسلمين قد مشوا إلى بنى النضير على أرجلهم؛ لأنهم كانوا على ميلين من المدينة، و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) على حمار فحسب (١) أو على جمل (٢).

و كانت منازلهم بناحية الفرع، و ما يقربها، بقريه يقال لها: زهره (٣).

ليخبرن بما همتم به:

و تذكر النصوص: أنهم حين ائتمروا بإلقاء الصخره عليه (صلى الله عليه و آله) قال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، و الله، ليخبرن بما همتم به، و إنه لنقض العهد الذى بيننا و بينه (٤).

زاد الواقدي: ألا فو الله، لو فعلتم الذى تريدون، ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة، يستأصل اليهود، و يظهر دينه (٥).

و فى نص آخر: أنه (صلى الله عليه و آله) حين قام من بين أصحابه، ٥.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و راجع: ص ٢٦١ و ذكر المسافه فى فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧. و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١.

٢- غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٨ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١.

٣- و سيأتى توضيح ذلك مع مصادر أخرى إن شاء الله تعالى ..

٤- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠ و زاد المعاد ج ٢ ص

٧١ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٣ و عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٥.

٥- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٦٥.

و أبطأ، و لم يرجع قال كنانة بن صوريا: جاءه و الله الخبر الذى هممتم به (١).

و فى نص آخر: أنه قال لهم: هل تدرّون لم قام محمد؟!

قالوا: لا و الله، ما ندرى، و ما تدرى أنت!

قال: بلى و التوراه إنى لأدرى، قد أخبر محمد ما هممتم به من الغدر، فلا تخذعوا أنفسكم، و الله، إنه لرسول الله، و ما قام إلا لأنه أخبر بما هممتم به، و إنه لآخر الأنبياء، كنتم تطمعون أن يكون من بنى هارون، فجعله الله حيث شاء.

و إن كتبنا، الذى درسنا فى التوراه التى لم تغيّر و لم تبدل: أن مولده بمكة، و دار هجرته يثرب، و صفته بعينها لا تخالف حرفا مما فى كتابنا، و ما يأتىكم به أولى من محاربتة إياكم، و لكأنى أنظر إليكم ظاعنين، يتضاغى (٢) صبيانكم، قد تركتم دوركم خلوفا و أموالكم، و إنما هى شرفكم، فأطيعونى فى خصلتين، و الثالثه لا خير فيها.

قالوا: ما هما؟

قال: تسلمون و تدخلون مع محمد، فتأمنون على أموالكم، و أولادكم، و تكونون من عليه أصحابه، و تبقى بأيديكم أموالكم، و لا تخرجون من دياركم.

قالوا: لا نفارق التوراه، و عهد موسى.

قال: فإنه مرسل إليكم: أخرجوا من بلدى، فقولوا: نعم، فإنه لاح.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٢ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٦٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و زاد: من الغدر، فلا تخذعوا أنفسكم و الله، إنه لرسول الله، فأبوا أن يقبلوا.

٢- تضاغى: تصور من الجوع و صاح.

يستحل لكم دما ولا مالا، و تبقى أموالكم، إن شئتم بعتم، و إن شئتم أمسكنم.

قالوا: أما هذا فنعم.

قال: أما و الله إن الأخرى خيرهن لى، قال: أما و الله، لولا أنى أفضحكم لأسلمت، و لكن و الله، لا تعيّر شعثاء بإسلامى أبدا، حتى يصيبنى ما أصابكم، و ابنته شعثاء التى كان حسان ينسب بها، فقال: سلام بن مشكم: قد كنت لما صنعتم كارها الخ (١).

ثم أرسل إليهم النبى (صلى الله عليه و آله) محمد بن مسلمة و ذكرهم بما كانوا ذكروه له من علامات النبى الموعود، و المنطبة على رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و تستمر الروايه إلى أن تذكر رفض حيبى بن أخطب مغادره بلادهم، فقال له سلام بن مشكم:

لا تفعل يا حيبى، فو الله، إنك لتعلم و نعلم معك: أنه رسول الله، و أن صفته عندنا، و إن لم نتبعه، حسدناه حين خرجت النبوه من بنى هارون.

فتعال، فلنقبل ما أعطانا من الأمن، و نخرج من بلاده. فقد عرفت أنك خالفتنى فى الغدر به، فإذا كان أوان الثمر جئنا، أو جاءه من جاء منا إلى ثمره. فباعها و صنع ما بدا له، ثم انصرف إلينا. فكأننا لم نخرج من بلادنا إذا.

١- مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٥ و ٣٦٦ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٦-٤٢٧ و يوجد ملخص عنه فى إعلام الورى ص ٨٨ و

٨٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٣-١٦٩ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣.

كانت أموالنا بأيدينا الخ .. (١).

و فى نص آخر: (فجاء عمرو بن جحاش إلى رضى عظيمه، ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، و جاء فأخبره، فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله) راجعا إلى المدينه.

ثم دعا عليا، و قال: لا تبرح مقامك. فمن خرج عليك من أصحابى، فسألك عنى، فقل: توجه إلى المدينه، ففعل ذلك على، حتى انصبوا إليه، ثم تبعوه و لحقوا به) (٢).

كانت تلك طائفه من النصوص الوارده حول قضيه بنى النضير، و قد حان الآن وقت تسجيل ما يفيد و يجدى فى الاستفاده منها، أو فى التأييد، أو التفنيد لأى منها، فيما سيأتى فى الفصل الثانى.٤.

١- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٨ و ٤٢٩.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و راجع البحار ج ٢٠ ص ١٤٤ عن الكازرونى و غيره و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤.

ص: ٦٣

الفصل الثاني: قبل أن تدق الطبول

أشاره

بدايه:

قد تقدمت فى الفصل السابق طائفه من النصوص التى تتحدث عن غزوه بنى النضير، أو عن بعض ما يتصل بها، و سنجد فيما يلى من مطالب و فصول كثيرا من النصوص التى اقتضى البحث إيرادها، لسبب أو لآخر ..

و حيث إن لنا الكثير من الوقفات و التساؤلات، بل و تراودنا شكوك قويه حول عدد منها، فإننا نشير إلى شىء من ذلك ضمن البحوث التى أوردناها فى هذا الفصل و فيما يليه من فصول، فنقول ..

و من الله نستمد العون، و منه نطلب التوفيق و التسديد:

إن أول ما يطالعنا فى نصوص قضيه بنى النضير هو:

الاختلافات الفاحشه:

إن هناك الكثير من الموارد التى اختلفت فيها النصوص و تناقضت بصوره فاحشه و ظاهره.

و ما دام: أن المهم هو الإلماح إلى أن الواقع لا يمكن أن يكون هو كل ما تضمنته تلك الروايات و المنقولات، و إنما هو واحد، و واحد فقط .. فإننا نكل أمر تقصى هذه الاختلافات إلى القارئ نفسه، إن وجد ضروره إلى ذلك.

و لأجل ذلك، فنحن نصرف عنان الكلام إلى التركيز على مفاصل أساسيه، نجد أنها بحاجة لمزيد من البحث، و الجهد. و إن كنا قد اكتفينا فيها بما يتناسب في حجمه و مستواه مع سائر بحوث الكتاب و فصوله.

و أول ما نبدأ الحديث عنه هنا هو:

تاريخ غزوه بنى النضير:

قالوا: إن غزوه بنى النضير كانت سنه أربع، في شهر ربيع الأول منها، خرج إليهم عشيه الجمعه لتسع مضين من ربيع الأول، ثم راح إليهم عشيه الثلاثاء.

و قد جعلها ابن إسحاق بعد سريه بئر معونه. و هذا مذكور في معظم المصادر فلا حاجة إلى تعداد مصادره ..

و لكن قال الزهرى، و كذا روى عن عروه و عن عائشه: إنها كانت بعد غزوه بدر بسته أشهر (١)ن-

١- راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٤٤٢-٤٤٤ و ليراجع في قول الزهرى وحده، أو منضمًا إلى غيره المصادر التاليه: الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٠ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٤ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٦٥ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و الجامع للقيروانى ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢ و ٣٣٤ و الأموال ص ١٥ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣٦ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١١٩ و ١٩٧ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٧ عن-

و هو ما جرى عليه البخارى، و ذهب إليه النووى و غيره (١).

أما نحن فنقول:

إن هذا هو الصحيح، و ذلك للأمور التاليه:

١- إنهم يقولون: إن أبا سلمه بن عبد الأسد قد استفاد من أرض بنى النضير (٢).

و من المعلوم: أن أبا سلمه قد مات قبل شهر ربيع الأول سنه أربع، ٩.

-
- ١- راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٣-٢١٣ و فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٥ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩ و راجع: مرآه الجنان ج ١ ص ٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣٦ و جوامع الجامع ص ٤٤٨. و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ حيث استغرب من السهيلي ترجيحه قول الزهرى و راجع أيضا: وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٢-١٩٧.
- ٢- الطبقات الكبرى ج ١ ص ٥٨ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٨٠. و قالوا: إنه (صلى الله عليه و آله) أعطاه أرضا تسمى (ويله). و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٥٧ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

و قبل بئر معونه.

و قال ابن حبان، بعد ذكره غزوه بنى النضير مباشرة: (ثم رجع رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى المدينة، ثم بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) أبا سلمه بن عبد الأسد إلى ماء لبنى أسد الخ ..) (١).

٢- إنهم يقولون: إن الحارث بن الصمه قد استفاد هو الآخر من أراضي بنى النضير (٢).

مع أنهم يدعون: أن الحارث هذا قد قتل في بئر معونه، فكيف تكون غزوه بنى النضير بعدها؟

هذا .. بالإضافة إلى أننا قد قدمنا: أن تاريخ سريه بئر معونه كان قبل السنه الرابعه، فراجع ما ذكرناه هناك.

و جعل قتله في بئر معونه دليلا على ضعف هذا الخبر (٣)، ليس بأولى من العكس، أى جعل استفادته من أراضي بنى النضير دليلا على عدم صحه ٩.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤٣.

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥١ عن المدارك، و عن معالم التنزيل و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جوامع الجامع ص ٤٨٧ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٥ و الكشاف ج ٤ ص ٥٠٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و راجع ص ١٤ و ٢٤ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٧١ و ١٧٧٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ عن غير ابن إسحاق، و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٦ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

قتله فى بئر معونه. و لا أقل من أنه يدل على تقدم غزوه بنى النضير على تلك الغزوه التى يقال: إنه قد قتل فيها. و يتأكد ذلك إذا عرفنا أن أحدهما ليس ناظرا إلى الآخر، مع ملاحظه: أنه لا داعى للجعل و الوضع فى أى من الموردين، بالنسبه إلى هذا الرجل بخصوصه.

تذكير بما سبق:

و لنا هنا ملاحظه و هى: أن ابن التين قد قوى أن تكون غزوه بنى النضير بعد سريه بئر معونه، و ذلك استنادا إلى دليل لا يصح، و قد ذكرناه مع جوابه فى سريه بئر معونه فى الجزء السابق من هذا الكتاب، فليراجع هناك.

٣- إنه لا شك فى كون غزوه بنى النضير قد كانت قبل حرب الخندق بثمانيه أشهر فى أقل الأقوال.

و قد قويناه: أن تكون الخندق قد حصلت فى السنه الرابعه من الهجره و ليس فى السنه الخامسه منها (١)، فتكون غزوه بنى النضير قبلها ..

بل إن ابن إسحاق- الذى ذكر: أن إجلاء بنى النضير قد كان بعد أحد أى فى السنه الرابعه- قد ذكر: أن فتح قريظه كان مرجعه (صلى الله عليه و آله) من الأحزاب (أى الخندق)، و بينهما سنتان (٢). ١.

١- راجع كتابنا: حديث الإفك ص ٩٦- ١٠٦ و الجزء الثامن من هذا الكتاب حين الحديث عن تحرر سلمان المحمدي (الفارسي) من الرق.

٢- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣٦ و راجع أيضا: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ١٢١.

فإذا كان بينهما سستان (و إذا كانت قريظه التي هي بعد الخندق مباشرة) في السنه الرابعه فلا شك في كون غزوه بنى النضير قد حصلت في السنه الثانيه، بعد بدر مباشره، لا بعد غزوه أحد.

٤- إن بعض النصوص تذكر: أن سبب غزوه بنى النضير هو: أن كفار قريش كتبوا- بعد بدر- إلى اليهود يهددونهم، و يأمرؤنهم بقتال رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأجمع حينئذ بنو النضير على الغدر، و أرسلوا إلى النبي (صلى الله عليه و آله): أن اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك.

ثم تذكر الروايه كيف: أن النبي (صلى الله عليه و آله) غدا عليهم بالكتائب فحصرهم، و طلب منهم العهد، فقاتلهم يومه ذاك ثم تركهم و غدا إلى بنى قريظه، و دعاهم إلى أن يعاهدوه ففعلوا. فانصرف عنهم إلى بنى النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء (١).

و عند العسقلاني: أن هذا أقوى مما ذكره ابن إسحاق من أن سبب غزوه بنى النضير هو طلبه (صلى الله عليه و آله) منهم المساعده في ديهه٦.

١- راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن المنذر و البيهقي: و أبي داود و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣، و المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٠ و سنن أبي داود ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٧ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٢ ص ٤٤٥ و ٤٤٦ و فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٥ عن ابن مردويه، و عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ١٢٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ و حياه الصحابه ج ١ ص ٣٩٧ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و مدارك التنزيل بهامشه نفس الصفحه و أسباب النزول ص ٢٣٦.

٥- إن عددا من النصوص يذكر: أن كعب بن الأشرف كان لا يزال حيا إلى حين غزوه بنى النضير، و أنه قد قتل حينها، أو بعدها

..

و من المعلوم: أن قتل كعب بن الأشرف قد كان على رأس خمسة و عشرين شهرا من الهجرة، و معنى ذلك هو صحه ما ذكر من أن هذه الغزوه قد كانت بعد ستة أشهر من بدر.

و نذكر من الشواهد على دور كعب فى هذه الغزوه ما يلى:

ألف: إن بعض النصوص تقول: إنه لما جاء النبى (صلى الله عليه و آله) إلى بنى النضير يستسلفهم فى ديه العامرين قصد أولا كعب بن الأشرف، فلما دخل عليه قال كعب: مرحبا يا أبا القاسم و أهلا. و قام كأنه يصف له الطعام، و حدث نفسه بأن يقتل رسول الله، و يتبع أصحابه، فنزل جبرئيل إلى النبى (صلى الله عليه و آله) فأخبره (٢).

ب: إن كعب بن الأشرف ذهب إلى مكة فى أربعين رجلا فاجتمع بأبى سفيان، و كان فى أربعين رجلا أيضا، و تعاهدا بين الأستار و الكعبه، فنزل جبرائيل بسوره الحشر. فبعث النبى (صلى الله عليه و آله) محمد بن مسلمه بقتله، فقتله فى الليل ثم قصد إليهم، و عمد إلى حصارهم، فضرب قبتة فى ٦.

١- فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥.

٢- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و إعلام الورى ص ٨٩ و البحار ج ٢ ص ١٦٣ و ١٦٩ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣. و راجع: مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٦.

بنى خطمه (١).

ج: و لكن ذكر الشيخ المفيد (رحمه الله) و غيره: أن قتل كعب بن الأشرف قد كان حين قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) للعشره، الذين خرجوا يلتمسون غره من المسلمين، قال المفيد (رحمه الله):

(و فى تلك الليله قتل كعب بن الأشرف و اصطفى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أموال بنى النضير) (٢).

و يفهم من الأربلى و غيره أيضا: أن قتل ابن الأشرف كان أثناء حصار بنى النضير، فراجع (٣).

د: و لكن آخرين يذكرون: أنه (صلى الله عليه و آله) إنما أمر بقتل كعب حين ذهب إلى بنى النضير، يستعينهم فى ديه العامرين، فاطلع على محاولتهم الغدر به، فانصرف راجعا، و أمر بقتل كعب بن الأشرف ثم أصبح غاديا عليهم بالكتائب، و كانوا بقرية يقال لها زهره، فوجدهم ينوحون على كعب، فقالوا: يا محمد، واعيه إثر واعيه، ثم حشدوا للحرب، و فى آخره: ه.

١- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٦٩ و راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و شرحه بهامش نفس الصفحه و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤. و البحار ج ٢٠ ص ١٥٨ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٣.

٢- الإرشاد للمفيد ص ٥٠ و كذا فى مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧.

٣- راجع: كشف الغمه ج ١ ص ٢٠١ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ و راجع المصادر المتقدمه.

قالوا: ذرنا نبكى سويعه، ثم ائتمر أمرك (١).

و على كل حال، فإن عددا من المؤرخين و المؤلفين قد صرحوا بأن غزوه بنى النضير كانت صبيحه قتل ابن الأشرف (٢).

ه: و يؤيد ذلك الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فى هذه المناسبه، فمنها قوله (عليه السلام):

و أن تصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب ابن الأشرف إلى أن قال:

فدس الرسول رسولا له بأبيض ذى هبه مرهف

فبات عيون له معولات متى ينع كعب لها تذرِف

و قلن لأحمد ذرنا قليلا فإنا من النوح لم نشف

فخلاهم ثم قال اظعنوا دحور على رغم الأنف ه.

١- راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ عن البخارى و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ عن مسلم و أبى داود و الترمذى، و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن معالم التنزيل، و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ عن عبد بن حميد فى تفسيره و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٨ و جوامع الجامع ص ٤٨٦، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و المصادر المتقدمه فى الهامش السابق و راجع: مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و البحار ج ٢٠ ص ١٥٨ و ١٥٩ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ عن عبد بن حميد فى تفسيره.

و أجلى النضير إلى غربه الخ .. (١)

فإن هذه الآيات إنما تقرر القصه المذكوره فيما تقدم ..

و: و يؤيد ذلك أيضا: أن البعض يقول: إن آيه: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا (٢)، يقال: نزلت في كعب بن الأشرف (٣).

و كذا قوله: وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (٤).

و معنى ذلك: أن قتل كعب كان سببا في هزيمتهم، و أن قتله قد كان بعد غدرهم، و إعلانهم للحرب على رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما يفهم من الآيات الشريفه.

ز: و أخيرا، فإن بعض النصوص تقول:- و ذاك أمر غريب حقا- إن كعب بن الأشرف قد اعتزل قتال بنى النضير، و زعم: أنه لم يظاهر على ٤.

١- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٧ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٥٢-١٥٣ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٩.

٢- الآيه ٢ من سوره الحشر.

٣- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و راجع: مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٤ و مدارك التنزيل المطبوع بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥. و راجع: و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣ عن أبى صالح، و السدى، و ابن جريج و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٩ و راجع: الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩ و جوامع الجامع ص ٤٨٤ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥.

٤- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦.

المسلمين، فتركه النبي (صلى الله عليه وآله) ثم انبعث يهجوهم و المؤمنين، ثم سار إلى قريش يستعديهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخ .. (١).

و لعل المراد: أنه اعتزل قتال بدر، و إلا.. فإن بقاءه إلى ما بعد غزوه بني النضير مما تضافرت النصوص التاريخية على خلافه فراجع حكاية مقتله في سيره ابن هشام، و الطبرى، و تاريخ الخميس، و غير ذلك.

٦- و سيأتى أنهم يقولون: إن آيه: لا- إكراه في الدين (٢) قد نزلت في غزوه بني النضير، و معلوم أن هذه الآية قد وردت في سورة البقره، التي نزلت في أوائل الهجرة و يبعد: أن يستمر نزولها إلى ما بعد بدر، حيث نزلت سورة الأنفال.

و لم يرد: أنه (صلى الله عليه وآله) قال لهم: ضعوا هذه الآية في السوره الفلانيه، فالظاهر: أنها في جملة الآيات التي نزلت تدريجا، فراجع في كيفية نزول القرآن ما ذكرناه في كتابنا: (حقائق هامه حول القرآن الكريم)، فصل:

الترتيب و النزول.

٧- و نشير أخيرا إلى أن الحاكم قد ذكر: أن إجلاء بني النضير و بنى قينقاع قد كان في زمان واحد (٣).٦.

١- تاريخ المدينة ج ٢ ص ٤٦١ و ٤٦٢ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٥ كلاهما عن البخارى و البيهقي.

٢- الآية ٢٥٦ من سورة البقره.

٣- فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦.

تهافت ظاهر:

و بعد ما تقدم، فإن القول: بأن هذه القضية قد حصلت في السنة الرابعة، لا يجتمع مع القول: بأنها كانت متزامنة مع قتل كعب بن الأشرف - كما صدر من البعض (١) - لأن ابن الأشرف قد قتل قبل هذا التاريخ بحوالى سنتين، كما يعلم بالمراجع له لكتب التاريخ و الرواية.

سبب غزوه بنى النضير:

لقد ذكرت معظم المصادر: أن سبب هذه الغزوه هو: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد جاءهم يستعينهم في ديه العامريين، اللذين قتلها بعض أصحابه بعد سريه بئر معونه، فأرادوا الغدر به، فجاءه الخبر من السماء، إلى آخر ما تقدم ذكره.

قال البعض: (و كانوا قد عاهدوا النبي (صلى الله عليه و آله) على ترك القتال، و على أن يعينوه في الديات) (٢).

و لكننا نجد في مقابل ذلك أقوالاً أخرى، و هي:

الأول: أن السبب هو أنهم قد طلبوا من النبي (صلى الله عليه و آله): أن يخرج إليهم في ثلاثه نفر، ليناقشوه في أمر الدين، و كانوا قد خبأوا الخناجر، فأرسلت إليه امرأه منهم - بواسطه أخيها - تعلمه بخيانتهم فلما أخبره.

١- راجع على سبيل المثال: ما قاله اليعقوبى في تاريخه ج ٢ ص ٤٩.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٣، و شرحه للأشخر اليمنى، مطبوع بهامشه، نفس الجلد و الصفحة.

بالأمر، رجع قبل أن يصل إليهم (١).

و يبدو أن هذه هي نفس الروايه القائله: إنهم طلبوا إليه أن يخرج إليهم فى ثلاثين رجلا، و هم فى مثلهم، ثم لما رأوا: أنه لا يمكن التفاهم فيما بين هذا العدد الكبير اقترحوا خروجه (صلى الله عليه و آله) فى ثلاثه، و منهم كذلك .. و قد كان ذلك بسبب تهديد قریش لهم بعد غزوه بدر (٢).

و قد تقدم: أن العسقلانى قد اعتبر هذه الروايه أقوى مما ذكره ابن إسحاق، و وافقه عليه جل أهل المغازى، من أن السبب هو أنه خرج إليهم فى ديه العامرين (٣).

و قد عرفنا فيما تقدم: أن هناك العديد من الدلائل و الشواهد التى تؤكد على أن غزوه بنى النضير، قد كانت قبل بئر معونه ..٥.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢.

٢- راجع هذه القضيه فى: دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٤٤٥ و ٤٤٦ و المصنف ج ٥ ص ٣٥٩ و ٣٦١ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و مدارك التنزيل مطبوع بهامشه نفس الصفحه و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ و حياه الصحابه ج ١ ص ٣٩٧ عن فتح البارى، و عن بذل المجهود ج ٤ ص ١٤٢ عن الدر المنثور و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ عن ابن مردويه، و عبد بن حميد فى تفسيره عن عبد الرزاق، و أسباب النزول ص ٢٣٦ و سنن أبى داود ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٧ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ١٢٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عبد الرزاق، و ابن المنذر، و أبى داود، و عبد بن حميد، و البيهقى فى الدلائل، و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٢٩٨.

٣- فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥.

فإن العامريين المشار إليهما هما اللذان قتلوا بعد بئر معونه، فلا ينسجم ذلك مع ما تقدم. و لا يصح ما ذكره ابن إسحاق، و إن كانا قد قتلوا قبل ذلك، و فى مناسبه و قضيه أخرى، فلا إشكال فيه من هذه الناحيه.

الثانى: قيل: إنه إنما ذهب إليهم لأخذ ديه العامريين لأن بنى النضير كانوا حلفاء لبنى عامر (١)، فيسهل الدفع منهم؛ لكون المدفوع لهم من حلفائهم (٢).

و لكن لا ندرى لماذا يريد أن يأخذ الديه من حلفاء المقتول، فهل جرت عادة العرب على ذلك؟!

أم أنه يريد إذلال بنى النضير فى ذلك؟!

فإذا كان كذلك، فهل المراد الإيحاء بأن ناقض العهد فى الحقيقه هو نفس رسول الله (صلى الله عليه و آله) و ذلك بغيا منه و تعديا فى أمر لا حق له به؟ نعوذ بالله من الخطأ و الخطل، فى القول العمل ..

الثالث: إن البعض يقول: إنه (صلى الله عليه و آله) قد ذهب إلى بنى النضير، ليسألهم كيف الديه عندهم، و ذلك للعهد الذى كان بينهم و بين بنى عامر (٣).

و لا- ندرى لماذا لم يكتف بإرسال بعض أصحابه إليهم ليسألوهم عن ذلك، و هل كان ثمة اتفاق خاص فى مقدار الديه فيما بين بنى النضير و بنى عامر، ق.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٣ و ٢٦٤.

٢- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠.

٣- المصدر السابق.

يختلف عن مقدارها لدى سائر الناس الذين يعيشون فى تلك المنطقه؟!

و إذا كان كذلك، فكيف يريد هو أن يدفع خصوص هذا المقدار الذى اتفق عليه هؤلاء، و لماذا لا يدفع المقدار المتعارف عليه فيما بين سائر الناس؟!.

و إذا كان يريد أن يدفع المقدار المتعارف عليه بين عامه الناس، فهل كان (صلى الله عليه و آله) يجهل هذا المقدار؟! و إذا كان- و العياذ بالله- يجهل به، فهل لم يكن أحد من أصحابه، من سائر أهل المدينة، و سائر القبائل و الأقاليم الذين يعيشون فيها و حولها، يعلم بمقدار الديه؟! حتى يحتاج إلى المسير مع جماعه من أصحابه إلى خصوص بنى النضير؟! ..

أم أن المقصود هو إظهار: أن النبى (صلى الله عليه و آله) لم يكن يعرف أحكام الشريعة السابقه- شريعه اليهود خاصه- دون غيرهم من سائر أهل الملل، فلا بد أن يتفضل عليه اليهود، و يعلموه مما عندهم، و يصبح مدينا لهم، هو و شريعته، و كل أتباعه من بعده؟

ثم ليثبت من خلال ذلك: أن النبى (صلى الله عليه و آله) كان يعمل بشريعه اليهود و أحكامهم!!

مع أنه (صلى الله عليه و آله) كان يخالفهم فى كل شىء حتى لقد عبروا عن استيائهم من أنه يريد أن لا يدع من أمرهم شيئاً إلا خالفهم فيه (١).

لا ندرى .. و لعل الفطن الذكى يدرى ..

فإننا لله و إنا إليه راجعون .. و لا حول و لا قوة إلا بالله. ٦.

١- راجع حول إصرار النبى (صلى الله عليه و آله) على مخالفه اليهود: الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ١٩٦.

الرابع: قد تقدم أن بنى النضير لما هزم المسلمون في أحد ارتابوا و نقضوا العهد، فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود إلى مكة، و حالفهم و عاقدهم على أن تكون كلمتهم واحده على محمد، ثم دخل أبو سفيان في أربعين و كعب بن الأشرف في أربعين المسجد، و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبه.

ثم رجع كعب و أصحابه إلى المدينة، و نزل جبرئيل، فأخبر النبي (صلى الله عليه و آله) بما تعاقد عليه كعب بن الأشرف و أبو سفيان، و أمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة الأنصارى، و كان أخاه من الرضاعة (١).

الخامس: ورد في نص آخر ما ملخصه: أنه ذهب مع أصحابه يستقرض مالا من كعب بن الأشرف، فحدث كعب نفسه بقتل النبي (صلى الله عليه و آله)، فأخبره جبرائيل، فقام كأنه يقضى حاجه، و عرف: أنهم لا- يقتلون أصحابه و هو حي، و أخذ طريق المدينة، فاستقبله بعض أصحاب كعب، فأخبر كعبا بذلك، و رجع المسلمون.

فأخبرهم ابن صوريا بأن رب محمد أطلعته على ما همّوا به، و أنه سوف يأمرهم بالجللاء إن لم يسلموا، فاختاروا الجلاء (٢).٦.

١- راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٥٨ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و قد تقدمت بقيه المصادر حين الحديث عن تاريخ غزوه بنى النضير، فلتراجع هناك.

٢- راجع: إعلام الورى ص ٨٨ و ٨٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٣ و ١٦٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٦.

و قد أسلفنا: أننا نرجح هذه الروايه التي تنص على وجود كعب بن الأشرف، و على دور له فى قضيه بنى النضير، و قد استحق بذلك الدور أن يأمر النبى (صلى الله عليه و آله) بقتله فقتل.

و لكننا لا ندرى حقيقه هذا الدور، فلعل كعبا قد عاقد أبا سفيان على حرب النبى (صلى الله عليه و آله) ثم هجا المسلمين، و شب بنسائهم، ثم حاول نقض العهد حين طلب منه النبى (صلى الله عليه و آله) الوفاء بتعهداته المالىه، حيث قد كان ثمه عهد ينص على التعاون فى الديات.

و كان ذلك من كعب بالتعاون مع قومه، حين انتدب عمرو بن جحاش لتنفيذ المهمه.

فكان أن تركهم رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قفل عائدا إلى أصحابه، فأمر بقتل كعب بن الأشرف، ثم غدا على بنى النضير بالكتائب.

فإن من الطبيعى أن نجد رسول الإسلام الأكرم (صلى الله عليه و آله) يتحمل منهم نقض العهد أكثر من مره، من أجل أن يقطع لهم كل عذر و تعلق فى ذلك، و ليتضح لكل أحد ما بيتوه من مكر و خداع، و ما أبطنوه من ختل و غدر، و يحق الله الحق بكلماته، و ليخزى الفاسقين، بفضل صبر الرسول (صلى الله عليه و آله) و أناته.

ثم جاء أهل الحديث و الروايه فذكروا كل واحده مما تقدم على أنها سبب مستقل لما جرى على هؤلاء الغدره الفجره، مع الذهول عن أن تكرر ذلك منهم قد جعل من مجموع تلك الأسباب و العوامل سببا واحدا لما حصل ..

روايه لا يعتمد عليها:

و تقدم فى الفصل الأول من هذا الباب روايه تقول:

إنهم حين جاءهم الرسول (صلى الله عليه و آله) و معه بعض أصحابه، فكروا فى أن يقتلوه، و يأخذوا من جاء معه من أصحابه أسرى، و يبيعوهم من أهل مكه.

و نحن نشك فى هذه الروايه أيضا، فإن أسر من جاء معه و بيعهم إلى أهل مكه، معناه إثارة حرب طاحنه فيما بين بنى النضير و بين الأوس و الخزرج، و من معهم من سائر المسلمين، و لن يمكنهم الوصول بهم إلى مكه قبل أن تنذر الرؤوس، و تطيح الأيدى، و تخرب البلاد، و تهلك العباد ..

و قد جرب اليهود حظهم مع الأوس و الخزرج فيما سبق، و استطاع هؤلاء أن يخرجوا أولئك من المدينه ليعيشوا حوالىها، و فى أطرافها.

و قد كان هذا و أمر اليهود مجتمع؛ فكيف تكون الحال بعد أن أجلى منهم بنو قينقاع مع كون العلاقات بين بنى قريظه و النضير غير متكافئه و لا طبيعیه بسبب التمييز الظالم لبنى النضير عليهم، حسبما أوضحناه حين الحديث حول كونهم بمنزله بنى المغيره فى قريش كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

و بعد أن أصبح بنو النضير أضعف ناصرا و أقل عددا، فإن التكفير بهذا الأمر يصبح فى عداد المحالات و الممتنعات ..

و ذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان، و لا إلى إقامه برهان.

نقض العهد .. والتكبير:

وقد ورد في بعض النصوص: أنهم حين أبلغوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنقض بني النضير للعهد أظهر التكبير، وقال: الله أكبر، حاربت يهود.. وكبر المسلمون بتكبيره (١).

كما تقدم: أن المسلمين باتوا يحاصرون بني النضير، و يكبرون حتى أصبحوا ..

و نقول: إن إظهار المسلمين للتكبير، و تكبير النبي (صلى الله عليه وآله) بالذات أمر له دلالاته الهامه، و آثاره الظاهره، و يتضح بعض ذلك ضمن النقاط التاليه:

١- لقد كان من الطبيعي أن يتوقع اليهود: أن يواجه النبي (صلى الله عليه وآله) و المسلمون نقضهم للعهد بكثير من القلق، و عدم الارتياح، بل و حتى بالخوف، و بالوجوم الناجم عن الارتباك، و التزلزل ..

و لكن النبي (صلى الله عليه وآله) و المسلمون قد قابلوا ذلك- و بسرعه غير متوقعه- بموقف لا يمكن أن يخطر لليهود على بال، الأمر الذي من شأنه أن يربكهم، و يوقعهم في حيره، و يثير لديهم أكثر من سؤال، ثم يززععهم.

١- راجع في ذلك ما يلي: الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و تفسير القمي ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٩ عنه و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٣ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١ و تفسير الصافي ج ٥ ص ١٥٤ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٠ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٤ و عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٦.

ثباتهم، و يذكى مخاوفهم، بصورة كبيره و خطيره

٢- إنه إذا كان يوجد فيما بين المسلمين من ينظر إلى اليهود نظره إجلال و إكبار، و يكن لهم فى نفسه قدرا من الثقه و الاحترام؛ فإن معنى ذلك هو أن نشاطات المنافقين- و على رأسهم عبد الله بن أبى- فى التخذيل عن حربهم، و الصد عن مواجعتهم، لسوف تجد مجالا واسعا، و لسوف تترك آثارها السلبيه على تماسك الصف الإسلامى فى مواجعتهم ..

و لعل وجود أبناء للمسلمين فى بنى النضير لسوف يجعل اتخاذ موقف حازم ضدهم على درجه من الصعوبه بالنسبه لكثير من الآباء، و من يتصل بهم بسبب، أو بآخر.

و لأجل ذلك، فإن توفر جو حماسى جماهيرى لسوف يضعف حاله التردد لدى هؤلاء و أولئك، و ينقلهم من أجواء الانسياقات العاطفيه، و الاندهاش و الانبهار بالانتفاخات غير الواقعيه، التى تؤثر فى نشوء حاله من التقديس غير المنطقى - ينقلهم- إلى أجواء الشعور بالقوه، ثم التغلب على عوامل الضعف النفسى من خلال مساعده العامل الداخلى، بعامل خارجى يعطيه القدره على الصمود و التصدى، كما و يعطيه المناعه و المصونيه من التأثر بعامل العاطفه منفصلا عن الإحساس بالمسؤوليه، أو التأثر بعامل التوهامات، و التقديسات، التى لا تركز على الدليل المقنع، و لا تقوم على التأمل القاطع لكل الشبهات، و لكل التساؤلات المنطقيه التى يثيرها العقل الفطرى السليم و الراشد.

و هكذا، فإن هذا العامل المساعد للإحساس الواقعى بالمسؤوليه، و القادر على المواجهه الحازمه، القائم على الدرايه و العقل، لسوف يضعف

من قدره اليهود و المنافقين على التأثير فى درجه التصميم على التصدى، أو التأثير فى خلخله الوضع الداخلى، و تميع الموقف بالاستفاده من عامل العاطفه أو عامل الانبهار القائم على التخيل و التوهم غير المنطقى و لا المسؤول.

٣- و إذا كان القرآن الكريم، و النبى الأسمى (صلى الله عليه و آله) و كذا التاريخ الطويل الزاخر بالأحداث قد قدم للمسلمين صورته تكاد تكون واضحه عن حاله الأخلاقية الذميمة لليهود، و عن طموحاتهم اللامنطقية و اللامشروعه و التى كانوا يدعمونها بتعاليم دينيه مزيفه، و يعملون على تحقيقها بسياساتهم الخبيثه فى مجال الإعلام و السياسه، و الاقتصاد، و كل نشاطاتهم الاجتماعيه- إذا كان كذلك- فإن صدق هذه النبوءه، المتمثل فى بروز صفه الغدر و الخيانه فيهم على صعيد الواقع بصوره ملموسه و ظاهره للعيان، لسوف يمسح عن أعين الكثيرين غبار الخداع و الانخداع، و لسوف تكون فى ذلك آيه أخرى تدل على صدق هذا النبى الأكرم، و على حقانيه موقفه، و صواب سياساته منهم و يقطع من ثم كل عذر، و يزيل كل شبهه، فقد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (١)، وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ (٢).

نقض العهد و المؤامره:

هذا، و نجد: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد اعتبر تأمرهم عليف.

١- الآيه ٢٥٦ من سوره البقره.

٢- الآيه ٢٩ من سوره الكهف.

حياته، و محاولتهم اغتياله، و إن لم ينجحوا فى مجال تنفيذ ذلك، نقضا للعهد يبرر مواجهتهم بالموقف الصارم و الحازم. و واضح: أن اغتيال القيادة الإسلاميه هو أجلى مظاهر الخيانه، و أخطرها، و لا يجب أن ننتظر من الخائنين إعلانهم للحرب، و التصدى الفعلى و الظاهر لها، كما ربما يفترضه البعض.

المعاهدات فى الإسلام:

و يحدثنا التاريخ: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد عاهد بنى النضير، كما عاهد غيرهم، و لعل أبرز عهد عقده هو عهد الحديبيه، حيث أمر بكتابه نسختين للكتاب (١) لأن بالكتابه يتم الحفاظ على النص، و يمكن الالتزام به، و يكون مرجعا لا يمكن التشكيك و لا المراء فيه فيما إذا ثار خلاف. و قد اعتبر الإسلام هذه العهود وسيله لإيقاف الحروب، و لمنع من نشوبها، تتوفر للإنسان المسلم فى ظلها حريه التعبير، و حريه العمل و الحركه كما سنرى.

و هذا بالذات هو السر فى أننا نجد الإسلام قد أولى العهود و الاتفاقات أهميه بالغه، و رسم لها حدودها، و بين بوضوح تام مختلف الأصول و الأهداف التى لا بد من رعايتها، و الحفاظ عليها فيها.

و بديهى: أن دراسه هذا الموضوع بعمق، و الإلمام بجميع جوانبه إسلاميا و تاريخيا، يتطلب بذل جهد كبير، و يحتاج إلى دارسه مستقله و منفصله، و إلى وقت يتيح الفرصه للاطلاع على قدر كاف من الآياتا.

١- آثار الحرب فى الفقه الإسلامى ص ٦٥٩ عن السياسه الشرعيه، للبتا.

الشريفه و النصوص الوارده عن النبي (صلى الله عليه و آله) و الأئمه (عليهم السلام)، ثم دراسه المعاهدات التى عقدت فى صدر الإسلام و ظروفها، و لا نجد أنفسنا قادرين على توفير ذلك فى ظروفنا الراهنه.

إلا- أن ذلك لا- يمنع من إيراد إلماحه سريعه، ترتكز- عموما- على بعض ما ورد فى هذا المجال فى خصوص نهج البلاغه، فنقول:

من عهد الأشر:

قال (عليه السلام) فى عهده لمالك الأشر:

(.. و لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك و لله فيه رضا؛ فإن فى الصلح دعه لجنودك، و راحه من همومك، و أمنا لبلادك، و لكن الحذر كل الحذر من عدوك، بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، و اتهم فى ذلك حسن الظن.

و إن عقدت بينك و بين عدوك عقده، أو ألبسته منك ذمه، فحط عهدك بالوفاء، و ارع ذمتك بالأمانه، و اجعل نفسك جنه دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض الله شىء الناس أشد عليه اجتماعا، مع تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهد.

و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر^(١)؛ فلا تغدرن بذمتك، و لا تخيسن بعهدك، و لا تختلن عدوك؛ ك.

١- هذا يؤيد بما قدمناه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب من أن العرب كانوا أوفياء بعهودهم، و قد فرض عليهم هذا الأمر طبيعه الحياه التى كانوا يعيشونها حيث رأوا: أنه لا يمكنهم العيش بدون ذلك.

فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى.

و قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حرىما يسكنون إلى منعه، و يستفيضون إلى جواره؛ فلا إدغال، و لا مدالسه و لا خداع فيه.

و لا تعقد عقدا يجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقه، و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر لزمك ترجو انفراجه، و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، و أن تحيط بك من الله طلبته، فلا تستقبل فيها دنياك و آخرتك (١).

١- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج ٣ ص ١١٧ و ١١٨ و معادن الحكمه ج ١ ص ١٠٩ و تحف العقول ص ١٢٦ و دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٥٠ و البحار ج ٨ ص ٦٠٩ ثم شرحه، و ج ٧٧ ص ٢٤٠ عن النهج و التحف، و مستدرک الوسائل ج ٣ ص ١٩٥ و أضاف العلامة المحقق الأحمدي: أن بعضه قد نقل فى كنز العمال ج ١٥ ص ١٦٥ و ١٦٦ عن الدينورى، و ابن عساكر، و مآثر الإنافه ج ٣ ص ٦ عن صبح الأعشى، و مفتاح الأفكار. و أشار إليه النجاشى فى رجاله ص ٧ و ذكر سنده أيضا الشيخ فى الفهرست. و قال فى معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٢٢٢: طريق الشيخ إلى عهد مالك الأشتر صحيح. و ذكره فى نهج السعاده ج ٥ ص ٥٨ عن جمع ممن تقدم، و قال: روى قطعه منه مسندا فى تاريخ الشام ج ٣٨ ص ٨٧ و فى النسخه المرسله ص ١٩٣. و ذكر فى خاتمه المستدرک ص ٢١٨ عن مجله المقتطف عدد ٤٢ ص ٢٤٨: أنه نقله عن نسخه السلطان بايزيد الثانى، و فى دستور معالم الحكم ص ١٤٩ شواهد لهذا العهد، و نقله فى مصادر نهج البلاغه عن جمع ممن تقدم، و عن نهايه الإرب للنويرى ج ٦ ص ١٩. ثم ذكر فى مصادر نهج البلاغه بعضا من شرح هذا العهد، مثل: آداب الملوك لرفيع الدين التبريزى، و أساس السياسه فى تأسيس الرئاسة للكجورى الطهرانى، و التحفه السليمانيه للبحرانى، و الراعى و الرعيه لتوفيق الفكيكى، و السياسه العلويه لآل مظفر (خطيه). و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للمجلسى، و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للمولى محمد باقر القزوينى، و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للميرزا محمد التنكابنى. و شرح عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) للشيخ هادى القائنى البيرجندى، و شرح الفاضل بدايح نكار المثبت فى المآثر و الآثار، و نصايح الملوك لأبى الحسن العاملى. و مقتبس السياسه و سياج الرئاسة للشيخ محمد عبده، و شرحه و طبع على حده، و القانون الأ-كبر فى شرح عهد الأشتر للسيد مهدي السويج (مخطوط) و مع الإمام فى عهده لمالك الأشتر للشيخ محمد باقر الناصرى. و نزيد هنا فى ما يرتبط بشروحه، ما أورده السيد هبه الدين الشهرستانى فى مقدمته لكتاب الراعى و الرعيه ص ٨ و ٩ و الشيخ آقا بزرك الطهرانى فى كتابه الذريعه ص ٣٧٣ و ٣٧٥ و ج ١٥ ص ٣٥٣، حيث أضافا إلى شروح العهد: شرح الحسين الهمدانى الموسوم بهديه الحسام لهدايه الحكام. و شرح محمد صالح الروغنى القزوينى، من علماء القرن الحادى عشر، و دستور حكمت. و ترجمه الوصال الشيرازى المتوفى سنه ١٢٧٤ و نظمه شعرا بالفارسيه. و ترجمه محمد جلال هذا العهد إلى التركيه، و نظمه شعرا بالتركيه. فرمان مبارك لجواد فاضل. و عنوان رياست (ترجمه لهذا العهد أيضا للسيد على أكبر بن سلطان العلماء السيد محمد النقوى اللكنهوى). هذا كله عدا عن شرح شراح النهج له فى ضمنه كالمعتزلى و ابن ميثم و غيرهما. بقى أن نشير إلى أن صاحب الذريعه قد قال فى ج ١٥ ص ٢٦٢: (نسخه العهد بخط ياقوت المستعصمى موجوده فى المكتبه الخديويه بمصر

تاریخ فراغها سنه ثمانین و ستمائنه کما فی فهرسها).

الوفاء بالعهد:

أما بالنسبة إلى ضروره الالتزام بالعهود و الوفاء بها، حتى لغير المسلمين، فإن الله تعالى يقول: فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ (١).

و يقول سبحانه: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٢).

و يقول: .. وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ (٣).

و فى آيه أخرى: وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا (٤). فقد جعل الله العهد مع الأعداء عهداً لله سبحانه ..

الشرط الأساس فى كل عهد:

و بعد .. فإن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد قرر: أن الشرط الأساس فى كل عهد هو أن يكون (لله فيه رضا) كما ورد فى عهده (عليه السلام) للأشتر (رحمه الله).

و واضح: أن رضا الله سبحانه إنما هو فى حفظ مصلحه الإسلام العليا، و كرامه المسلمين، و حریتهم فى الدعوه إلى الله سبحانه بأمن و دعه و اطمئنان.

و حين يكون الداعى للصالح الذى فيه رضا الله سبحانه هو العدو فإن معنى ذلك هو أن العدو قد اعترف بك، و بموقعك، و أصبح على استعداد لأن يقبل شروطك العادله، و معنى ذلك هو: أنك تكون قد سجلت نصرال.

١- الآية ٤ من سوره التوبه.

٢- الآية ٣٤ من سوره الإسراء.

٣- الآية ٩١ من سوره النحل.

٤- الآية ٦١ من سوره الأنفال.

من أقرب طريق و أيسره.

و أما إذا دعاك هذا العدو إلى صلح ظالم و فيه ذل للمسلمين، و وهن على الإسلام، فإن من الطبيعي أن ترفض صلحا كهذا لأنه تسجيل انتصار للعدو من أسهل طريق ..

و ثمه شرط آخر: لا بد من توفره فى أى عهد، و ذلك من أجل أن يحتفظ بقيمته، و بفعاليته، فى حسم الصراع، ثم من أجل أن لا يوجب عقد العهد ضعفا فى موقف المسلمين، و فتح باب التشكيك فى حقهم، أو إعطاء فرصه المناوره للباطل.

و هذا الشرط لا بد للجانب المحق من الاهتمام به، و العمل على توفيره بصوره أجلى و أتم، و هو أن: (لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقه).

أى أنه لا بد أن لا تكون فى العهد إبهامات يمكن التشبث بها من قبل العدو، كما أنه لا بد أن يكون نفس العهد هو المعيار و المرجع و الفيصل فى الأمور، فلا يعتمد على مواعيد أو لحن قول، فإن ذلك يوجب وهنا فى العهد نفسه، و فيه فتح باب النقض، و الخيانه، من دون أن يكون ثمه حرج ظاهر فى ذلك.

و ذلك يعتمد على نباهه و دقه ذلك الذى يتصدى لعقد العهد، و هو يتحمل مسؤوليه أى تقصير فى هذا المجال.

العهد لا تنقض، و هى ملزمه للجميع:

١- و نجد فى نص المعاهده التى كتبها على أمير المؤمنين (عليه السلام)

فيما بين ربيعته، اليمن، ما يدل على أن العهد ملزم لكل الآخرين الذين ينتمى إليهم المباشرون لعقد العهد .. وذلك يقطع أى عذر، و يمنع من أى تعلق، أو محاولة خداع.

و هذا مطلب عادل، و سليم، فإن كل الأمور التى تمس حياه المجتمعات، لا يمكن أن يعتمد فيها مبدأ موافقه كل فرد منها و لا سيما مع اختلاف المصالح، و تشتت الآراء، و تباين الأهواء، حسبما ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) فى فقره المنقوله عنه فى عهده للأشتر النخعي (رحمه الله) ..

٢- إن عتب العاتبين، و غضب الغاضبين، لا يجوز أن يجعل ذريعه لنقض العهد، ما دام أن إرضاء كل أحد غير ممكن، و لا سيما فى الأمور المرتبطه بمستقبل الجماعات، و علاقاتها و مواقفها، حتى و لو كان العاتبون و الغاضبون فريقا ثالثا، يريد أن يحصل على مكاسب سياسيه أو غيرها، و يكون له دور ما فى التحرك السياسى، أو تأثير- إيجابى أو سلبى- على ساحه الصراع.

فإذا كان القانون العام هو عدم نقض العهد بسبب ذلك، فلا بد أن تنقطع أطماع الطامعين، ما دام أن عتبههم لن يجدى نفعا، و لن يؤثر شيئا.

٣- إن العهد لا ينقض لأجل استدلال قوم قوما، و لا لمسبه قوم قوما؛ فإن تعرض فريق للاستدلال من قبل فريق آخر، بسبب عقده للعهد، و كذا اتخاذ عقد العهد من قوم وسيله لتعيرهم و مسبتهم، لا يبرر للعاقدين له نقض عهدهم ..

و إذا .. فإن من يقدم على عهد، لا بد و أن يعلم مسبقا: أنه لا بد له من الوفاء بما عقده، حتى فى أشق الأحوال، و أصعبها، فهو إذن عالم بما يفعل،

و مطلع على نتائجه مسبقا، و قد أقدم مختارا على ذلك .. فعليه أن يتحمل نتائج ما أقدم عليه ..

و قد أشار على أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ذلك كله في العهد الذي كتبه بين اليمن و ربيعه، فقد جاء فيه:

(.. لا- ينقضون عهدهم لمعتبه عاتب، و لا- لغضب غاضب، و لا لاستذلال قوم قوما و لا لمسبه قوم قوما على ذلك شاهدتهم و غائبهم، و سفيهم و عالمهم، و حلیمهم و جاهلهم، ثم إن عليهم عهد الله الخ ..) (١).

إحترام أمور المعاهدين:

و حين يكون المعاهدون يتمتعون بحمايه دوله الإسلام، فإن أموالهم - كأموال المسلمين - لا تمس، بل تبقى لهم، و يمارسون حريتهم التجاريه بصوره تامه ..

قال على أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتاب له إلى عمال الخراج:

(و لا تمسن مال أحد من الناس، مصل، أو معاهد، إلا أن تجدوا فرسا، أو سلاحا الخ ..) (٢).

المعاهدون لا يجفون و لا يقصون:

و قد كتب على أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بعض عماله: (و اعززا).

١- نهج البلاغه ج ٣ ص ١٤٨ الرساله رقم ٧٤.

٢- نهج البلاغه بشرح عبده ج ٣ ص ٩٠ الرساله رقم ٥١.

المسلمين، و لا تظلم المعاهدين) (١).

و كتب أيضا إلى عامل آخر له، يقول:

(أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظه و قسوه، و احتقارا و جفوه، و نظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشده، و داوول لهم بين القسوه و الرأفه، و أمزج لهم بين التقريب و الإذناء و الإبعاد و الإقصاء) (٢).

من نتائج الصلح و العهد:

و عن نتائج الصلح و العهد، فهي:

١- دعه الجنود.

٢- الراحه من الهموم.

٣- الأمن لبلاد المسلمين.

و ذلك معناه: أنك أصبحت قادرا على التخطيط للمستقبل لأنك قد ارتحت من همومك، و أصبحت قادرا أيضا على تنفيذ خططك، لأنك تملك الوقت الكافي، و الطاقات الفاعله، المهيأه للعمل الجاد و الدائب، دونما مانع أو رادع ..

كما أن هذا السلم و الأمن لسوف يجنب بلادك التعرض للأزمات الإقتصادية الحاده، و يحفظ مرافقها الإقتصادية و الحيويه من التدمير، أول.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠٠ و ٢٠١.

٢- نهج البلاغه ج ٣ ص ٢١ رساله رقم ١٩، و أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٦١ و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠٣. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٩ ص ٩٥ من نتائج الصلح و العهد: ص : ٩٤ هذا، عدا عن حفظ القوى الفاعله و المؤمنه من أن تتعرض للتدمير، أو للتشويه، ثم ما ينشأ عن ذلك من آثار إجتماعيه لا تجهل.

و يجب أن لا ننسى أن حاله عدم الاستقرار، بل و الخوف و عدم الأمن فى أحيان كثيرة، من شأنها أن تشل حركة المجتمع فى المجالات المختلفه، و تمنعه من أن يقوم بدوره على النحو المطلوب و المؤثر.

ثم هناك الحاله الفكرية و النفسية و كثير من السلبيات الأخرى، التى تنشأ عن ظروف الحرب، و تتفاعل بصوره تصاعديه فى كثير من المجالات، و القطاعات ..

و كل ذلك يمثل هموما حقيقه لآى حاكم يشعر بمسؤولياته الإلهيه، و الإنسانيه تجاه مجتمعه و أمته.

العهد .. و الحذر:

و إذا كان عقد العهد مع العدو لا يعنى أن العدو قد تنازل عن كل طموحاته، و صرف النظر عن كل مراداته و خططه، فإنه ربما يكون قد قارب ليجد الفرصه للوثوب، و إيراد الضربه القاصمه ..

فقد جاء النهى عن الاطمئنان لهذا العدو، حيث قد تقدم قول أمير المؤمنين (عليه السلام) فى عهده للأشتر: (و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم و اتهم فى ذلك حسن الظن).

و قال تعالى: وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ (١).

الخيانه فى حجمها الكبير:

و بما أن الله سبحانه قد جعل عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حرهما يسكنون إلى منعه، و يستفيضون إلى جواره، فإن الشرط الأساس فيه هو أنه لا إدغال، و لا مدالسه و لا خداع فيه؛ فإذا رأى أن العدو لا يعمل بشروط الصلح و مقتضيات العهد، و إنما هو يتآمر، و يعد العده للغدر، فإن نفس هذه الأعمال تكون نقضا منه للعهد، و تخليا عن شروطه، فلا معنى حينئذ للالتزام بهذا العهد من طرف واحد، و إنما لا بد من نبذ العهد إليه و معاملته معامله الخائن المجرم، قال تعالى: وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٢).

و عن على (عليه السلام): الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، و الغدر بأهل الغدر وفاء عند الله (٣).

و بالنسبه إلى بنى النضير، فإنهم قد مارسوا الخيانه فى أشبع صورها و أفضعها، حين تأمروا على القيادة الإسلاميه و الإلهيه، فرد الله كيدهم إلى ٦.

١- الآية ١٠٢ من سوره النساء.

٢- الآية ٥٨ من سوره الأنفال.

٣- نهج البلاغه ج ٣ ص ٢١٠ الحكمة رقم ٢٥٩ و غرر الحكم ج ١ ص ٦٠ و روض الأختيار ص ١١١ و ربيع الأبرار ج ٣ ص ٣٧٥ و مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٤٩. و غرر الخصائص الواضحه ص ٥٩ و مصادر نهج البلاغه ج ٤ ص ٤ و ص ٤٠١ عن بعض من تقدم و عن شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ٢١٦.

نحورهم، و حفظ الله نبيه، و أعز دينه، و أدال المسلمين من أعدائهم، من أسهل الطرق، و أيسر السبل.

الوفاء بالعهد ضروره حياتيه:

و نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أوجب على و اليه الوفاء بالعهد، بل هو قد طلب منه أن يجعل نفسه جنه دون ما أعطاه.

و قد علل ذلك: بأنه من الأمور التي اتفقت عليها جميع الناس، رغم تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم، و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم، و ذلك انطلاقا من إحساسهم بضروره ذلك، حين رأوا: عواقب الغدر الوخيمه، التي من شأنها أن تدمر حياتهم، و تقضى على كل نبضات الراحة و الاستقرار فيها.

و لكنهم قد خالفوا ضميرهم و وجدانهم، و كل المعايير الأخلاقيه، و العقليه فى تعاملهم مع المسلمين، حيث أجازوا لأنفسهم نقض عهودهم معهم، و تحمل كل ما لذلك من تبعات و نتائج .. و ذلك يدل على عدم انسجامهم مع قناعاتهم و لا مع فطرتهم فى مواقفهم تجاه الإسلام و المسلمين.

و قد اعتبر (عليه السلام): من يخيس بعهدده، و يغدر بذمته، و يختل عدوه، و يجترى على الله جاهلا لا يعرف الأمور و موارددها، و لا الصالح من الطالح، و هو شقى أيضا، لأنه بالإضافة إلى أنه يكون متجرئا على الله سبحانه فى ذلك، فإنه يكون قد جر على نفسه الكثير من المصائب و البلايا نتيجة لسياساته الخاطئه هذه.

و خلاصه الأمر: أن العهد فى الإسلام ليس وسيله للمكر و الخداع

بهدف الإيقاع بالعدو، وإنما هو أمانه ضميريه، ذات قاعده إيمانيه أساسيه؛ فلا بد من رعايتها و الوفاء بها و لا يسوغ نقض العهد (بغير حق) حتى و لو كان فيه ما يوجب الضيق كما تقدم فى عهد على (عليه السلام) للأشتر، و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) قوله: (لا دين لمن لا عهد له) (١).

و قد مدح الله من يفى بعهده فقال: وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا .. (٢).

و قد ذم على (عليه السلام) عمرو بن العاص فقال: (و يسأل فيبخل، و يخون العهد) (٣).

و قد ذم (عليه السلام) أهل البصره بقوله: (و عهدكم شقاق) (٤).

و قال (عليه السلام): (و قد ترون عهود الله منقوضه فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون) (٥).

الغدر عجز و عدم ورع:

و قد قال على (عليه السلام): (إن الوفاء توأم الصدق، و لا أعلم جنه أوقى منه، و لا يغدر من علم كيف المرجع. و لقد أصبحنا فى زمان قد اتخذ ٤).

١- السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٣١ و غرر الخصاص الواضحه ص ٦٠.

٢- الآية ١٧٧ من سوره البقره.

٣- نهج البلاغه ج ١ ص ١٤٥ الخطبه رقم ٨٠.

٤- نهج البلاغه الخطبه رقم ١٢ ج ١ ص ٤٠ و الأخبار الطوال ص ١٥١ و ربيع الأبرار ج ١ ص ٣٠٨.

٥- نهج البلاغه الخطبه رقم ١٠٢ ج ١ ص ٢٠٤.

أكثر أهله الغدر كيسا، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله، ما لهم؟

قاتلهم الله. قد يرى الحَوْل القَلْب وجه الحيله، و دونه مانع من أمر الله و نهيه؛ فیدعها رأى عين بعد القدره عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجه له فى الدين) (١).

الغادر هو الذى يعاقب:

و طبيعى أن ينال العقاب خصوص أولئك الذين ينقضون العهد، و يخونون أماناتهم، و قد أوضح ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما قال:

مع أنى عارف لذى الطاعه منكم فضله، و لذى النصيحه حقه، غير متجاوز متهما إلى برىء، و لا ناكثا إلى وفئى) (٢).

السلاح فى أيدي المعاهدين:

كما أن من الطبيعى: أن يحتاط الحاكم الإسلامى، فلا يترك فى أيدي المعاهدين، الذين يعيشون فى ظل حكمه، و تحت حمايته، من السلاح و التجهيزات ما يشكل خطرا على أمن الدوله، مع التأكيد على احترام كل ما يعود إليهم من أموال و ممتلكات، و عدم المساس بها فى أى حال. قال على أمير المؤمنين (عليه السلام): (.. و لا تمسن مال أحد من الناس، مصل و لا معاهد، إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام؛ فإنه لا ينبغى للمسلم أن يدع ذلك فى أيدي أعداء الإسلام؛ فيكون شوكة عليه ٩.

١- نهج البلاغه بشرح عبده ج ١ ص ١٨٨ الخطبه رقم ٤٠.

٢- نهج البلاغه، بشرح عبده ج ٣ ص ٤١ الرساله رقم ٢٩.

موقف له دلالاته:

و من المعلوم: أن مواقف على أمير المؤمنين تعتبر التجسيد الدقيق و الحى لمفاهيم الإسلام، و أحكامه، و سياساته. و التاريخ يحدثنا: أنه حين بلغه (عليه السلام) إغاره خيل معاوية على بلاد المسلمين، خطب (عليه السلام) خطبه الجهاد المعروفه، و قد جاء فيها:

(هذا أخو غامد، و قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكرى، و أزال خيلكم عن مسالحها.

و لقد بلغنى: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمه، و الأخرى المعاهده، فينتزع حجلها، و قلبها، و قلائدها، و رعاتها (٢) ما تمنع منه إلا- بالاسترجاع و الاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلا منهم كلم، و لا أريق لهم دم؛ فلو أن امرء مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا) (٣).

و نحن نسجل هنا ما يلي: ٢.

١- نهج البلاغه ج ٣ ص ٩٠ الرساله رقم ٥١.

٢- الرعات: جمع رعته: القرط، و الحجل: الخلخال، و القلب: السوار.

٣- نهج البلاغه، بشرح عبده ج ١ ص ٦٤ و ٦٥ خطبه رقم ٢٦ و الأخبار الطوال ص ٢١١ و ٢١٢ و الغارات ج ٢ ص ٤٧٥ و ٤٧٦ و المبرد فى الكامل ج ١ ص ٢٠ و العقد الفريد ج ٤ ص ٧٠ و معانى الأخبار ص ٣١٠ و أنساب الأشراف (ط مؤسسه الأعلمی) ج ٢ ص ٤٤٢.

١- إن هذا الموقف منه (عليه السلام) يوضح لنا قيمة الإنسان في الإسلام، واهتمامه البالغ في الحفاظ على موقعه، و على كرامته و وجوده.

حتى إن الرجل الأول في الدوله الإسلاميه ليعانى من الألم و الأسى بسبب الاعتداء على كرامه الإنسان ما يجعل الموت أسفا على ما جرى أمرا مقبولا، بل يجعله هو الجدير و اللائق به. ثم هو (عليه السلام) يقرر: أن هذا الحدث لا بد أن يؤثر بهذا المستوى أيضا فى كل إنسان مسلم، من كان و مهما كان.

٢- إنه يعطى: أن أمير المؤمنين (عليه السلام)- و هو الذى يمثل نظره الإسلام الأصيله- ينظر بعين المساواه إلى كل من هم تحت سلطته، أو تحت حمايته، فهو يتألم للمرأة كما يتألم للرجل، و هو يتألم كذلك للمعاهده و التى هى على غير دينه، بنفس المستوى الذى يتألم فيه للمسلمه، و هو يطلب موقفا حازما تجاه الاعتداء على كرامتهما معا من كل مسلم، بنفس القوه و الفعاليه و التأثير فى رفع الظلامه و إعادته الحق إلى نصابه.

٣- إنه (عليه السلام) قد حاول إثارة الناس و تحريكهم بأسلوب عاطفى يلامس مشاعرهم و أحاسيسهم؛ فتحدث عن سلب المغيرين حلى النساء المسلمات و المعاهدات، و فى ذلك إثارة عاطفيه، و تحريك لا شعورى للناس، الذين سوف يسوؤهم الاعتداء على هذا الموجود الذى يمثل جانب الرقه و الحنان فى المجتمع.

٤- إنه (عليه السلام) إنما توقع من المرء (المسلم) أن يموت أسفا، و اعتبره جديرا بذلك، و حريا به .. و لعل هذا الأمر يشير إلى أن الإسلام هو ذلك الدين الذى يغرس فى الإنسان معانى إنسانيته، و يربيه تربيته إلهيه يحيا بها وجدانه، و تتنامى فيها خصائصه و مزاياه الإنسانيه، فيصلح حى

الشعور، صافى النفس، سليم الفكر، إلهى المزيا ..

٥- كما و نجده صلوات الله و سلامه عليه .. قد أهدر دماء المعتدين، و اعتبر أن أدنى جزاء لهم هو أن ينالهم كلم و جرح، و تهرق دماؤهم، رغم أن ما ارتكز عليه بيانه، و جعله منطلقا له فى تقريره هذا الجزء القاسى هو أمر لا يزيد على سلب الحجل و القلب و الرعاث من امرأ مسلمه و أخرى معاهده.

و ذلك لأن الميزان فى العقاب إنما هو درجة الجراه على الله و على المحرمات، ثم ما ينشأ عن ذلك من فساد و إفساد، فى البلاد و العباد.

٦- إنه (عليه السلام) إنما ركز على الجانب الإنسانى؛ فحاول أن يؤكد للناس لزوم نصره الضعيف، و الدفاع عنه و الحفاظ عليه، و أن ذلك هو مسؤوليه كل فرد قادر بالنسبه إليه .. و قد أثار انتباه الناس إلى جانب الضعف هذا حين قال: (ما تمنع منه إلا بالاسترجاع و الاسترحام) .. و ليكن من ثم مبدأ نصره الضعيف و الدفاع عنه من الأوليات التى يفرضها الوجدان الحى، و الضمير الإنسانى.

٧- ثم هناك الجانب التربوى، الذى يستهدف تركيز مفهوم العدالة فى التعامل، فلا يفرق بين مسلم و معاهد، ثم مفهوم عدم التغاضى عن المعتدين و المجرمين، و عدم التواكل فى رد العدوان. إلى غير ذلك مما لا مجال لتفصيله هنا.

وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن:

و بعد .. فإننا حين نقرأ التاريخ، فما يلفت نظرنا هو تكرر الغدر من اليهود، و استمرارهم فى نقض العهود و المواثيق، مره بعد أخرى، كما كان الحال بالنسبه لبني قينقاع، و بنى النضير، و بنى قريظه.

و نجد فى مقابل ذلك التزاما تاما من قبل النبى (صلى الله عليه و آله) بالعهود و الموائيق المعقوده.

و نحن نشير هنا إلى الأمور الثلاثة التالیه:

الأول:

بالنسبه لعدم التزام اليهود فى عهودهم نقول: إن ذلك طبيعى بالنسبه إلى قوم يزنون الأمور بموازين الربح و الخساره فى الدنيا؛ فإن من كان كذلك لا يلتزم بالصدق - مثلا- لأجل أن له قيمه أخلاقيه أو إنسانيه، أو لأن فيه رضا الله سبحانه و تعالى و إنما يلتزم به لأنه يجلب له نفعا دنيويا ملموسا، أو يدفع عنه ضررا كذلك .. و بدون ذلك؛ فإنه لا يجد مبررا و لا دافعا للالتزام به، بل هو حين يلتزم بصدق لا- يشعر بنفعه الدنيوى يجد نفسه متناقضا مع مبدئه، و مع منطلقاته فى التفكير و فى العمل، التى رضىها لنفسه.

و كذلك الحال بالنسبه لسائر الكمالات و الفضائل الإنسانيه، و بالنسبه لكل الالتزامات، و العهود، و الموائيق، التى يفرضها عليه واقع دنيوى معين؛ فإنه إذا تجاوز ذلك الواقع، فسوف لا يجد ما يبرر التزامه بذلك الكمال، و تلك الفضيله، أو وفاءه بهذا العهد و الميثاق، أو ذاك. بل كل المبررات متضافره لديه، و كل القناعات حاكمه عليه بلزوم نقضها، و النكث بها، و الالتزام بضدها.

الثانى:

بالنسبه لالتزام النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمين بعهودهم و موائيقهم:

فقد اتضح: أنهم لا بد أن يكونوا فيها على العكس من اليهود تماما، إذ قد أصبح من البديهى: أن العهد، و الميثاق و كل شىء آخر يفرضه عليهم

الشرع، و العقل، و الإنسانيه، إنما يمثل لهم قيمه أخلاقية و إنسانيه، وحدا شرعيا، لا بد لهم من الالتزام به، و الوقوف عنده: إن ذلك يمثل جزءا من وجودهم، و من شخصيتهم، و إن الإخلال به سوف يوقعهم فى تناقض مع أنفسهم بالدرجه الأولى، و لسوف يجعلهم وجها لوجه مع أحكام العقل، و مقتضيات الفطره.

الثالث:

أما بالنسبه لموقف المسلمين الصارم و الحازم من ناقضى العهود و الموائيق، فإن ذلك هو ما تفرضه عليهم المسؤوليات الإنسانيه و الإسلاميه أيضا، بعد أن رضى أولئك المعتدون و الناقضون للعهود بتحمل نتائج عملهم، و أصبحوا و باء يريد أن يغتال فرص الخير من بين أيدي أهلها، و أحق الناس بها.

و ذلك لأن نقض العهود معناه: استخدام مناشئ القوه فى سبيل ضرب مواقع الخير، و مناشئ، و تكريس الامتيازات لجهه الشر، و الانحراف، الذى لا بد أن تنال سلبياته، و يمتد و باؤه إلى كل مواقع الخير، و السلامه و يقضى عليها.

فتصبح الحركه لضرب الشر فى مواقعه و مناشئه حاله طبيعیه يمارسها الإنسان المسلم، و مسؤوليه إلهيه و إنسانيه، و عقليه، و فطريه، يفرضها واقع الحياه، و حق الدفاع عن الوجود، و عن الإنسانيه و الفطره.

الجرأه و مبرراتها:

و بعد كل ما تقدم، فإن السؤال الذى ربما يراود ذهن البعض هو: أنه قد تقدم: أن اليهود، و كل من لا يؤمن بالآخره، و كذلك كل من يرى: أن الدنيا هى كل شىء بالنسبه إليه .. لا يمكنهم أن يقدموا على الموت و على

التضحيه بالنفس إلا- فى حالات نادره، تتدخل فيها عناصر من شأنها أن تلقى و لو فى فترات قصيره و خاطفه تأثيرات تلك الرؤيه، و ذلك الفهم الخاطئ، لموضوع المعاد و الجزاء، و للآخره، و انعكاسات ذلك الفكر، أو حيث لا يكون لهم ثمه خيار آخر يمكنهم اللجوء إليه، و الاعتماد عليه.

و معنى ذلك هو: أن اليهود، و كذلك المشركين، سوف لا- يكونون قادرين على اتخاذ قرار الحرب، و هم يرون أنها سوف تحرق الأخضر و اليابس؛ فكيف يمكن فهم غدرهم بعهودهم، و نقضهم لمواثيقهم، ثم سعيهم لإثارة الحروب مع الآخرين، ثم تحالفهم مع المشركين و المنافقين لحرب المسلمين؟! أليس الأنسب بطريقتهم فى التفكير، و الأحرى و الأجدر بهم، فى ظل ماديتهم، و عدم إيمان الكثيرين منهم بالآخره، أن يعيشوا بسلام مع المسلمين، و مع غيرهم، و أن يتعدوا بأنفسهم عن كل ما يثير، و يوجب تأزما فى العلاقات، مع أى طرف كان؟!

و الجواب:

أن ذلك صحيح فى حد نفسه لو لا أن اليهود كانوا واقعين تحت تأثير التصورات و الأمور التاليه:

١- إنهم يرون: أن الخطر الذى يتهددهم من جهه المسلمين، أعظم و أشد، و هو حتمى بالنسبه إليهم .. أما الخطر الآتى من قبل نكث العهود، و ما ينشأ عنه من حروب، و مشاكل، فليس - بنظرهم - بهذه الدرجه من الحتميه، و لا- هو بهذا المستوى من الخطوره، فقد كانت الحرب نفسها تخضع لاحتمالات إيجابيه بالنسبه إليهم سواء على مستوى القرار لديهم - لاحتمال مساعده المشركين و المنافقين لهم، أو على مستوى القرار لدى الفريق الآخر،

و هم المسلمون- و لا- سيما بملا-حظه وجود المنافقين فيهم- حيث يرون أن الوضع العام للمسلمين لا يسمح لهم باتخاذ قرار الحرب، الأمر الذى يجعل ارتكاب أخطار الحرب أهون عليهم، و أقرب إلى احتمالات السلامه لهم. أو على مستوى النتائج، و الآثار، بالنسبه لكلا الفريقين على حد سواء.

٢- إن المسلمين، و إن كانوا قد أثبتوا- و لا سيما فى حرب بدر- أنهم مقاتلون من الدرجة الأولى، و أنهم لا يهتمهم شىء سوى رضا الله سبحانه ..

فإن هذا الامتياز يمكن أن يصبح غير ذى أهميه، حينما تكون ثمه حصون قادره على جعل كل هذه الكفاءات بدون أثر و لا جدوى، و هو ما أشار إليه سبحانه بقوله: .. وَ ظُنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ .. (١).

و من الواضح: أن المسلمين لم يثبتوا بعد: أن لديهم قدرات، و كفاءات لمواجهة حصون اليهود، أو غيرهم.

٣- إن اليهود يعتقدون: أنهم أبناء الله و أحباؤه، و أنهم شعب الله المختار، و معنى ذلك هو: أن دعوه محمد (صلى الله عليه و آله) سوف تصبح خطرا أكيدا على امتيازهم هذا الذى يرون فيه مبرر وجودهم، و رمز كل عزتهم، و خلاصه مجدهم.

فكانوا يجدون أنفسهم ملزمين بإضعاف أمر هذه الدعوه، و إسقاطها، بقدر ما هم مكلفون بالحفاظ على حياتهم و وجودهم، و كل خصائصهم.

و هم معنيون أكثر من أى فريق آخر بذلك؛ لأن خسارتهم هذه الورقه، و فقدانهم هذا الأمر إنما يعنى خسارتهم لكل شىء. ر.

و ما ذلك إلا لأنهم يزنون الأمور بميزان مادي بحث من جهه و لأن الحاله الشعوريه الانفعاليه قد أصبحت هي المهيمنه على كل تفكيرهم، و على كل تصوراتهم، و هي التي تحركهم في هذا الاتجاه تاره، و في ذاك الاتجاه من جهه أخرى.

التصوير الحاقد، و التزوير الرخيص:

و يحاول البعض أن يقول: إن النبي (صلى الله عليه و آله) قد ذهب إلى بنى النضير، ليطلب منهم مساعده لدفع ديه العامريين، و لما كانت النضير حليفه عامر؛ فلا شك أن تعقيدات نتجت عن ذلك، و إن كانت المصادر لا تتحدث عنها.

و لربما فكر محمد بأن على اليهود أن يدفعوا أكثر مما يدفعه متوسط سكان المدينه، فراق لليهود أن يدفعوا أقل (١).

و نقول:

إن ملاحظه العبارات الآنفه الذكر تعطينا: أن الهدف هو الإيحاء بأن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يطلب من بنى النضير دفع شىء لم يكونوا ملزمين بدفعه.

و أنه قد أخرجهم بطلبه ذاك، للحلف الذى كان بينهم و بين بنى عامر.

و إذا، فبنو النضير يصبحون ضحيه أطماع ماليه لا مبرر لها، و لا يصح مطالبتهم بها، لا واقعا، و لا أخلاقيا. ٢.

كما أن إخراجهم بسبب الحلف المشار إليه، يصبح عملا لا إنسانيا و لا أخلاقيا.

فكيف إذا كانت المساومه فيما بين المستجدي و الضحيه قد بلغت حدا نتجت عنه تعقيدات نزل الوحي الشيطاني بها على هؤلاء رغم أن المصادر لم تتحدث عنها؟!!

و فوق ذلك، فقد بلغ الصلف، و الظلم، و الابتزاز حدا من الدناءه و السوء جعل محمدا- و العياذ بالله- يفكر في أن يحملهم القسط الأكبر في ديّه رجلين لم يكن لهم في قتلهم يد، لا من قريب، و لا من بعيد، و ينزل الوحي الشيطاني أيضا على هؤلاء ليقول لهم: إن محمدا قد فكر في ذلك، لكن راق لليهود أن يدفعوا أقل.

و لكن اليهود المظلومين (!!) الذين وقعوا في فخ الأطماع الرخيصة (!!) عادوا فاستسلموا لهذا الظلم المقيت (!!) و أعلنوا أنهم على استعداد لإعطاء جواب مرض.

ثم تعاملوا مع هذا الذي يريد أن يبتزهم بأخلاقه عاليه و نبيله، حين طلبوا منه أن يستريح، بينما كانوا يعدون له الطعام.

مزید من التجنى:

ثم يتابع هذا الحاقد كلامه عن ذكر إرسال النبي (صلى الله عليه و آله) إليهم يأمرهم بمغادره المدينه، تحت طائله الموت في مده عشره أيام، على أن يبقى نخلهم لهم؛ و يحتفظوا بنصف المحصول، فيقول:

(إن هذا الإنذار لا يتناسب مع الإهانه، أو الادعاءات الغامضه، بصدد

خيانته مقصوده ..

و مع ذلك، يمكن لهذه الادعاءات: أن لا تبدو غامضه لرجل غربى فى أيامنا هذه. فقد كان الفريقان يعلمان كيف عامل بعض المسلمين كعب بن الأشرف.

و كان محمد يعلم جيدا- حسب الآراء السائده فى الجزيره العربيه آنذاك- أنه إذا سنحت الفرصه المناسبه انتهزها أعداؤه، و قتلوه. و كان التأخير فى إعطاء الجواب لإتاحه الفرصه لقتله، و لهذا اعتبر عملا عدائيا .. (١).

و نقول:

إننا لم نفهم السبب فى وضوح هذه الادعاءات، و خروجها عن الغموض لخصوص الرجل الغربى فى أيامنا هذه (!!)

كما أن هذا الباحث (!!) لم يقل لنا: ما هو حجم الإنذار الذى يتناسب مع الإهانه و الخيانته، إذا كان إنذاره (صلى الله عليه و آله) لا يتناسب معهما (!!).

فهل يقصد هذا الباحث (!!) أن المفروض هو أن يكون قتل بنى النضير هو الجزاء العادل لخياتتهم، و تأمرهم، و نقضهم للعهد؟

أم أنه يقصد: أن طلب الجلاء منهم مع احتفاظهم بنخلهم، و يكون لهم نصف المحصول، كان جزاء ظالما، لا- يصح طلبه من الخائن المتآمر، الناقض للعهد، و الموثيق؟! ..

و بعد .. فإن هذا الباحث (!!) يريد أن يوحى لقرائه بأن كعب بن الأشرف قد قتل مظلوما أيضا، و أن المسلمين قد عاملوه بقسوه لا يستحقها.

و لا ندرى إن كان قبل أن يظهر تعاطفه مع هذا الرجل قد اطلع على ٣.

سلسله خيانات ابن الأشرف، و مواقفه الظالمه، و سعيه الحثيث للإيقاع بالمسلمين، أم لم يطلع على شىء من ذلك ..

و هل يستطيع: أى نظام حكم غربى - يدعى لنفسه الحضاره و الرقى - فى هذا العصر، أن يحكم على أمثال كعب بن الأشرف و يجازيه بأقل مما حكم عليه به المسلمون، و جازوه به؟! ..

و بعد كل ما تقدم، لماذا اعتبر هذا الباحث: أن ما يذكره النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون عن خيانات بنى النضير، و تآمرهم، و نقضهم العهد مجرد ادعاءات غامضه؟! و ها نحن نراها واضحه و ضوح الشمس، و تقدم تفصيلات وافية، مستندها الوحي الإلهى عن خطط اليهود، و مواقفهم.

و لم يستطع اليهود: أن يدفعوا التهمه عن أنفسهم، و لا حاولوا ذلك و لو مره واحده.

هذا كله، عدا عما تقدم من أن أخبار المؤامره و الخيانه قد وصلت إلى المسلمين أيضا عن طريق بعض اليهود أنفسهم (١).

و نكتفى بهذا القدر من الأسئلة، التى لن تجد لها لدى هؤلاء الحاقدين جوابا مقنعا و مفيدا.

فإنما هى: (شئنه أعرفها من أخزم).

١- تقدم ذلك مع مصادره حين الكلام عن إخبار المرأه أخاها المسلم عن تآمر اليهود على حياه النبى (صلى الله عليه و آله).

ص: ١١١

الفصل الثالث: القرار و الحصار

اشاره

القرار الحكيم:

لقد كان من المتوقع - بعد نقض بنى النضير للعهد، و خيانتهم الظاهره-:

أن يكون قرار النبي (صلى الله عليه و آله) هو حربهم و قتالهم، و إباده خضرائهم؛ فإن ذلك هو الجزاء العادل لكل خائن و غادر، و لا سيما إذا كان يخطط و يتآمر، ثم يعمل على تنفيذ خططه بضرب الإسلام فى الصميم، على مستوى ضرب مقام النبوه و القياده فى أعلى مستوياتها، و أخلص تجلياتها.

و لكن الملاحظ هو: أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) قد آثر أن يعامل بنى النضير- كما عامل بنى قينقاع قبلهم- بمزيد من الرفق و التسامح، و لعل ذلك يرجع إلى الأمور التاليه:

١- إن هؤلاء القوم قد عاشوا دهرا فى هذه المنطقه، و أصبحت لديهم الكثير من العلاقات الإقتصاديه و التجارويه، و غيرها، إلى جانب علاقات الصداقه و المحبه مع سائر أهل البلاد الذين قبل كثير منهم الإسلام دينا و هداهم الله للإيمان ..

و إذا .. فقد يعز على الكثيرين ممن لهم معهم علاقات كهذه أن يروهم و قد حاقت بهم المصائب و البلايا، و اختطفت الكثيرين منهم أيدي المنايا، فيعتبرون أنهم قد عوملوا بقسوه بالغه، و بلا شفقه و لا رحمه، و قد كان

يمكن أن يكون الموقف أكثر مرونة و انعطافا و ملاءمه من ذلك.

٢- إن الكثيرين من الناس كانوا مبهورين بأهل الكتاب و اليهود بالذات، و ينظرون إليهم على أنهم مصدر العلوم و المعارف، و عندهم الكثير من الخفايا و الأسرار .. و على هذا فقد يفسر ضربهم بقسوه على أنه ناشئ عن حاله من التخوف منهم، أو الحسد و البغى عليهم.

و إذا كان كذلك فلا حرج من أن يتخيلهم المتخيلون شهداء و أبطالاً، لا بد من التأسف عليهم، بل و الحنين إليهم ..

٣- و من جهه أخرى، فإن رؤيه ذلهم و صغارهم، ثم مراقبه ما يصدر منهم خلال ذلك من مواقف ماكره و غادره، و من مخالقات صريحه للأعراف، و لأحكام العقل و الفطره، و الضمير، لسوف يساهم فى كشف زيفهم و خداعهم و غشهم للإسلام و للمسلمين.

كما أن رؤيه الكرامات الإلهيه الظاهره، و التأييدات الربانيه الخفيه منه تعالى لنبيه و للمسلمين، و نصره تعالى عليهم لسوف يرسخ حقانيه موقف الإسلام، و نبى الإسلام منهم.

هذا .. مع توفر المزيد من الفرص للإنسان المسلم الواعى للتأمل و التدبر فى ذلك كله، بعيدا عن الانفعالات و التشنجات، و فى منأى عن أعمال التضليل و التزوير، التى ربما يمارسها الكثيرون من المنافقين، و باقى اليهود الذين يتعاطفون معهم.

و من هنا .. فقد جاء قرار إجلائهم عن المدينه ليكون القرار الحكيم و الصائب، و ليكون هو الأوفق و الأنسب و الأقرب لتحقيق الأهداف الإلهيه الساميه و الكبرى.

و قد أبلغهم النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله) بقراره هذا، عن طريق رسول أرسله إليهم، ليرى ماذا يكون جوابهم و يعلم الناس حقيقه موقفهم ..

٤- كما أن فى ذلك التفافا أيضا على المنافقين، و على كل المتربصين بالمسلمين و الإسلام سوءا، من أن يجعلوا ذلك ذريعه للتحريض و التشهير بالإسلام و بنبيه الأكرم (صلى الله عليه و آله) ..

لماذا كان الرسول أوسيا؟:

إن النص التاريخي يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حين أراد أن ينذر بنى النضير، قال: ادعوا لى محمد بن مسلمه، فحين أتى أرسله إليهم ينذرهم بوجوب مغادرتهم مساكنهم (١). و لا بد لنا من وقفه هنا، لنعلم السر فى اختياره (صلى الله عليه و آله) هذا الرجل بالذات - محمد بن مسلمه - ليكون رسوله إلى يهود بنى النضير، فنقول: إن الأوس كانوا حلفاء لبنى.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٢، و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٦٧ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٧. و إرسال محمد بن مسلمه إليهم موجود فى مختلف المصادر، فراجع على سبيل المثال: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و إعلام الورى ص ٨٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٤٧ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ و ١٦٤ و ١٦٩ عن بعض من تقدم، و عن الكازرونى و غيره. و راجع سائر المصادر التى سلفت و ستأتى.

النضير (١)، و لربما كان يدور بخلداهم أن يكون للأوس دور إيجابى لصالحهم، و لا أقل من أن يكون لهم موقف فيه شىء من العطف، و عدم القسوه تجاههم ..

إذا عرفنا ذلك: فإن اختيار رجل من الأوس ليحمل رساله النبى (صلى الله عليه و آله) إليهم يأمرهم فيها بالجلاء، لسوف يزيد من يأسهم، و يضاعف من تخوفاتهم و هو يمثل ضربه روحيه موفقه ساهمت فى المزيد من إضعاف معنوياتهم، و جعلتهم يراجعون حساباتهم بجديه، ثم يرضخون للأمر الواقع.

و يكفى أن نذكر شاهدا على ذلك: أنهم حين جاءهم محمد بن مسلمة الأوسى بالخبر، قالوا:

(يا محمد، ما كنا نظن: أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس، فقال محمد بن مسلمة: تغيرت القلوب، و محا الإسلام العهود.

فقالوا: نتحمل.

فأرسل إليهم عبد الله بن أبى: لا تخرجوا الخ (٢).

بل فى بعض النصوص: أن محمد بن مسلمة هو الذى تولى إخراجهم من ديارهم (٣).

و قال الواقدى: (كان محمد بن مسلمة الذى ولى قبض الأموال ٤).

١- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٥ و راجع: مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٤.

٢- الثقات ج ١ ص ٢٤١ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٦٧.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازرونى و غيره، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧٤.

و الحلقة، و كشفهم عنها) (١).

و واضح: أن ذلك أيضا يضاعف ذلهم و خزيهم، و يزيد من آلامهم، و قد كان يفترض فيهم: أن يأخذوا من ذلك عظه و عبره، و أن يراجعوا حساباتهم بشأن هذا الرسول و دعوته؛ فقد تبين لهم أن الإسلام قد هيمن على القلوب و غيرها، و محا الإسلام العهود.

و معنى ذلك هو: أن ثمة رعايه إلهيه له (صلى الله عليه و آله)، و لدينه، و رسالته الظافره، و قد تجاوزت هذه الرعايه كل التوقعات، و قلبت جميع الموازين لديهم، و لدى غيرهم من المشركين، الذين كانوا يعيشون فى المنطقه، و كانوا يتعاملون مع النبى (صلى الله عليه و آله) و مع الدين الذى جاء به من موقع التحدى، و المكابره، و الجحود ..

فما كان أحراهم بعد أن عاينوا ما عاينوا من آيات بينات، و من كرامات و معجزات، أن يسلموا و يشهدوا لنبى الإسلام بالرساله و النبوه، و لكنهم لم يفعلوا .. بل جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا.

حامل اللواء:

و قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لعلى (عليه السلام): تقدم إلى بنى النضير، فأخذ أمير المؤمنين الرايه، و تقدم، و جاء رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و أحاط بحصنهم (٢).٤.

١- المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٧٧.

٢- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و عنه فى البحار ج ٢٠ ص ١٦٩ و الصافى ج ٥ ص ١٥٤.

و حسب نص آخر: و حمل لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) على بن أبى طالب (١).

و لكن الواقدي قال: (و قد استعمل عليا (عليه السلام) على العسكر، و قيل: أبا بكر) (٢).

و نقول: لا بد من الإشارة هنا إلى أمرين:

الأول: بالنسبة لاستعمال أبى بكر على العسكر، فإنه قول منسوب إلى مجهول، لم يجرؤ الواقدي على ذكر اسمه، و لا مستنده، و نحن نشك في كونه مختلفا و موضوعا على أبى بكر؛ و ذلك لما قدمناه من أن عليا كان صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) في بدر و في كل مشهد (٣) هـ.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و الوفاء ص ٦٨٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازرونى و غيره، و راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٥ و زاد المعاد ج ١ ص ٧١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١.

٢- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٣- راجع: ترجمه الإمام على أمير المؤمنين، من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودى) ج ١ ص ١٥٤. و ذخائر العقبى ص ٧٥ عن أحمد في المناقب، و الطبقات الكبرى ج ٣ قسم ١ ص ١٤ و كفايه الطالب ص ٣٣٦ و في هامشه عن كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبرانى، و راجع: هامش ص ١٨٠ من احتجاج الطبرسى عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧ و ٢٠٢ عن نظام الملك في أماليه. و راجع أيضا: مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلى ص ٢٠٠ و المناقب للخوارزمى ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و عمده القارى ج ١٦ ص ٢١٦ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٠٠ و تلخيصه -

و قد صرحوا: بأنه (صلى الله عليه و آله) لم يؤمر على على أحدا (عليه السلام) (١)، و قد كان (عليه السلام) فى غزاه بنى النضير، فكيف يكون قد أمر أبا بكر عليه؟!

و عدا عن ذلك كله .. فإن أبا بكر لم يكن معروفا بالشجاعه و الإقدام، إن لم نقل: إن الأمر كان على عكس ذلك تماما، حسبما أو ضحناه فى الجزء الثالث من هذا الكتاب، حين الكلام حول حرب بدر، و ما يذكر من شجاعه أبى بكر فيها، لبقائه مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى العريش.

و من الواضح: أن إماره الجيوش و راياتها إنما تكون بيد الشجعان و أصحاب النجده، قال على (عليه السلام): و هو يحث أصحابه على القتال:

(و رايتمكم فلا تميلوها، و لا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم، و المانعين الذمار منكم؛ فإن الصابرين على نزول الحقائق، هم الذين يحفون براياتهم و يكتنفونها؛ حفا فيها، و وراءها، و أمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، و لا يتقدمون عليها، فيفردوها) (٢). ٩.

١- المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٢٣ و البحار ج ٤٧ ص ١٢٧ عنه.

٢- نهج البلاغه ج ٢ ص ٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٥ ص ١٧ و الفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٧٣ و صفين ص ٢٣٥ و الكافى ج ٥ ص ٣٩.

و لعل الهدف من تلك الأكذوبه التي نسبها الواقدي إلى القيل: هو التشكيك فيما هو حق و صدق فيما يرتبط بعلي (عليه السلام)، و التخفيف من حده النقد الموجه إلى أبي بكر، بسبب ما عرف عنه من إحجام عن خوض الغمرات، و الفرار في مواطن الخطر، و التحدي الحقيقي، كما جرى له في أحد و خيبر و غيرهما، مما هو مسطور في كتب الحديث و التاريخ.

الثاني: إن من الواضح: أن حملة (عليه السلام) لرايه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و قيادته للعسكر لمما يزيد في رعب اليهود، و يهزمهم نفسياً.

كيف لا .. و قد كانت أخبار مواقفه و بطولاته في بدر- و كذا في أحد، لو صح كون غزوه بنى النضير بعدها، و قد استبعدناه- قد أرهبت و أرعبت القاصي و الداني، من أعداء الله و أعداء رسوله و دينه.

فهو قد قتل نصف قتلى المشركين، و شارك في قتل النصف الثاني في حرب بدر، و في أحد- لو كانت القضية بعدها- كان الفتح و حفظ الإسلام على يديه، و قد آثرت قريش الفرار على البقاء و القرار، حينما علمت أنه (عليه السلام) يلاحقها في غزوه حمراء الأسد، رغم ما كانت تشعر به من زهو و خيلاء بالنسبة للنتائج التي تمخضت عنها حرب أحد.

الفتح على يد علي عليه السلام:

إشارة

لما توجه رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى بنى النضير عمد إلى حصارهم، فضرب قبته في أقصى بنى خطمه من البطحاء.

فلما أقبل الليل رماه رجل من بنى النضير بسهم، فأصاب القبه، فأمر النبي (صلى الله عليه و آله) أن تحول قبته إلى السفح، و أحاط بها المهاجرون

و الأنصار. (و عند الواقدي: أنها حولت إلى مسجد الفضيل).

فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فقال الناس: يا رسول الله، لا نرى عليك.

فقال (صلى الله عليه و آله): أراه (١) في بعض ما يصلح شأنكم.

فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي (صلى الله عليه و آله) - و كان يقال له: عزورا - فطرحه بين يدي النبي (صلى الله عليه و آله).

فقال له النبي (صلى الله عليه و آله): كيف صنعت؟

فقال: إني رأيت هذا الخبيث جرياً شجاعاً؛ فكمنت له، و قلت: ما أجراه أن يخرج إذا اختلط الليل، يطلب منا غره.

فأقبل مصلتاً بسيفه، في تسعه نفر من اليهود؛ فشددت عليه، و قتلته، فأفلت أصحابه، و لم يبرحوا قريباً؛ فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) معه عشرة، فيهم أبو دجانة سماك بن خرشه، و سهل بن حنيف؛ فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن؛ فقتلوهم، و جاؤوا برؤوسهم إلى النبي (صلى الله عليه و آله) فأمر أن تطرح في بعض آبار بني خطمه.

و كان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

و في ذلك يقول حسان بن ثابت:

لله أي كريهه أبلتها ببنى قريظه و النفوس تطلع م.

١- في مغازي الواقدي و السيرة الحلبيه: دعوه فإنه في بعض شأنكم.

أردى رئيسهم و آب بتسعهطورا يشلهم (١) و طورا يدفع و حسب نص الواقدي و دحلان: أن القبه كانت من غرب (ضرب من الشجر) عليها مسوح، أرسل بها إليه سعد بن عباده فأمر بلالا، فضربها في موضع المسجد الصغير الذي بفضاء بنى خطمه و صلى بالناس في ذلك الفضاء، فلما رماها، (عزوك) - كما في الواقدي - بالسهم حولت إلى مسجد الفضيخ.

إلى أن تقول الروايه: فيئسوا من نصرهم، فقالوا: نحن نخرج من بلادك الخ .. (٢).

و نحن نسجل هنا الأمور التاليه:

١- الحكمة .. والمعجزه:

إن تحويل النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) قبه إلى السفح، حتى لا تنالها يد العدو، يعطينا: أنه (صلى الله عليه و آله) كان يتحرك من موقع الحكمة و التدبير، وفقا لأحكام العقل و جريا على مقتضيات الفطره.

و أما المعجزه، و التصرف الإلهي الغيبي، فإنما كان في حالات خاصه، حيث تمس الحاجه لذلك، و تفرضه ضروره حفظ الإسلام، و رمزه الأول، كما كان الحال بالنسبه لإخبار جبرئيل (عليه السلام) للنبي (صلى الله عليه ٢).

١- يشلهم بالسيف: يضربهم و يطردهم.

٢- راجع ما تقدم في المصادر التاليه: الإرشاد للمفيد ص ٤٩- ٥٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٢ و ١٧٣ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧ و المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧١ و ٣٧٢ و كشف الغمه للأربلي ج ١ ص ٢٠١ و ٢٥٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢.

و آله) بتأمر بنى النضير على حياته (صلى الله عليه و آله)، حينما ذهب إليهم يستمدهم فى ديّه العامرين، حسبما تقدم ..
و كما كان الحال بالنسبه إلى الإمداد بالملائكه فى حرب بدر، إلى غير ذلك من موارد فرضت التدخل الإلهى، و حدوث المعجزه و الكرامه، من أجل حفظ الإسلام فى منطلقاته الأساسيه، و فى رموزه الأولى و الكبيره.
و لعل تحول النبى (صلى الله عليه و آله) إلى السفح بعد وصول النبل إلى تلك الخيمه كان يهدف إلى تعليم المسلمين هذا الدرس بالذات بالإضافة إلى دروس أخرى تأتي.

٢- الشعور بالمسؤوليه:

إن تحرك أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام) لمواجهة الخطر اليهودى إنما جاء من منطلق الإحساس بالمسؤوليه، و نتيجته للشعور بالواجب، و الثقه بالله سبحانه .. حتى و لو لم يصدر الأمر به من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، تفاديا لبعض السلييات.

و هذا الإحساس و الشعور لم نجده عند سائر الصحابه، الذين كانوا حاضرين مع النبى (صلى الله عليه و آله)، و شهدوا ما شهدته على (عليه السلام)، و عاينوا ما عاينه.

٣- الأسرار العسكريه:

إن سريه تحرك أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام)، و عدم إفصاح النبى (صلى الله عليه و آله) عن طبيعه المهمه التى كان أمير المؤمنين بصدد تحقيقها، حتى إنه (صلى الله عليه و آله) لم يشر إلى أن طابعها كان عسكريا أو

استطلاعيا، أو تموينيا، أو غير ذلك ..

إن هذه السريه مطلوبه فى كل عمل عسكرى- إلا ما كان ذا طبيعه خاصه- ليمنح تحقيق الأهداف المتوخاه من ذلك العمل على النحو الأفضل و الأكمل.

و قد كان من الطبيعى أن يتسرب الخبر فى ظروف كهذه إلى بنى النضير- لو أفصح به النبى (صلى الله عليه و آله)- عن طريق المنافقين، و لعل ذلك يؤدي إلى تفويت الكثير من الفرص، و إلى أن تفقد العمليه عناصر هامه من شأنها أن تساعد على إحراز نصر كبير فيها، كأن يتمكن بنو النضير من نجده سريتهم العامله، و لا أقل من تمكن المنافقين من مساعده عناصر السريه اليهوديه على الفرار و النجاه، أو الاختفاء فى الأمكنه المناسبه لذلك ..

٤- دراسه شخصيه العدو:

إن قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنى رأيت هذا الخبيث جريًا شجاعا؛ فكمنت له، و قلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الليل، فيطلب منا غره) يعطينا: أنه لا بد من دراسه حالات العدو، و خصائصه النفسيه، فإن لذلك أثرا كبيرا فى العمل العسكرى، و له دور هام فى تعيين مستقبل الحرب، و أسلوب حركتها و نتائجها.

٥- إستباق مخططات العدو:

إن كلمه أمير المؤمنين (عليه السلام)، الأنفه المذكر، لتعطينا: أنه لا بد من أن تكون لدى الكوادر القياديه القدره على التنبؤ بما يمكن أن يخطط له العدو، و طرح الافتراضات و الخيارات كافه التى يمكن أن يلجأ إليها،

لمواجهتها من موقع الوعي و الدراسات و التخطيط، حتى لا- تتحول إلى مفاجأه يتعامل معها من موقع العفويه و الارتجال، و رده الفعل، و الانفعال.

٦- العمليات الوقائيه:

و بعد .. فلم تكن مبادره أمير المؤمنين لإفشال المخططات المحتمل للعدو إلا إيدانا بضروره القيام بعمليات وقائيه، و ضرب العدو في مواقعه، و بصوره مفاجئه، و قويه، فإن ذلك من شأنه أن يلحق به هزيمه نفسيه، فضلا عن الهزيمه العسكريه الساحقه.

٧- إرهابات:

إن شعر حسان الأنف المذكور يدل على: أن عليا (عليه الصلاه و السلام) هو الذي آب بالتسعه، و أنه قد قتل بعضهم، و آب بالبعض الآخر أحياء.

و لعل دور العشره الذين أرسلهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) معه قد اقتصر على أمور ثانويه و هامشيه في عمليه أسر التسعه، أو قتلهم، و إن الدور المصيري و الأهم إنما كان لأمير المؤمنين (عليه السلام).

و لأجل ذلك لا يصغى إلى ما ذكره الحلبي، حينما ذكر إرسال العشره مع علي (عليه السلام) لقتل التسعه فقتلوهم، و طرحوهم في بعض الآبار، حيث قال الحلبي: (.. و في هذا رد على بعض الرافضه حيث ادّعى: أن عليا هو القاتل لأولئك العشره) (١). ٥.

٨- الفتح على يد علي عليه السلام:

و كان من الطبيعي: أن يكون لهذه الضربه تأثير كبير على معنويات بنى النضير، و أن يضح الرعب فى قلوبهم. فإن تصدى رجل واحد من المسلمين لعشره منهم، ثم قتل العشره جميعا، يؤذن بأن المسلمين قادرون على إبادتهم، و استئصال شأفتهم بسهولة و يسر.

و إذا كان يمكن اعتبار حرق الأشجار و قطعها تهديدا، و ممارسه لمستوى من الضغط، قد يتم التراجع عنه، حين يؤول الأمر إلى سفك الدماء، و إزهاق الأرواح، فإن هذا التراجع قد أصبح غير محتمل على الإطلاق، بعد أن باشر المسلمون عملا عسكريا بهذا المستوى، و بهذه الشده و الصلابه و التصميم.

و لقد باشر هذا الأمر رجل هو أقرب الناس إلى رسول الله، و أعرفهم بنواياه و آرائه، و أشدهم اتباعا له. رجل عرفوا بعض مواقفه المرعبه فى بدر و ربما فى أحد .. و هو على بن أبى طالب (عليه الصلاه و السلام).

إذا .. و بعد أن تخلى عنهم حلفاؤهم، و لم يف لهم المنافقون بما و عدوهم به، فإنهم لم يبق لهم إلا هذه الأحجار التى يختبئون خلفها كالفئران. و لكن إلى أى حد يمكن لهذه الحجاره أن تدفع عنهم، و كيف و أنى لهم برد هجوم الجيش الإسلامى عنها حين يصمم على تدميرها؟!

فقد جاءهم ما لم يكن بالحسبان، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ (١) و (كان ذلك سبب فتح حصون بنى النضير) كما تقدم فى النص السابق.ر.

و من جهه أخرى: فإن الضربه الموفقه لا بد أن تقوى من معنويات الجيش الإسلامى. و قد حصنته من أن يصاب بالضعف و الوهن لدى مواجهه الأولى مع عدو لا- يرى سيلا- إليه، ما دام بالحصون المنيعه، بالإضافة إلى قدرات قتاليه عاليه لديه بنظر الكثيرين.

و مما ذكرناه: يتضح معنى العبارة المنقوله عن النبى (صلى الله عليه و آله) هنا، حينما سئل عن على (عليه السلام) حيث يقول: (أراه فى بعض ما يصلح شأنكم).

فإن هذه العمليه كان لها أثر كبير فى إصلاح شأن المسلمين - كل المسلمين - و إفساد أمر أعدائهم، و دحرهم و كسر شوكتهم، حيث أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.

٩- قتل قائد المجموعه:

و نلاحظ أيضا: أن الهدف العسكرى الذى وضعه على (عليه السلام)، هو قتل قائد المجموعه بالذات.

و هذا العمل يعتبر نموذجيا، و ناجحا عسكريا مائه فى المائه، فإن حدوث فراغ على مستوى قياده يززع كل الثوابت، و يفقد المجموعه بأسرها كل فاعليتها و حيويتها، و تتحول إلى ركام خاو و رماد خامد.

١٠- الإشكال فى شعر حسان:

و يلاحظ: أن شعر حسان قد ذكر: أن هذه القضية وقعت فى بنى قريظه، لكن الروايه تنص على حدوث ذلك فى بنى النضير. و هذا تناقض ظاهر، و لعل ملاءمه كلمه: (بنى قريظه) لوزن الشعر، أكثر من كلمه (بنى

(النضير) يؤيد: أن يكون الشعر صحيحا و غير محرّف ..

و لكن هذا المقدار لا يكفى للحكم على الروايه بالتلاعب و التصرف فيها.

و ذلك لأن الروايه قد صرحت: بأنه (صلى الله عليه و آله) فى حصار بنى النضير قد ضرب قبه فى أقصى بنى خطمه من البطحاء.

و هذا يعنى: أن بنى خطمه كانوا يسكنون فى مجاوره بنى النضير.

و إذا، فمن المفيد: أن نحدد موقع بنى خطمه، و بنى النضير، و بنى قريظه؛ ليتضح من ثم أن حصول التلاعب فى الشعر هو الأقرب و الأنسب فنقول:

تحديد المواقع:

إشاره

أما بالنسبه لبنى قريظه، فإنهم يقولون: إنهم نزلوا بالعالیه على وادى مهزور (١) و ذلك حيث يقع مسجد بنى قريظه، الذى هو شرقى مسجد الشمس (أعنى مسجد الفضيخ) الذى يقع هو الآخر شرقى مسجد قباء (٢) فى الحره الشرقيه، المعروفه بحرّه و اقم، و تسمى حره بنى قريظه أيضا، لأنهم كانوا بطرفها القبلى (٣).

أما بنو النضير، فقد نزلوا بالعالیه أيضا على وادى مدينب، و هو شعبه ٨.

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦١ و ج ٣ ص ١٠٧٦ و راجع: معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٦ و ج ٥ ص ٢٣٤.

٢- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢٣ و ٨٢١ و راجع: مرآه الحرمين ج ١ ص ٤١٩.

٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٨٨.

من سيل بطحان (١).

و قد نقل ابن عساكر و الحموى عن الواقدي: أن منازلهم كانت بناحية الغرس و ما والاها مقبره بنى حنظله (٢) أو خطمه (٣).

قال السهمودي: (الظاهر: أنهم كانوا بالنواعم، و تمتد منازلهم و أموالهم إلى ناحية الغرس، و إلى ناحية الصافيه، و ما معها من صدقات النبي (صلى الله عليه و آله). و بعض منازلهم كانت بجفاف، لأن فاضجه (أطم لبني النضير، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣١) به، و رأيت بالحره في شرقي النواعم آثار حصون و قريه بقرب مدينب، يظهر أنها من جمله منازلهم) (٤).

و أما منازل بنى خطمه، فإن المطري يقول: إنها قرب مسجد الشمس بالعوالي (٥).

لكن السهمودي قد رد على ذلك بقوله: (و الأظهر عندنا: أنهم بقرب الماجشونيه، لقول ابن شبه في سيل بطحان: إنه يصب في جفاف، و يمر فيه، حتى يفضى إلى فضاء بنى خطمه، و الأغر، و قوله في مدينب: إنه يلتقى هو و سيل بنى قريظه بالمشارف، فضاء بنى خطمه. ٣).

١- راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦١ و ج ٣ ص ١٠٧٦ و راجع: معجم البلدان ج ١ ص ٤٤٦ و ج ٥ ص ٢٩٠ و ٢٣٤.

٢- وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ج ١ ص ١٦١ و معجم البلدان ج ٤ ص ١٩٣.

٣- التنبيه و الأشراف ص ٢١٣.

٤- وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٣.

٥- وفاء الوفاء ج ١ ص ١٩٨ و ج ٣ ص ٨٧٣.

و سيأتي: أن ذلك عند تنور النوره، الذى فى شامى الماجشونيه، و قد رأيت آثار القريه و الآطام هناك (١).

إذا عرفت هذا فإننا نقول:

إن الروايه هى الصحيحه، و إن شعر حسان هو الذى تعرض للتلاعب العفوى أو المتعمد؛ و ذلك لأن الروايه قد صرحت - كما صرح غيرها-: بأن فضاء بنى خطمه ملاصق للمواقع المحاصره، لأن السهام كانت قد نالت القبه التى ضربها النبى (صلى الله عليه و آله) فى أقصى بنى خطمه.

و قد كان بنو خطمه قرب بنى النضير لا قرب بنى قريظه .. و كان الفاصل بين قريظه و النضير شاسعا جدا. فقد كان بنو قريظه جنوبى المدينه شرقى مسجد قباء، و مسجد الشمس، فى الطرف القبلى للحره الشرقيه.

أما بنو النضير، فقد كانوا شرقى المدينه المتمايل إلى جهه الشام شمالا ..

و نحن فى مقام التدليل على هذين الأمرين: أعنى بعد قريظه عن النضير، و قرب بنى خطمه من هؤلاء لا أولئك نقسم الكلام إلى قسمين؛ فنقول:

١- بنو النضير شرقى المدينه:

إشاره

أما بالنسبه لكون بنى النضير شرقى المدينه؛ فيدل على ذلك:

أولا: قال ابن كثير: (كانت منازل بنى النضير ظاهر المدينه على أميال منها، شرقها) (٢). ١.

١- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٧٣ و راجع ص ١٠٧٥ و ١٠٧٧.

٢- تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١.

ثانيا: إن الصافيه، و برقه، و الدلال و الميثب متجاورات بأعلى الصورين، من خلف قصر مروان بن الحكم (١).

و هذه المواضع المشار إليها هي من أموال مخيريق، التي أوصى بها إلى النبي (صلى الله عليه و آله). و كان هذا الرجل من بنى النضير، و كانت حوائطه سبعة، و هي الأربعة المتقدمه بالإضافه إلى: حسنى، و الأعواف، و مشربه أم إبراهيم.

و قيل: بل هو من يهود بنى قينقاع، كان نازلا ببني النضير، و كانت أمواله فيهم، و هي عامه صدقات رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢).

و عليه .. فإذا كانت تلك المواضع الأربعة متجاورات بأعلى الصورين، و كانت من أموال بنى النضير، فنقول: إنهم يقولون: إن الصورين يقعان فى أدنى الغابه، و الغابه فى عوالى المدينه من جهه الشام (٣).

و حسب نص آخر: أنها كانت على بريد من المدينه على طريق الشام (٤).

(و الصوران أيضا موقع فى البقيع (٥)، و البقيع يقع داخل المدينه)، و ليس هذا الموضع قرب قصر مروان، فلا يتوهم ذلك.

ثالثا: قد صرحوا: بأن مشربه أم إبراهيم، و هي من أموال بنى النضير، ٢.

١- راجع: تاريخ المدينه ج ١ ص ١٧٣ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٣.

٢- راجع: فتح البارى ج ٦ ص ١٤٨ و معجم البلدان ج ٥ ص ٢٩٠ و ٢٩١ و تاريخ المدينه ج ١ ص ١٧٥ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٨٩ و ٩٩٠ عنه و عن ابن زباله.

٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٧٥.

٤- معجم البلدان ج ٤ ص ١٨٢.

٥- معجم البلدان ج ٣ ص ٤٣٢.

من مخيريق، قد كانت فى (القف)، كما أن سائر أموال مخيريق قد كانت بقرب القف أيضا (١).

و معلوم: أن القف يقع فى شرقى المدينه، لأن زهره مما يليه، كما سنرى (٢).

رابعا: قد صرحوا: بأن بنى النضير كانوا يسكنون فى قريه يقال لها:

زهره (٣).

و زهره تقع فى شرقى المدينه، و بها تقع الصافيه (٤)، التى كانت من أموال مخيريق، و صارت إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله).

كما أنهم قد ذكروا: أن زهره هى الأرض السهله بين الحره و السافله مما يلى القف (٥).

و لعل التعبير الأدق، أن يقال: إن زهره مما يلى طرف العاليه، و ما نزل عنها، فهو السافله و أدنى العاليه ميل من المسجد (٦).

خامسا: إن سهم عثمان الذى أعطاه إياه رسول الله (صلى الله عليه عليه .

١- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و فى ج ٣ ص ٨٢٦ عن الإستيعاب.

٢- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٧٨.

٣- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٤ عن الكازرونى و غيره، و فى هامشه عن: المنتقى فى مولود

المصطفى ص ١٢٥. و راجع أيضا: بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٣.

٥- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٩.

٦- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٣٠.

و آله) من بنى النضير أيضا (١).

و غافر و البرزتان أيضا، و هما من طعم أزواج النبي (صلى الله عليه و آله) من بنى النضير (٢)، و فى بئر أريس أيضا (٣).

و لعل كيدمه هى نفس الجزع الذى بقرب مشربه أم إبراهيم، و المعروف بالحسينيات، (و هو قريه فى زهره) و يعرف بلفظ (كيادم) بصيغه الجمع (٤).

ثم إن السهمودى بعد أن ذكر: أن المعروف اليوم هو بئر أريس غربى مسجد قباء، و أنها ليهودى من بنى محمم،

قد رد ذلك: بأن ما تقدم من كون سهم عثمان و عبد الرحمن بن عوف من بنى النضير موجودا فيها يدل على خلاف ذلك؛ لأن بنى النضير و بنى محمم لم يكونوا بقباء، لا- سيما و أن ابن زباله يذكر: أن مهزورا يشق فى أموال عثمان، يأتى على أريس، و أسفل منه، حتى يتبطن الصورين، فصرفه عثمان مخافه على المسجد الذى فى بئر أريس.

و من الواضح: أن الموضع المعروف بقباء لا يمكن وصول شىء من مهزور إليه (٥).

سادسا: روى عن جعفر: أن سلمان كان لناس من بنى النضير؛ فكاتبوهق.

١- راجع: وفاء و الوفاء ج ٣ ص ٩٤٤ و ستأتى بعض المصادر لكيدمه و كونها سهم ابن عوف من بنى النضير فى فصل: كى لا يكون دوله بين الأغنياء.

٢- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٢ عن ابن زباله و راجع ص ٩٩٣.

٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٢ و ج ٤ ص ١١٣٩.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٥ و ٩٤٦.

٥- المصدر السابق.

على أن يغرس لهم نخلا، ثم أفاءها الله على نبيه، فهي الميثب صدقه النبي (صلى الله عليه وآله) بالمدينه (١).

و فى روايه أخرى: أن امرأه من بنى النضير قد كاتبت سلمان على أن يحيى لها موضعا اسمه (الدلال)، فأعلم النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك، فجاء، فجلس على (فقير)، ثم جعل يحمل إليه الودى؛ فيضعها (صلى الله عليه وآله) بيده، فقال: (و الذى تظاهر عندنا: أنها (أى الدلال) من أموال بنى النضير، و مما يدل على ذلك: أن مهزورا يسقيها، و لم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير) (٢).

قال السهمودى: (الذى يتحصل من مجموع ما تقدم: أن نخل سلمان الذى غرسه هو (الدلال) و قيل: برقه، و الميثب (و قيل: الميثب) (٣).

مناقشه للسهمودى لا تصح:

و قد ذكر السهمودى هنا: أن (الفقير) الذى جلس عليه النبي اسم الحديقه بالعالیه، قرب بنى قريظه، ثم أورد على ذلك: بأن (الفقير) ليس من صدقات النبي (صلى الله عليه وآله)، و إنما هو من صدقات على (عليه السلام) (٤).

و نقول: إننا نلاحظ هنا: أن التعبير الوارد هو: (جلس على فقير)، فإذا كان هذا اللفظ اسما لحديقه، لم يصح قوله: جلس عليه، بل يقال: ذهب ٢.

١- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩١.

٢- تاريخ المدينه ج ١ ص ١٧٤.

٣- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩١.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٢ و ج ٤ ص ١٢٨٢ و تاريخ المدينه ج ١ ص ٢٢٢.

إليه، و جلس فيه، أو فى بعض جوانبه و نواحيه.

و الصحيح هو: أن (الفقير) هو الحفره التى توضع فيها النخله حين غرسها، فالنبي (صلى الله عليه و آله) قد جلس فوقها بانتظار أن يأتيه سلمان بالودى ليضعه فيها؛ فصح أن يقال حينئذ: جلس على فقير ..

مناقشه أخرى وردها:

و لكن يبقى إيراد آخر، و هو: أن روايه رواها أحمد و الطبرانى و غيرهما تفيد: أن الذى اشترى سلمان هو رجل من بنى قريظه (١).

و يدل على ذلك أيضا: نفس كتاب المفاداه الذى صرح باسم ذلك الرجل، و أنه قرظى (٢).

و نقول: إنه يمكن أن يكون ذلك القرظى زوجا لمالكة سلمان، التى كانت نضيريه، و كانت أموالها فى منطقته قبيلتها، و قد تولى زوجها كتب الكتاب عنها، و ذلك ليس بالأمر الغريب، و لا البعيد عن المألوف.

٢- قرب بنى خطمه إلى بنى النضير:

ألف: و أما بالنسبه للقسم الثانى، أعنى قرب بنى خطمه من منازل بنى النضير، و بعدهم عن منازل بنى قريظه، فيدل على ذلك بالإضافة إلى صراحه نفس الروايه التى هى موضع البحث فى ذلك:

أولا: قول المسعودى: (كانت منازل بنى النضير، بناحيه الغرس، و ماى.

١- الثقات ج ١ ص ٢٥٤ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩١.

٢- راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى، الفصل الثانى.

والاها و مقبره بنى خطمه) (١).

ثانيا: تصریحهم بأن بئر غرس، حيث منازل بنى النضير، إنما تقع فى جهة بنى خطمه (٢)، فبنو خطمه إذا هم فى منطقه زهره منازل بنى النضير ..

ثالثا: إن فضاء بنى خطمه يقع شامى الماجشونيه- كما ذكره السمهودى (٣)- و الماجشونيه تقع قرب ترابه صعيب و بلحارث، كما أن منازل بنى النضير تقع بناحية الغرس، و هى قرب ترابه صعيب أيضا (٤).

و ذلك يعنى: أن بنى خطمه كانوا قرب بنى النضير، لا قرب بنى قريظه.

رابعا: إن ما يدل على بعد بنى خطمه عن بنى قريظه: أن البويره التى وقع الحريق فيها قد كانت قرب ترابه صعيب و دار بلحارث بن الخزرج، و ليست هى البويره المعروفه فى قبله مسجد قباء.

و يدل على ذلك ما رواه ابن زباله: من أنه (صلى الله عليه و آله) قد وقف على السيره التى على الطريق، حذو البويره؛ فقال: إن خير نساء و رجال فى هذه الدور، و أشار إلى دار بنى سالم، و دار بلجبل، و دار بلحارث بن الخزرج.

و هذا الوصف لا يطابق الموضع الذى فى قبله مسجد قباء؛ لبعده٨.

١- التنبيه و الأشراف ص ٢١٣.

٢- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٧٨.

٣- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٧٣ و راجع ص ١٠٧٥ و ١٠٧٧.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ و ج ٤ ص ١١٥٧ و ١٢٩٨.

وقد أكد السمهودي: في غير موضع من كتابه على هذا الأمر، ورد القول بأن البويره هي في قبله مسجد قباء، فراجع (٢).

بل لقد ذكر البعض: أن البويره موضع بين المدينه و تيماء (٣) و لكن العسقلاني قد زاد على ذلك قوله: (و هي من جهه قبله مسجد قباء إلى الغرب) (٤).

و معلوم: أن تيماء موضع بين المدينه و الشام، و منازل بني قريظه إنما هي قبلى المدينه شرقى مسجد قباء أى فى الجهه المقابله لجهه الشام، فكيف يتلاءم قول العسقلاني هذا مع قوله بأنها إلى جهه تيماء!؟

و مما يؤكد قول السمهودي المتقدم: أنهم يقولون فى قصه إجلاء بني النضير: (فخرجوا على بلحارث بن الخزرج، ثم على الجليله، ثم على الجسر، حتى مروا بالمصلى، ثم شقوا سوق المدينه، و النساء فى الهوادج) (٥).

و حين هم اليهود بالغدر برسول الله (صلى الله عليه و آله) و رجع إلى المدينه، و تبعه أصحابه لقوا رجلا خارجا من المدينه، فسألوه: هل لقيت رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟

١- وفاء الوفاء ج ٣ ص ١١٥٧.

٢- المصدر السابق.

٣- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦.

٤- فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦.

٥- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

قال: لقيته بالجسر داخلا (١).

خامسا: و مما يدل على ذلك أيضا: أن وادي مهزور يأتي من شرقي الحره، و من هكر، و حره صفه، حتى يأتي على حلاه بنى قريظه.

ثم يسلك منه شعيب؛ فيأخذ على بنى أميه بن زيد بين البيوت فى واد يقال له مدينب، ثم يلتقى و سيل بنى قريظه بفضاء بنى خطمه، ثم يجتمع الواديان: مهزور، و مدينب، فيفترقان بالأموال (٢)، و يدخلان فى صدقات رسول الله كلها إلا مشربه أم إبراهيم، ثم يفضى إلى الصورين على قصر مروان بن الحكم (٣).

و نص آخر يقول: إن دار بنى أميه بن زيد شرقي دار الحارث بن الخزرج، أى أنهم كانوا قرب النواعم، و يمر سيل مدينب بين بيوتهم ثم يسقى الأموال.

و يشهد لذلك: أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب بن الأشرف- و كان من بنى النضير- أن محمد بن مسلمه و من معه بعد أن قتلوه سلكوا حسب قول ابن مسلمه على بنى أميه بن زيد، ثم على بنى قريظه ثم على بعث إلى آخره (٤).

فقد اتضح من هذا النص: أن فضاء بنى خطمه متصل بالأموال و الصدقات (التي هى فى زهره، و من أموال بنى النضير) و أن قريظه ٠.

١- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٦٦.

٢- هى أموال مخيريق التي أوصى بها إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و يعبرون عنها بالصدقات لما سيأتى فى فصل: كى لا يكون دوله بين الأغنياء.

٣- راجع وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٧٧.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٧٤ و ج ٤ ص ١١٥٠.

منفصله عن فضاء بنى خطمه ببني أميه بن زيد.

خلاصه أخيره:

و أخيرا: فإن المتحصل مما تقدم هو: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد نصب قبه في أقصى بنى خطمه، و كانت نبال المحاصرين تناله، فانتقل إلى السفح، و هناك صلى بأصحابه.

و أن بنى النضير كانوا أقرب إلى بنى خطمه من بنى قريظه ..

و كان بنو قريظه قبلى المدينه شرقى مسجد قباء. أما بنو النضير فكانوا شرقى المدينه إلى جهه الشام و شتان ما بينهما .. و كل ذلك يؤيد أن يكون الشعر هو المحرف، و الروايه هى الصحيحه ..

مناقشه مع الواقدي:

و يبقى أن نشير هنا: إلى أن ما ذكره الواقدي، و دحلان، من أن المسلمين قد جعلوا القبه أولا عند مسجد بنى خطمه، فلما رماها (عزوك)- كما فى الواقدي و غيره- اليهودى بالسهم، حولت إلى مسجد الفضيخ:

إن هذا لا يصح، و ذلك:

أولا: لأن مسجد الفضيخ يقع شرقى مسجد قباء، على شفير الوادى، على نشز من الأرض (١).

و قد عرفنا: أن منازل بنى النضير بعيده عن هذا الموضع جدا، كما أن فضاء بنى خطمه كان بعيدا أيضا. ٨.

إلا أن يقال: إن كون مسجد الفضيل في قباء موضع شك، ولا يصح، وإنما هو في بني خطمه، و سيأتي ما يدل على هذا حين الكلام عن تحريم الخمر.

ثانياً: إن النصوص تصرح: بأنه (صلى الله عليه وآله) قد ضرب قبه في أقصى بني خطمه، على مرمى سهم من بني النضير ..
و يبعد أن يخطط بنو خطمه مسجدهم في أقصى ديارهم، إلى جانب بني النضير.

قطع النخل، أو حرقه:

و تذكر الروايات: أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد أمر المسلمين بقطع نخل بني النضير، و التحريق فيه، و كان ذلك في موضع يقال له: البويره؛ فناداه اليهود: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد، و تعيب من صنعه، فما بال قطع النخل و تحريقها، فأنزل الله: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (١). ٧.

١- الآية ٥ من سورة الحشر. و أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرق و قطع النخل موجود في المصادر التالية: جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٣ و أسباب النزول للواحدى ص ٢٣٧ و ٢٣٨ و مسند الحميدى ج ٢ ص ٣٠١ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ٩٧ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و فتوح البلدان قسم ١ ص ١٩ و ٢٠ و الجامع الصحيح ج ٤ ص ١٢٢ و ج ٥ ص ٤٠٨ و مسند أحمد ج ٢ ص ٨ و ٥٢ و ٨٠ و ٨٦ و ١٢٣ و ١٤٠ و مسند الطيالسى ص ٢٥١ و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣١ و ٣٢ و سنن الدارمى ج ٢ ص ٢٢ و المحلى ج ٧ ص ٢٩٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٠ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٩ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و معجم البلدان ج ١ ص ٥١٢ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و ١٢٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٥٠ و ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٩ و ٧٧ و الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧، و الأحكام السلطانيه ص ٦٤ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٤ و ٢٥٦ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٠ و سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٨ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٨١ و ٣٧٢ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٨ و سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٨ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨ و ٦ و ٧ عن مسلم و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١ و الكشاف ج ٤ ص ٥٠١ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٤ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و الإكتفاء ج ١ ص ١٤٧ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ١٢٢ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٢ و الأموال ص ١٥ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٦ و البحار ج ٢ ص ١٥٩ و ١٦٥ و ١٦٩ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٣ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٨ عن بعض من تقدم، و عن سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن مردويه و النسائى و ابن أبى حاتم، و ابن إسحاق، و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣١٠ و مسند أبى يعلى ج ١٠ ص ٢٠٧.

زاد البعض: أن أهل التأويل قالوا: (وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ .. (١)).

عدد النخلات المقطوعه!؟

قال ابن شهر آشوب: (أمر بقطع نخلات ..

إلى أن قال: ثم أمسك عن قطعها بمقالهم، و اصطلحوا أن يخرجوا (٢)).

و قيل: أحرقوا نخله، و قطعوا نخله، و قيل: كان جميع ما قطعوا و أحرقوا ست نخلات (٣)).

و نحن نشك في أن يكونوا قد قطعوا هذا العدد القليل من النخل، أو أحرقوه، فإن قطع نخله واحده، و حتى ست نخلات، لا يوجب خضوع بني النضير، و قبولهم بالجلاء، و خزي الفاسقين بصوره عامه، كما نصت عليه الآية الكريمه.

كما أنه لا يوجب نزول آيه قرآنيه تتحدث عن هذا الأمر، و تخلده كأسلوب ناجح في إرعاب العدو و إرهابه ..

فإنه لا بد أن يكون القطع قد بلغ حدا جعلهم يجنحون إلى الاستسلام، ٤).

١- راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٠ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٩.

٢- مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازروني و غيره، و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦ و القول الأول ذكره في الأحكام السلطانيه ص ٦٤.

و القبول بما يريد الرسول، ثم نزلت آية كريمه تتحدث عن هذا الموضوع، و تفصل الأمر فيه، و تحسم فيه النزاع.

تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل:

إشاره

و جزعوا على قطع العجوه، فجعل سلام بن مشكم يقول: يا حبيى العذق خير من العجوه، يغرّس فلا يطعم ثلاثين سنه، يقطع.
فأرسل حبيى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله): يا محمد، إنك كنت تنهى عن الفساد، لم تقطع النخل؟ نحن نخرج من بلادك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لا أقبله اليوم الخ .. (١)، (و كانت النخله ثمن و صيف، و أحب إليهم من و صيف) (٢).
و جاء فى نص آخر: أن الذى حرق نخلهم و قطعها عبد الله بن سلام، و عبد الرحمن بن كعب، أبو ليلى الحرانى، من أهل بدر، فقطع أبو ليلى العجوه، و قطع ابن سلام اللون، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): لم قطعتم العجوه؟!
قال أبو ليلى: يا رسول الله، كانت العجوه أحرق لهم و أغيظ، فنزل:

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكَتُمُوهَا .. (٣) الآيه ..

فاللينه: ألوان النخل.ر.

-
- ١- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٣.
 - ٢- البحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازرونى و غيره، و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و إرشاد السارى ج ٧ ص ٣٧٥.
 - ٣- الآيه ٥ من سوره الحشر.

و القائمه على أصولها: العجوه.

فنادوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد الخ .. (١).

و صرحت بعض النصوص: بأن النبي (صلى الله عليه و آله) قد استعمل ابن سلام، و أبا ليلي المازني على قطع النخل (٢)، أو أمرهما (٣)، أو أشار إليهما بذلك (٤).

و أضاف الديار بكرى قوله: (أما أبو ليلي فكان يقطع أجود أنواع التمر، و هي العجوه، و يقول: قطع العجوه أشد عليهم.

و أما عبد الله بن سلام، فكان يقطع أردأ أنواع التمر، و هو تمر يقال له:

اللون، و يقول: إني أعلم: أن الله سيجعلها للمسلمين الخ ..) (٥).

فلما قطعت العجوه شق النساء الجيوب، و ضربن الخدود، و دعون بالويل؛ فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ما لهن؟! إن.

١- الثقات ج ١ ص ٢٤٢ و راجع التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥ و المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٨١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٥.

٢- المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٨١ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٥ و الإصابه ج ٢ ص ٤٢٠.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن روضه الأجاب و راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٢.

٤- حبيب السير ج ١ ص ٣٥٥.

٥- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٢ و ليراجع: الكشاف ج ٤ ص ٥٠١ و ٥٠٢ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ لكنهما لم يسميا الرجلين.

ف قيل: يجز عن على قطع العجوه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إن مثل العجوه جزع عليه.

إلى أن قال: فلما صحن صاح بهن أبو رافع: إن قطعت العجوه ههنا، فإن لنا بخير عجوه.

قالت عجوز منهن: خير يصنع بها مثل هذا.

فقال أبو رافع: فض الله فاك، إن حلفائي بخير عشره آلاف مقاتل؛ فبلغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتبسم.

و نحن نسجل هنا الأمور التاليه:

١- لماذا ابن سلام؟!

إننا نجد: أنه (صلى الله عليه و آله) قد استعمل ابن سلام- و هو كان من اليهود، من علمائهم- مع ذلك الرجل البدرى على قطع نخل يهود بنى النضير .. و من الطبيعى أن يكون لذلك أثر ظاهر فى بث اليأس فى نفوسهم، و فى إذلالهم و خزيهم، و يساهم فى كسر شوكتهم، و يثير فيهم المزيد من الحنق، و الغيظ و الألم، و هم ذوو الغطرسة، و العنجهيه و الخيلاء، كما سيأتى توضيحه فى موضعه إن شاء الله تعالى.

٢- شكوك تصل إلى حد التهمه:

إشاره

و نلاحظ هنا: كيف أن ابن سلام قد اختار أردأ أنواع التمر، على الرغم من أنه (صلى الله عليه و آله) قد أمر بقطع النخل بصورة مطلقه، و لم يقيد بشىء، و رغم أنه قد كان من الواضح: أن الهدف من هذا الإجراء هو الضغط على هؤلاء القوم، و إغاثتهم، و إذلالهم، و ذلك إنما يتحقق بقطع ما

له أثر ظاهر فى ذلك، كما فهمه و عمل به ذلك الرجل البدرى، الذى جعله الرسول إلى جانب ابن سلام.

و لا نريد أن نسترسل فى شكوكنا حول ابن سلام هذا و نواياه؛ فنتهمه بالتعاطف مع اليهود الذين كان فى وقت ما أحد علمائهم و كبرائهم، حسبما يذكره التاريخ عنه.

و لعل هذه الشكوك تجد لها أكثر من مؤيد و شاهد فيما ينقل عن هذا الرجل من مواقف، و أقوال، و اتجاهات، و أحوال، و لا سيما بعد وفاه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله).

و لسنا هنا فى صدد عرض ذلك و استقصائه، فلنكف عنان القلم- إذا- إلى ما هو أهم، و نفعه أعم و أتم.

البعض لم يفهم الآيه:

و من العجيب هنا قول البعض: (لما أمر النبى (صلى الله عليه و آله) بقطع النخيل، و إحراقها ترددوا فى ذلك، فمنهم الفاعل، و منهم الناهى، و رأوه من الفساد و غيرهم اليهود بذلك، فنزل القرآن العظيم بتصديق من نهى، و تحليل من فعل، فقال تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهٍ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (١).

مع أن الآيه ظاهره الدلاله فى تأييد أولئك الذين امتثلوا أمر النبى (صلى الله عليه و آله)، و أن أمره إنما كان بإذن الله، و ليس من عند نفسه. ٥.

فآيـه في الحقيقه قد جاءت لتقريع و تأنيب المخالفين لأمر الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله). لكن هذا الرجل قد عكس الآيه في مفادها و مدلولها، و لم يلتفت إلى المراد منها.

٣- الحرق أم القطع!؟

إشاره

و بعد .. فإننا نجد النصوص التاريخيه تكاد تكون مجمعه على أنه (صلى الله على و آله) قد حرق النخيل. و لكن الآيه الكريمه التي نزلت في هذه المناسبه لم تشر إلى ذلك أصلا، و إنما سجلت القطع فقط. فلربما يكون الأمر منه (صلى الله عليه و آله) قد صدر بالقطع دون الحرق، فكان الحرق من بعض المسلمين، اجتهادا منهم، و لعله لم يكن ثمه حرق أصلا، و الله أعلم.

الحكم الفقهي في قطع الأشجار و حرقها:

لقد أفتى عدد من الفقهاء بحرمة قطع الأشجار في الحرب، إلا في حال الضروره (١). و حكم كثير من الفقهاء بالكراهه (٢). ٩-

-
- ١- راجع: المهذب لابن البراج (مطبوع ضمن الينابيع الفقيهيه) كتاب الجهاد ص ٨٨ مقيدا للأشجار ب (المثمره) و في منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٩ عن أحمد، و قد حكى القول بعدم الجواز عن الليث بن سعد، و أبي ثور، و الأوزاعي فراجع: فتح الباري ج ٥ ص ٧ و الجامع الصحيح ج ٤ ص ١٢٢ و فقه السيره ص ٢٨٠ و عن شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٥٠.
 - ٢- تذكره الفقهاء ج ١ ص ٤١٢ و ٤١٣ و راجع: السرائر ص ١٥٧ و تحرير الأحكام ج ١ ص ١٣٥ و شرائع الإسلام ج ١ ص ٣١٢ و القواعد (المطبوع مع الإيضاح) ج ١ ص ٣٥٧ و الجامع لأحكام الشرائع ص ٢٣٦ و منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٩-

و قيد البعض بصورة ما لو رجي صيرورته للمسلمين، و كان مما يقتات به (١).

حرق النخيل، و الفساد فى الأرض:

و قد عرفنا فى ما تقدم: أن التاريخ يؤكد على أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو الذى أمر بحرق نخل بنى النضير، أو قطعه. و قد تحدث القرآن عن القطع هذا بأسلوب الرضا و القبول، حسبما تقدم.

و روى أيضا: أنهم قد قطعوا الشجر و النخل بالطائف، بالإضافة إلى قطع النخل بخيبر، و روى أيضا قطع شجر بنى المصطلق و إحراقه (٢).

و عن أسامة بن زيد قال: بعثنى رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى قريه يقال لها: (أبنى).

فقال: (أنت أبنى صباحا ثم حرق). أى بيوتهم و زروعهم، و لم يرد تحريق أهلها (٣). ٩.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٠.

٢- راجع: تذكرو الفقهاء ج ١ ص ٤١٢ و راجع أيضا: السرائر ص ١٥٧ و الجواهر ج ٢١ ص ٦٧ و منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٩ و المبسوط للشيخ الطوسى ج ٢ ص ١١ و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣٢.

٣- سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٨ و هامشه لمحمد فؤاد عبد الباقي، و المبسوط للسرخسى ج ١٠ ص ٣١ و سنن أبى داود ج ٣ ص ٣٨ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٥ و ٢٠٩.

و فى مجال آخر: فإنه (صلى الله عليه و آله) قد أمر بحرق مسجد الضرار و هدمه (١).

و أمر (صلى الله عليه و آله) بتحريق متاع الغال (٢).

و روى أنه (صلى الله عليه و آله) هم بحرق بيوت تاركى صلاه الجماعه (٣).

و قد بلغه (صلى الله عليه و آله): أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى يشبطون الناس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى غزوه تبوك فبعث إليهم نفرا، و أمرهم أن يحرقوا عليهم بيت سويلم (٤).

و بعد ما تقدم .. فإن السؤال الذى يتطلب منا الإجابة هنا هو: أنه إذا..

١- راجع: زاد المعاد ج ٣ ص ١٧ و التنبيه و الإشراف ص ٢٣٧ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٠٩.

٢- زاد المعاد ج ٢ ص ٦٦ و سنن الدارمى ج ٢ ص ٢٣١ و الجامع الصحيح ج ٤ ص ٦١ و سنن أبى داود ج ٣ ص ٦٩ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٢.

٣- زاد المعاد ج ٣ ص ١٧ و السنن الكبرى ج ٣ ص ٥٥ و ٥٦ و سنن أبى داود ج ١ ص ١٥٠ و سنن الدارمى ج ١ ص ٢٩٢ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٢ و ٤٠٢ و ٤٢٢ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ج ٢ ص ٢٢٤ و ٢٩٢ و ٢١٤ و ٣١٩ و ٣٦٧ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٤١٦ و ٤٢٤ و ٤٧٢ و ٤٧٩ و ٥٣١ و ٥٣٩ و ج ٥ ص ٢٠٦ و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٣ و ١٢٤ و فيض البارى ج ٢ ص ١٩١ و صحيح البخارى ج ١ ص ٧٨ و ٧٩ و ج ٢ ص ٤٠ و ج ٤ ص ١٥٩ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٨٩ و ٩٠ و المعجم الصغير ج ٢ ص ٥٧ و ج ١ ص ١٧٢. و الجامع الصحيح ج ١ ص ٤٢٢ و سنن النسائى ج ٢ ص ١٠٧ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٩٦ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ١٥٠.

٤- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٤ ص ١٦٠ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٠٩.

كان رسول الله قد أمر بذلك كله، أو همّ به؛ فكيف نوفق بين أمره هذا وبين فتوى الفقهاء بالحرمة، أو بالكراهة، حسبما تقدم؟!.

بل لقد ورد: أنه (صلى الله عليه و آله) كان حين يرسل سريه، يوصيهم بأن لا يقطعوا شجرا إلا أن يضطروا إليها (١).

و عن ثوبان: أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: (من قتل صغيرا، أو كبيرا، أو أحرق نخلا، أو قطع شجره مثمره، أو ذبح شاه لإهابها، لم يرجع كفافا) (٢).

أضف إلى ذلك كله: أن اليهود أنفسهم قد اعترضوا على النبي (صلى الله عليه و آله) بأنه ينهى عن الفساد، فلم يقطع النخل؟! و قد تقدم ذلك ..

جواب السهيلي لا يصح:

فقد يقال: في مقام الإجابة على ذلك استنادا إلى روايه ثوبان المتقدمه:

أن المنهى عنه هو قطع الشجر المثمر، و على حد تعبير السهيلي: أنه (صلى الله عليه و آله) إنما أحرق ما ليس بقوت للناس.

قال السهيلي: (لينه: ألوان التمر، ما عدا العجوه، و البرنى؛ ففي هذه الآيه: أن النبي (صلى الله عليه و آله) لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت ٦.

١- الكافي ج ٥ ص ٣٠ و البحار ج ١٩ ص ١٧٧ و ١٩٩ و تذكره الفقهاء ج ١ ص ٤١٢ و ٤١٣ و منتهى المطلب ج ٢ ص ٩٠٨ و

٩٠٩ و جواهر الكلام ج ٢١ ص ٦٦ و الوسائل ج ١١ ص ٤٣ و ٤٤ و المحاسن للبرقي ص ٣٥٥ و في هامشه عن الوسائل، و عن

التهذيب ج ٢ ص ٤٦.

٢- مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٦.

للناس، و كانوا يقتاتون العجوه .. (ثم ذكر أهميه العجوه و البرنى، ثم قال):

فى قوله تعالى: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ .. (١) (و لم يقل: من نخله، على العموم) تنبيه على كراهه قطع ما يقتات، و يغذو من شجر العدو. إذا رعى أن يصير إلى المسلمين.

و قد كان الصديق (رض) يوصى الجيوش ألا يقطعوا شجرا مثمرا.

و أخذ بذلك الأوزاعى؛ فإما تأولوا حديث بنى النضير، و إما رأوه خالصا للنبي (عليه السلام) (٢).

و لكننا لا نوافق السهيلي على ما قاله، و ذلك لما يلى:

ألف: بالنسبه لما ذكره فى معنى اللينه، نجد كثيرا من أهل اللغه لا يوافقونه على ما ذكره فى معناها، فقد:

قال الراغب و غيره: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ .. أى من نخله ناعمه، و مخرجه مخرج فعله، نحو حنطه، و لا يختص بنوع منه دون نوع.

و كذا نقل عن ابن زيد، و عمرو بن ميمون، و مجاهد) (٣).

و قال: (سعيد بن جبیر، و مالك، و الخليل، و يزيد بن رومان، و رجحه النووى، و كذا قال الفراء و الزهرى، و عكرمه، و قتاده، و ابن عباس، و نسب إلى أهل المدينه: اللينه كل شىء من النخل سوى العجوه؛ فهو من اللين، ٩.

١- الآيه ٥ من سوره الحشر.

٢- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٠ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ و أشار إلى أن العجوه كانت قوت بنى النضير فى السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦.

٣- المفردات للراغب ص ٢٥٧ و راجع: التبيان ج ٩ ص ٥٥٩.

وقال الزبيدي: كذا عن ابن عباس ومقاتل، وعن الحسن، ومجاهد وعطيه: (اللينه- بالكسر-: النخل) (٢).

وقيل: هي كل الأشجار (٣)..

١- راجع: لسان العرب ج ١٣ ص ٣٩٣ و ٣٩٥، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٥٧ و عمده القارى ج ١٧ ص ١٢٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٢ و شرح المحافل ج ١ ص ٢١٥ و التبيان ج ٩ ص ٥٥٩ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٢ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧، و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٣ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٦٨ و يلاحظ: أن المذكورين فى المتن قد ذكرت أسماؤهم فى بعض المصادر دون بعض.

٢- راجع: تاج العروس ج ٩ ص ٣٣٨ و فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٧ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٦٨ و عمده القارى ج ١٧ ص ١٢٦ و إرشاد السارى ج ٧ ص ٣٧٥ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٢ و ٢٣ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ و ١٩٧ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٥ ص ٤٠٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٣ و الأحكام السلطانيه ص ٦٥.

٣- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و عمده القارى ج ١٧ ص ١٢٨ و الأحكام السلطانيه ص ٦٥.

جواب السهيلي (١) لا يصح: ص : ١٥٠ و قال آخر، و نسب ذلك إلى مجاهد، و عطيه: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتِهِ (٢):

أى من نخل، و النخل كله، ما عدا البرنى (٣).

و عن مقاتل، هى: (ضرب من النخل يقال لتمرها: اللون، و هى شديده الصفرة، يرى نواها من خارج، تغيب فيها الأضراس، و كانت من أجود تمرهم، و أحبها إليهم، و كانت النخلة الواحده ثمن وصيف، و أحب إليهم من وصيف؛ فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم) (٤).

و قيل: هى الدقل (٥)، إلى غير ذلك من أقوال.٦.

١- عمده القارى ج ١٧ ص ١٢٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦١ عنه و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩ و الأحكام السلطانيه ص ٦٥ و التبيان ج ٩ ص ٥٥٩ و مدارك التنزيل بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٣ و غرائب القرآن مطبوع بهامشه ج ٢٨ ص ٣٧ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٨ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ و الكشف ج ٤ ص ٥٠٠.

٢- الآيه ٥ من سوره الحشر.

٣- الدر النظيم فى لغات القرآن الكريم ص ٢٠٧ و راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ عن مجاهد و عطيه.

٤- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ و إرشاد السارى ج ٧ ص ٣٧٥ و راجع: الأحكام السلطانيه ص ٦٤.

٥- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٧٦٩ و الدقل: نوع من التمر، قيل: هو أردأ أنواعه. راجع: لسان العرب ج ١١ ص ٢٤٦.

ب: قولهم: إنه قطع اللين و ترك العجوه، لا تؤيده النصوص التاريخيه.

فقد قال دحلان: (.. فقطع لهم نخل يسمى: (العجوه)، و آخر يسمى:

(اللين)، و كان ذلك أحرق لقلوبهم؛ لأن ذلك خير أموالهم؛ فلما قطعت العجوه شق النساء الجيوب، و ضربن الخدود، و دعون بالويل).

و كذا قال غيره (١).

زاد الحلبي قوله: و كانت العجوه خير أموال بني النضير لأنهم كانوا يقتاتونه (٢).

و عن الماوردي: و كانت العجوه أصل الإناث كلها، فلذلك شق على اليهود قطعها (٣).

و عن الإمام الصادق (عليه السلام) فى تفسير اللين: أنها العجوه خاصه (٤).

و تقدم: أن أبا ليلى قطع العجوه، و أن ابن سلام قطع اللون، و تقدم أنهم جزعوا على قطع العجوه، فراجع ما جاء تحت عنوان (تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل).

ج: و لو قبلنا تفسير السهيلي لكلمه (لينه) فإن ما ذكره لا يحل الإشكال؛ ما دام أنه كان ينهى سراياه عن قطع مطلق الشجر، فكان يقول لهم: (و لا تقطعوا شجرا)، و لا يختص ذلك بالشجر الذى يقتات منه، و لا٣.

١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١. و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦.

٣- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩.

٤- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٩ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٨ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣.

بالشجر المثمر ..

د: و لو قبلنا أيضا أن المراد هو خصوص ما يقتات منه، فإن ما عدا العجوه و البرنى كان أيضا مما يقتات به، و يؤكل .. غاية الأمر أن جوده ثمره لم تكن فى مستواهما و إنما هو ردى ء بالنسبه إليهما.

ه: و لو قبلنا كل ما ذكره السهيلي فإننا نقول: إن قوله بكراهه قطع الشجر فى صورته ما لو رضى أن يصير للمسلمين، فى غير محله؛ فإن النهى عن قطع الشجر مطلق، و لم يقيد بصوره الرجاء المذكور.

نعم، هو قد جاء على لسان الحبر اليهودى عبد الله بن سلام، و لم يعلم من النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قبله و رضيه.

و: و أما قوله، إن الأوزاعى و أبا بكر: قد تأولا حديث بنى النضير، أو أنهما رأيا أنه مختص برسول الله (صلى الله عليه و آله) حيث منعا من قطع الشجر المثمر مطلقا. فليس فى محله أيضا؛ فإنهما قد فهما ذلك من كلامه (صلى الله عليه و آله) فى نهيه عن قطع الشجر، فحكما بمقتضاه، و لم يخصصا حكمهما هذا بشخص و لا بشى ء، و إنما هما قد وجدا: أنه (صلى الله عليه و آله) قد اضطر إلى قطع شجر بنى النضير، فأجازا ذلك للضرورة؛ فإن قطع الشجر لأجل الضروره مما رخص به النبى (صلى الله عليه و آله) فى نفس وصاياه لسراياه، حسبما ألمحنا إليه (١).

و إذا .. فهما لم يريا أن ذلك من الأحكام المختصه به (صلى الله عليه و آله).ب.

١- قد تقدم ما يفيد فى ذلك و راجع أيضا: ج ٣ من هذا الكتاب.

ضروره قطع الأشجار و حرقها:

لقد نزل القرآن ليرد على الذين عابوا قطع الأشجار، و ليؤكد على أن ذلك كان بإذن من الله سبحانه، تماما كما كان ترك ما ترك منها بإذن الله تعالى ..

إذا، فلا بد لنا من التعرف على السر الكامن وراء تجويز هذا العمل، و صيرورته مقبولا، بعد أن كان مرفوضا، و مأذونا به بعد أن كان ممنوعا عنه.

فنقول:

إن الذى يبدو لنا هو: أن بنى النضير أهل الزهو و الخيلاء، و العزه (١) كانوا يحسون فى أنفسهم شيئا من القوه، و المنعه فى قبال المسلمين، و يجدون:

أن بإمكانهم مواجهه التحدى، فيما لو أتيح لهم إطاله أمد المواجهه، حيث يمكنهم أن يجدوا الفرصه لإقناع حلفائهم بمعونتهم، و لا سيما إذا تحرك أهل خيبر الذين كان لديهم العده و العدد الكثير، حسبما تقدم فى كلمات سلام بن مشكم. كما أن ابن أبى و من معه قد يراجعون حساباتهم، و يفون لهم بما وعدوهم به من النصره و العون.

و لا أقل من أن يتمكن ابن أبى و أتباعه من إحداث بلبله داخله، من شأنها إرباك المسلمين و زعزعه ثباتهم من الداخل.

و قد يمكن لقريش، و لمن يحالفها من قبائل العرب، أن يتحركوا أيضا لحسم الموقف لصالح بنى النضير، و صالحهم بصورة عامه.ر.

١- سيتضح ذلك حين الكلام عن كونهم فى قومهم بمنزله بنى المغيره فى قريش، فانتظر.

و لا أقل من أن يتمكن يهود بنى النضير من الاحتفاظ بمواقعهم، و بأرضهم و ديارهم، حين يجد المسلمون: أن مواصلة التحدى لهم لن تجدى نفعا، ما داموا قادرين على الاحتماء بحصونهم، و الدفاع عنها مدة طويله، فيتراجعون عن حربهم، و يتركونهم و شأنهم، من أجل التفرغ إلى ما هو أهم، و أولى.

و إذا كانت قضيه بنى النضير قد حصلت بعد وقعه أحد- و إن كنا لم نرتض ذلك- فلا بد أن يكون اليهود قد فكروا: أن محمدا (صلى الله عليه و آله) و أصحابه قد أصبحوا الآن فى موقف الضعف و التراجع. و لعل فى تسويق الوقت معهم، فى الوقت الذى يحس فيه المسلمون بالفشل و بالكارثة، نتيجة لما نزل بهم فى أحد، لسوف يجعلهم يفكرون فى انتهاج سبيل السلامه، و الانسحاب من موقع التحدى إلى موقع المساومه، و من سبيل الحرب إلى سبيل السلم، و توفير الأمن، و مراعاة جانب هؤلاء و أولئك، و عدم إثارة العداوات الكبيره داخل بلادهم، و فى قلب مواضعهم و مواقعهم.

و أما إذا كانت قضيه بنى النضير قد حصلت قبل ذلك، و بعد ستة أشهر من حرب بدر، حسبما قويناه، استنادا إلى العديد من الدلائل و الشواهد:

فلعل يهود بنى النضير قد فكروا: أن المسلمين لسوف لا يفرطون بهذا النصر الكبير الذى حققوه، و لعلهم على استعداد لمداراه هؤلاء و أولئك فى سبيل الحفاظ على صلابه الموقف و ثباته، و لسوف لا يقدمون على أى عمل من شأنه إحداث خلخله فى بنيه مجتمعهم. و لعل اليهود يعتقدون: أن حرب بدر كانت أمرا اتفاقيا صنعتها الصدفة، و الحظ السىء للمشركين، و ليس نتيجة قدرات حقيقه كانت لدى المسلمين. و إذا فليس ثمه ما

يخيف، و ليس هنالك ما يثير قلقا.

أما هم- أعنى بنى النصير- فيجدون فى أنفسهم القوه و المنعه، و لهم حلفاء كثيرون، و كثيرون جدا.

و بعد كل ما تقدم، فقد جاء موقف الإسلام، المتمثل فى موقف رسوله الأعظم (صلى الله عليه و آله)، فى دفته، و فى ثاقب بصيرته- قد جاء- على خلاف ما يتوقعون، و بغير ما يريدون و يشتهون.

فقد رأى المسلمون، من خلال الموقف النبوى الحازم و القوى: أن النصر فى بدر، و كذلك الضربه القاسيه التى نزلت فى أحد، لا بد أن تعمق فيهم إيمانهم، و ارتباطهم بالله سبحانه، و تقوى من صمودهم، و تشد من عزائمهم. و قد جعلهم هذا النصر، و تلك المأساه يشعرون بمسئوليه أكبر تجاه رساله، حيث أصبحوا فى موقع التحدى السافر لكل مظاهر الظلم و الجبروت و الطغيان و مصادره.

و عليهم من الآن فصاعدا أن يطردوا من آفاقهم كل مظاهر الضعف، و أن يتقوا أجواءهم من جميع عوامل التشر ذم و التشتت، و أن يبعدوا عن واقعهم و عن علاقاتهم، جميع مصادر الخلل، و عدم الانسجام.

فالتحدى كبير، و المسؤوليات جليله و خطيره، فلا بد من الاستعداد و لا بد من التصدى، بصوره أعمق، و أوثق و أوفق، ما دام أنهم قد وصلوا إلى نقطه اللارجوع، و أصبح الثمن غاليا، و هو دماء زكيه، و أرواح طاهره، و نقيه، فالحفاظ على القضيه، و على منجزاتها، التى دفعوا ثمنها جزء من وجودهم و من ذواتهم و أرواحهم أمر حتمى، إذ إن التخلى عنها يساوق التخلى عن الحياه و عن الوجود، و عن كل شىء.

وقد اتضح لديهم: أن أى تراجع أمام التحديات الكبيره الراهنه، لسوف تلحقه تراجعات أعظم، و يستتبع انحسارا أكبر عن كثير من المواضع و المواقع الحساسه، لصالح كل الأعداء و الطامعين، فى منطق العمل و الكفاح الإسلامى المقدس.

كما أن هذا التراجع و الانحسار لسوف يزيد من اشتها الآخريين للحصول على المزيد من المكاسب، و يضاعف من تصلبهم و شدتهم فى مواجهه المد الإسلامى العارم. و لسوف تنتعش الآمال، و تحيا الأمانى، بإضعاف هذا المد تدريجا، ثم القضاء عليه قضاء مبرما و نهائيا فى الوقت المناسب. و أما بالنسبه إلى أولئك الذين يميلون إلى الدخول فى هذا الدين الجديد، فإنهم حين يرون ضعفه، و تراجعهم، و قوه خصومه و شوكتهم، لسوف يجدون فى أنفسهم المبررات الكافيه للتأنى و التريث بانتظار المستجدات، و ما ستؤول إليه الأمور.

و لربما يتشجع الكثيرون أيضا على نقض تحالفاتهم، التى كانوا قد عقدوها مع المسلمين ما دام أن ذلك لن يستتبع خطرا، و لا يصطدم بصعوبات ذات بال.

كما أن الآخريين الذين يعيشون حاله الترقب سوف لا يجدون فى أنفسهم حاجه لعقد تحالفات و معاهدات مع المسلمين فى هذه الظروف المستجده.

و أخيرا .. فإننا نضيف إلى كل ما تقدم: أن من الطبيعى أن يكون خوض معركه كبيره مع اليهود- و ربما مع كثير من حلفائهم، الذين قد يتشجعون لمساعدته اليهود بعد طول المده، و بعد إحساسهم بقوتهم

و صلابتهم فى وجه الحصار، و بضعف فى موقف المسلمين - سوف يوجب أن تلحق بالمسلمين خسائر كبيره، ماديه و بشريه، لو أمكن توفيرها لما هو أهم لكان أجدر و أولى.

فإذا استطاع النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون كسر عنجهيه بنى النضير و غزوهم قبل أن يستفحل الأمر، و إفهامهم - و من هو على مثل رأيهم - مدى التصميم على مواجهه و التحدى، حتى يفقدوا الأمل بجدوى المقاومه، و ليفهموا - بصوره عمليه - أنهم إذا كانوا يطمعون بالبقاء فى أرضهم، فإن عليهم أن يقبلوا بها أرضا محروقه، جرداء، ليس فيها أى أثر للحياه، و لا تستطيع أن توفر لهم حتى لقمه العيش التى لا بد منها - هذا فيما لو قدر لهم أن يحتفظوا بالحياه، و يخرجوا أو بعضهم سالمين من هذه الحرب التى جروها على أنفسهم -.

نعم .. إنه (صلى الله عليه و آله) إذا استطاع ذلك، فإنه يكون قد وفر على نفسه، و على الإسلام و المسلمين الكثير من المتاعب، و المصاعب، و المصائب، التى ألمحنا إليها.

و هذا هو ما اختاره رسول الله (صلى الله عليه و آله) فعلا، و بادر إليه عملا. فكان قطع النخيل و حرقه يمثل قطع آخر آمالهم، و تدمير كل أمانيتهم، و غايه ذلهم و خزيهم.

و رأوا حينئذ: أن لا فائده من الاستمرار فى اللجاج و التحدى إلا تكبد المزيد من الخسائر، و مواجهه الكثير من النكسات.

و هذا بالذات، هو ما يفسر لنا قوله تعالى فى تعلييل إذن الله سبحانه بقطع النخل: .. وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ.

فقد كان قطع النخل ضروريا و لازما، من أجل قطع آمال بنى النضير، و كل آمال غيرهم أيضا، و خزيمهم و خزى سائر حلفائهم، و على رأسهم ابن أبى، و من معهم من المنافقين، ثم كل من يرقب الساحه، و يطمع فى أن يستفيد من تحولاتها فى تحقيق مآربه ضد الإسلام، و المسلمين.

و من هنا نعرف السر فى قوله تعالى: .. وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ بدل:

(الكافرين)، من أجل أن يشمل الخزى كل من يسوءه ما جرى لبنى النضير، حتى أولئك الذين يتظاهرون بالإسلام، أو بالموده الكاذبه للمسلمين.

و هذه ما يفسر لنا: الاهتمام الكبير الذى أولاه سبحانه لموضوع قطع النخل، حتى لقد خلده فى آيه قرآنيه كريمه، فإن القضييه كانت أكبر من بنى النضير، و أخطر، حسبما أوضحناه.

المهاجرون!! و قطع النخل:

بقى علينا أن نشير هنا إلى أن البعض يذكر: أن المهاجرين هم الذين اختلفوا فيما بينهم حول قطع النخل.

فعن مجاهد، قال: نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل، قالوا:

إنما هى مغنم للمسلمين (١).

و نلاحظ: أن هذا بالذات كان رأى عبد الله بن سلام، الذى كان يهوديالى.

١- جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٣ و ٢٢ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٣ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٩ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٨ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد و ابن المنذر، و البيهقى فى الدلائل.

فأسلم، رغم أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان قد أمره بقطع النخل، فعلل اختياره للردى ٤ بذلك كما ذكرنا.

و لنا أن نتساءل هنا:

لما ذا المهاجرون هم الذين يnehون عن ذلك؟!

و لما ذا لم يكن فيهم أحد من الأنصار؟

سوى ابن سلام!!

و ربما رجل آخر أيضا!!

فهل أدرك المهاجرون أمرا عجز الأنصار عن إدراكه؟! أم أنهم قد اتخذوا هذا الموقف انطلاقا من مصالح رأوا أنها لربما تفوتهم، لو استمر الأمر على النحو الذى خطط له رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟!

أم أنه قد كانت ثمه خلفيات أخرى، لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عنها، لسبب، أو لآخر؟!

و إذا كانت النصوص كلها تقريبا تؤكد على: أن الرسول الأعظم نفسه هو الذى أمر بقطع نخلهم (١) .. فإن معنى ذلك هو: أن اعتراض هذا الفريق من المهاجرين قد كان متوجها إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالذات.

و أن الفريق الآخر منهم إنما كان ينفذ أمره (صلى الله عليه و آله).

و لا نملك هنا إلا التذكير بأنه قد سبق لبعض المهاجرين: أن اعتراضوا على رسول الله، حينما أراد قتل أسرى بدر، و أصروا عليه فى ترك ذلك، حتى نزل القرآن مصوّبا رأيه (صلى الله عليه و آله).ك.

و لكنهم لم يقنعهم ذلك، رغم أنه (صلى الله عليه و آله) قد أخبرهم: أنه سيقتل بعدتهم فيما بعد، لو تم إطلاق سراحهم .. و هكذا كان.

و قد سجلنا بعض الشكوك و التساؤلات حول موقف بعض المهاجرين فى حرب أحد (١) فلا نعيد.

و مهما يكن من أمر، فإننا لا نستطيع أن نفهم موقف هذا الفريق من المهاجرين هنا، و كذلك موقف بعضهم فى بدر، و أحد، بصورة ساذجه و لا أن نفسره بطريقه سطحيه، ما دام أن الدلائل تشير إلى خلفيات، و دوافع غير معلنه، و لا ظاهره، يؤثر الوقوف عليها فى استجلاء كثير من الحقائق، و الوقوف على مواطن و كوامن كثيره، و لربما على مبهمات خطيره، تؤثر على فهمنا العام لكثير من المواقف فى حياه العديد من الشخصيات التى كان لها دور مرموق فى كثير من الأحداث الخطيره فى التاريخ الإسلامى.

و خلاصه الأمر: أن البحث الموضوعى يقضى بتقصى النصوص و المواقف و استنطاقها، لمعرفة مدى تعاطف بعض المهاجرين مع قومهم المكيبين، و مع يهود المدينه، ليتمكن لنا تقييم مواقفهم، و فهم معانى كلماتهم، و إشاراتهما و مراميها، بصورة أدق و أعمق، و ليكون تصورنا أقرب إلى الواقع، و أكثر شموليه، و أتم و أوفى.

و فى إشاره خاطفه نذكر: بأننا قد تحدثنا عن أن المهاجرين كانوا يشكلون تكتلا مستقلا، له تطلعاته و طموحاته، و له فكره المتميز فى آفاقه و فى خصائصه، و لا سيما فى ما يرتبط بالسياسه و الحكم و التخطيط له.ب.

أما الأنصار، فلم يكونوا كذلك، بل كانوا فريقاً آخر، يحرم من اهتمامات الحكام، ويستثنى من مختلف الامتيازات، إلا حيث يجرح الحاكم، ولا يجد من ذلك بدا ولا مناصاً.

وقد روى عن الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب قوله:

(أوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم. وأوصيه بالأنصار، الذين تبوءوا الدار و الإيمان من قبلهم: أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن سيئهم) (١).

فيلاحظ: الفرق النوعى فيما يطلبه ثانى الخلفاء ممن يلى الأمر بعده بالنسبة لهؤلاء، و بالنسبة لأولئك.

و على هذا الأساس، و من منطلق هذه الفوارق، جاء قول ابن أبى ليلى:

الناس على ثلاثه منازل: المهاجرون، و الذين تبوءوا الدار و الإيمان، و الذين جاؤوا من بعدهم: فاجهد: ألا تخرج من هذه المنازل.

و قال بعضهم: كن شمسا، فإن لم تستطع، فكن قمرا فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيئا؛ فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا، و من جهه النور لا تقطع.

و معنى هذا: كن مهاجريا، فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريا، فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم الخ .. (٢).

و لا ندرى من أين جاءت هذه الطبقه، و كيف قبل الناس هذا التمييز ١.

١- فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٢ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١٢٨ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٧ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٧٥ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٥ عن البخارى، و ابن أبى شيبه، و ابن مردويه.

٢- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٣١.

الذى لا- يقوم على تقوى الله، وإنما على عناوين و خصوصيات فرضتها طبيعه التحرك فى مجال نشر الدعوه و تركيزها؟ و يوضح ذلك أن عمر بن الخطاب حين خطب بالجايه قال: (و من أراد أن يسأل عن المال فليأتنى، فإن الله تعالى جعل له خازنا و قاسما.

ألا و إنى بادئ بأزواج النبى (صلى الله عليه و آله) فمعطيهم، ثم المهاجرين الأولين، أنا و أصحابى، أخرجنا من مكه من ديارنا و أموالنا (١).

و مهما يكن من أمر، فإنك تجد فى كتابنا هذا إشارات و نصوصا كثيره فى مواضع مختلفه توضح ما عانى منه الأنصار، و اختص به المهاجرون.

و استيفاء البحث فى هذا يحتاج إلى توفر تام، و تأليف مستقل.

التصويب فى الاجتهاد:

لقد استدلل البعض بقوله تعالى: ما قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٢) على جواز الاجتهاد، و على تصويب المجتهدين (٣).

كما و استدلوا على جواز الاجتهاد بحضره الرسول، و على أن كل مجتهد ٩.

١- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٠ و حول مصادر تمييز عمر بين الناس فى العطاء، و تفضيل بعضهم على بعض راجع كتابنا: (سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى).

٢- الآية ٥ من سوره الحشر.

٣- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٧ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨ عن الماوردى، و عن الكيا الطبرى و راجع: غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ٢٨ ص ٣٧ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٩.

مصيب، بالروايه التي تقول:

إن رجلين، أحدهما كان يقطع العجوه، و الآخر اللون، فسألهما (صلى الله عليه و آله) فقال هذا: تركتها لرسول الله.

و قال هذا: قطعها غيظا للكفار (١).

و نقول:

إن الاستدلال بما ذكر لا يصح، و ذلك لما يلي:

١- بالنسبه للاستدلال بالروايه على التصويب فقد قال ابن العربى:

(و هذا باطل، لأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان معهم، و لا اجتهاد مع حضور رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢).

٢- إن الروايه المذكوره لم تصرح بأن النبي (صلى الله عليه و آله) أمضى اجتهادهما أم لا. حيث إنها ذكرت اعتذارهما للنبي (صلى الله عليه و آله) بهذا الشأن، فهل أيد هذا الفريق؟ أو ذاك؟ أو لم يؤيد أي منهما؟ كل ذلك لا دليل عليه، و لا شىء يشير إليه.

٣- إنه- لو فرض أن هذا اجتهاد- فإنما هو اجتهاد بالتطبيق، فواحد يرى: أن هذا جائز، لأن فيه نكايه فى العدو، و النكايه فى العدو، و إغاظته مطلوبه منه و واجب عليه.

و ذاك يرى: أن تقويه المسلمين مطلوبه، و أن فى الاحتفاظ بالنخل تقويه ٨.

١- التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٣ و الكشاف ج ٤ ص ٥٠١ و ٥٠٢ و قد تقدم اسم هذين الرجلين، و مصادر موقفهما هذا فليراجعه من أراد.

٢- أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨.

لهم، و عملا بالحكم الشرعى.

فليس ثمة اجتهاد فى حكم شرعى كلى من الأحكام الخمسه، و إنما هم مختلفون فى تشخيص موضوع الحكم الشرعى أى فيما هو المصلحه لهم، و ما فيه نكايه فى العدو.

٤- من الذى قال: إن هؤلاء الذين اختلفوا فى قطع النخل و عدمه، كانوا قد بلغوا رتبه الاجتهاد؟ فلعل أحدا منهم لم يكن قد بلغ هذه المرتبه الشريفه، و لعل أحد الفريقين قد بلغها دون الآخر، و لعل.

٥- إنه إذا كان الرسول (صلى الله عليه و آله) هو الذى أمر بقطع النخل، كما صرحت به النصوص المتقدمه عن مصادر كثيره جدا، فإن الاستدلال على جواز الاجتهاد و التصويب فيه بالآيه الكريمه يصبح فى غير محله، و ذلك لأن عدم القطع يصير اجتهادا فى مقابل النص، بل هو عصيان لأمر الرسول، و شك فى صواب ما يصدر منه (صلى الله عليه و آله).

و لعله (صلى الله عليه و آله) قد أمرهم بقطع نوع من النخيل، فلم يعجبهم ذلك، فعصوا الأمر.

٦- إن التصويب باطل، و لا يصح، لا عقلا، و لا شرعا، و قد تكلم الأصوليون على هذا الأمر بالتفصيل، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع المطولات (١).

هذا الشعر لمن؟!!

قال السهمودى- كما قال غيره:- (و لما حرق رسول الله (صلى الله عليه ٥).

١- فوائد الأصول، للشيخ الأنصارى ص ٢٥.

و آله) نخلهم، قال حسان رضى الله عنه يعير قريشا من أبيات:

و هان على سراه بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و لم يكن أسلم حينئذ:

أدام الله ذلك من صنيع و حرق فى نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه و تعلم أى أرضينا تضير أى ستعلم أينا منها ببعده، و أى الأرضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها الضير، أى الضرر، لأن بنى النضير إذا خرجت أضرت بما جاورها، و هو أرض الأنصار، لا أرض قريش.

و نقل ابن سيد الناس، عن أبي عمرو الشيباني: أن الذى قال البيت المتقدم، المنسوب لحسان هو: أبو سفيان بن الحارث، و أنه لما قال: و عز على سراه بنى لؤى، بدل: هان قال: و يروى (بالويله) بدل (بالبويرة) و أن المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسان.

و ما قدمناه هو روايه البخارى.

قال ابن سيد الناس: و ما ذكره الشيباني أشبه.

قلت: كأنه استبعد أن يدعو أبو سفيان فى حاله كفره على أرض بنى النضير، و قد قدمنا وجهه (١). انتهى كلام السهمودى.

و لكننا بدورنا نؤيد ما ذكره ابن سيد الناس، و ذلك لأن تفسير ٣.

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ و راجع: شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥، عن ابن سيد الناس، و الجواب عن ابن حجر و عمده القارى ج ١٧ ص ١٢٩ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٧ و ٢٥٨ و معجم البلدان ج ١ ص ٥١٢ و ٥١٣.

السمهودى للبيت الثانى غير مفهوم، فإن حريق النخل لا يلزم منه لحوق الضرر بأراضى الأنصار.

كما أن تفسيره، الذى ذكره لا يدفع كلام ابن سيد الناس، و ذلك لأن البيت الأول من بيتى الجواب، فيه الدعاء و الطلب من الله أن يديم هذا الصنيع.

و ظاهره: أن ذلك الدعاء يصدر من رجل محب و موال و موافق على هذا الحريق.

كما أن من البعيد أن يكون قد وصل خبر حرق النخل إلى مكة، ثم وصل شعر حسان إليهم، و أجابوا عليه بالطلب من الله إدامه هذا الأمر من أجل أن تحترق أراضى الأنصار، فإن أمر بنى النضير قد فرغ منه خلال أيام.

و من جهة أخرى: فإن البيت الأول يناسبه كلمه و عز؛ لأن سراه بنى لؤى- و هم مشركو مكة- يعز عليهم حدوث هذا الحريق فى بنى النضير، و لا يهون عليهم .. إلا إذا كان يقصد بسراه بنى لؤى النبى (صلى الله عليه و آله) و من معه.

أو كان يقصد: أن هذا الحريق لا تهتم له قريش و لا يضرها بشىء، فأجابه حسان بأن ذلك سوف يضيرهم قطعاً، و لن تتضرر أرض الأنصار منه.

و مهما يكن من أمر، فإنه لم يتضح لنا وجه تقويته لأن يكون البيت الأول لحسان .. و البيتان الآخرا لأبى سفيان بن الحارث ..

و لعل كلام ابن سيد الناس أولى بالقبول، و أقرب إلى اعتبارات العقول.

و أخيراً .. فقد قال العينى: فى ترجيح قول ابن سيد الناس: (يصلح للترجيح قول أبى عمرو الشيبانى، لأنه أدرى بذلك من غيره على ما لا يخفى على أحد) (١).٩.

ص: ١٧١

الفصل الرابع: الجزء الأوفى

أشاره

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى:

قال تعالى: لا- يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١).

قد أعطت هذه الآيه الشريفه تصورا متكاملا عن حاله أولئك الذين لا يملكون صفه الإيمان، حيث أرجعت هذه الحاله إلى عللها و أسبابها، و ربطتها بمناشئها الحقيقيه، بصوره واضحه و دقيقه.

و لا نريد أن نستعرض هنا كل ما تعرضت له الآيه تصريحاً، أو تلويحاً، فإن ذلك يحتاج إلى توفر تام، و تأمل و دقه و جهد، لا نجد لدينا القدره على توفيره فعلاً، و إنما نريد أن نسجل هنا حقيقه واحده، نحسب أن الإلفات إليها يناسب ما نحن بصدده، و هي:

أن النظره الماديه للحياه، و عدم الإيمان بالآخره، أو عدم تعمق الإيمان بها يجعل الإنسان يقيس الأمور بمقياس الربح و الخساره في الدنيا. و هذا- بنظره- هو الذي يعطيها قيمه، أو يفقدها إياها، و لتصبح الحياه الدنيا-ر.

من ثم- هي الغايه، و هي النهايه، و هي كل شىء بالنسبه إلى هذا النوع من الناس، فإذا فقدها، فلا شىء له بعد ذلك على الإطلاق. و يصبح شخصه كفرد هو المعيار و الميزان للصالح و الفساد، و للحسن و القبيح، و للواجب و الحرام. فهو لا يمارس شيئاً و لا يرتبط بشىء إلا بمقدار ما يجر إليه نفعاً، أو يدفع عنه شراً و ضراً. و تفقد الحياه الاجتماعيه معناها و مغزاها، إلا فى الحدود التى تستخدم وجود الفرد، و مصالحه، فهو مع الناس، و إنما لأجل نفسه، و هو وحده لا شريك له، و كل ما فى الوجود يجب أن يكون من أجله و فى خدمته. و يجب أن يضحى بكل غال و نفيس فى سبيله، فهو القيمه لكل شىء، و ليس لأى شىء آخر أيه قيمه تذكر.

و على هذا، فإن جميع القيم تسقط، و يبقى هو. فلا معنى للتضحيه إلا إذا كانت من الآخرين من أجله، و لا معنى للإيثار إلا إيثار الآخرين له على أنفسهم. و لا معنى للشهاده فى سبيل الله إلا إذا نالت الآخرين دونه، و لا معنى للحق و للباطل، و للغدر و الوفاء، و للصدق و الكذب و .. و .. الخ ..

إلا من خلال ما يجلب له نفعاً، أو يدفع عنه ضراً و شراً.

و إذا كان مع الجماعه فإنه لا يشاركهم فى شىء، و لا يههمه من أمرهم شىء، بل هو يريد منهم أن يدفعوا عنه، و يموتوا من أجله و فى سبيله.

و هذا بالذات ما يفسر لنا قوله تعالى: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى (١).

نعم .. إن قلوبهم (شتى) بكل ما لهذه الكلمه من معنى لأنهم لار.

يفكرون فى شىء واحد، و إنما هم يفكرون بأشياء متباينه، و متعدده، بعددهم جميعا. فنفس كل فرد منهم تخضع لفكرين متناقضين فصاحبها يفكر فى حفظها، و بقائها، و كل من معه يفكرون فى إتلاف هذه النفس من أجل حفظ وجودهم هم دونه.

و هكذا الحال بالنسبه لنفس كل فرد منهم، و إذا فكر أحد منهم بحفظ نفوس الآخرين، فإنما ذلك حين يرى فيه ضمانه لبقائه، و حفظ نفسه هو أولا.

و ذلك يوضح لنا أيضا: السر فى أن هؤلاء لا يقاتلون المؤمنين إلا من وراء جدر، أو فى قرى محصنه، حسبما أوضحته الآيه الشريفه.

و ما ذلك إلا لأن هؤلاء لا يعقلون معنى الحياه و أسرارها، و لا حكمه الخلق و أهداف الوجود. فإن ذلك إنما جاء وفق المعايير و الأحكام العقليه و الفطريه، فهو لا يشذ عنها، و لا يختلف و لا يتخلف عن أحكامها و مقتضياتها.

و لو أنهم فكروا و أطلقوا عقولهم من عقال الهوى، لأدركوا ذلك كله، و لتغيرت نظرتهم للكون و للحياه، و لعرفوا بعضا من أسرار الخلق و الوجود، و لتبدلت المعايير و القيم التى كانت تستند إلى أوهام و خيالات، و تؤكدها و تفرضها الفطره الخالصه عن الشوائب، و البعيده عن تجاذب الأهواء.

إذا .. فعدم التزامهم بهدى العقل، و رفضهم الانصياع لأحكامه، هو أصل البلاء، و سبب العناء، و هو ما أكدته الآيه الكريمه، التى أرجعت حالتهم التى هى غايه خزيهم و ذلهم إلى ذلك، فهى تقول: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١).ر.

اليهود والمنافقون لا ينصرون حلفاءهم:

و نلاحظ هنا: أن المعاهدات التي كان النبي (صلى الله عليه و آله) يبرمها مع اليهود، لم يظهر اليهود فيها وحده متكامله، بل كانوا شيعا و أحزابا. فقد عاهد (صلى الله عليه و آله) كل قبيله منهم على حده: النضير، و قينقاع، و قريظه، و كذلك الحال بالنسبه لخبير و فدك و غير ذلك، و معنى ذلك هو أنهم كانوا فيما بينهم شيعا و أحزابا.

و يلاحظ أيضا: أن أيا من قبائلهم لم تنهض للدفاع عن القبيله الأخرى. كما أن أحلافهم من غطفان، و من المنافقين، لم يهبوا لنصر أى من القبائل و الجماعات التي حالفوها و وعدوها النصر، و هو ما نص عليه الله تعالى حين قال عنهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأُذْبَانَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١) ..

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٢).

و قد علم معنى الآيات مما قدمناه.

و عن علي (عليه السلام) أنه قال: المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء، و إن افترقت منازلهم، و الفجره بعضهم لبعض غششه خونه، و إن اجتمعوا.

١- الآيتان ١١ و ١٢ من سوره الحشر.

٢- الآيه ١٣ من سوره الحشر.

أبدانهم (١).

و كان مما قاله سلام بن مشكم لحيى بن أخطب حول وعد ابن أبى لهم بالنصر:

(ليس قول ابن أبى بشىء، إنما يريد ابن أبى: أن يورطك فى الهلكه، حتى نحارب محمدا، ثم يجلس فى بيته و يتر كك. قد أراد من كعب بن أسد النصر، فأبى كعب، و قال: لا- ينقضن العهد رجل من بنى قريظه و أنا حى، و إلا فإن ابن أبى قد وعد حلفاء من بنى قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا و نقضوا العهد، و حصروا أنفسهم فى صياصيههم، و انتظروا نصره ابن أبى، فجلس فى بيته، و سار محمد إليهم، فحصرهم حتى نزلوا على حكمه.

فابن أبى لا- ينصر حلفاءه، و من كان يمنعه من الناس كلهم، و نحن لم نزل نضربه بسيفنا مع الأوس فى حربهم كلها، إلى أن تقطعت حربهم، فقدم محمد فحجز بينهم. و ابن أبى لا يهودى على دين يهود، و لا على دين محمد، و لا على دين قومه، فكيف تقبل منه قولاً قاله؟

قال حى: تأبى نفسى إلا عداوه محمد و إلا قتاله ..

قال سلام: (فهو و الله جلاؤنا من أرضنا الخ ..) (٢).

و يلاحظ من كلام سلام: أنه كان يشك فى نوايا عبد الله بن أبى تجاههم.

و مما يؤكد هذه التهمه قول الواقدى بعد ذكره إرسال ابن أبى إلى قريظه يطلب منهم نصر إخوانهم من بنى النضير، و رفضهم لذلك: (فيئس ابن أبى من قريظه، و أراد أن يلحم الأمر فيما بين بنى النضير، و رسول الله، فلم يزل ٤).

١- الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٩ عن الديلمى.

٢- مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٦٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤.

يرسل إلى حبي، حتى قال حبي: أنا أرسل إلى محمد أعلمه: أنا لا نخرج من دارنا و من أموالنا الخ .. (١). فصدق الله العظيم، و صدق رسوله الكريم (صلى الله عليه و آله)، و صدق أمير المؤمنين على (عليه الصلاة و السلام) و صدق الأئمة من ولده صلوات الله عليهم أجمعين.

يُخْرَبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ:

هناك أقوال كثيرة في بيان المراد من قوله تعالى عن بنى النضير:

يُخْرَبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ (٢).

و نحن نشير هنا إلى بعضها، فنقول:

قال البعض: (يخربونها من داخل (أى ليهربوا) و يخربها المؤمنون من خارج (أى ليصلوا إليهم).

و قيل: معنى بأيديهم: بما كسبت أيديهم من نقض العهد، و أيدي المؤمنين، أى بجهادهم (٣).هـ.

١- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٦٨.

٢- الآية ٢ من سورة الحشر.

٣- راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ و ١٦١ و السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و ٥ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٦٦ و راجع: الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩ و القول الأول موجود في: التبيان ج ٩ ص ٥٥٨ و كذا في جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٠ و راجع: غرائب القرآن بهامشه ج ٢٨ ص ٣٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامش نفس الصفحة.

و لعل هذا القول هو الذى أشار إليه الزجاج، حين قال: معنى تخريبها بأيدي المؤمنين: أنهم عرضوها لذلك (١).

و كان المسلمون يخربون ما يليهم و يحرقون حتى وقع الصلح (٢).

و قال البعض: (كانوا ينظرون إلى منازلهم فيهدمونها، و ينزعون منها الخشب، ما يستحسنونها، فيحملونها على إبلهم، و يخرب المؤمنون بواقيها ..

إلى أن قال: قال ابن زيد: كانوا يقلعون العمدة، و ينقضون السقف، و ينقبون الجدر، و ينزعون الخشب حتى الأوتاد، و يخربونها، حتى لا يسكنها المؤمنون، حسدا و بغضا (٣).

و قيل: إن سبب خرابهم لبيوتهم حاجتهم إلى الخشب و الحجارة، ليسدوا بها أفواه الأزقة، و أن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائهم للمسلمين، و أن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب، و الساج المليح. أما المؤمنون فداعاهم ٦.

١- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦١ عنه، و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و راجع: مدارك التنزيل (بهامش لباب التأويل) ج ٤ ص ٢٤٥ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨١ و الكشف ج ٤ ص ٥٠٠.

٢- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٤.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و لباب التأويل ج

٤ ص ٢٤٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ عن الزهرى و عروه بن الزبير، و ابن زيد و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨١ و ٢٨٠ و قول ابن زيد فى: غرائب القرآن المطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٥ و كذا فى فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦.

إزاله متحصنهم و ممتنعهم، و أن يتسع لهم مجال الحرب (١).

و قال القمى: (و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا ظهر بمقدم بيوتهم، حصنوا ما يليهم، و خربوا ما يليه، و كان الرجل ممن كان له بيت حسن خربه ..) (٢).

و ثمة أقوال أخرى فى المقام، و بعضها يرجع إلى ما تقدم.

منها: قول عكرمه: إن منازلهم كانت مزخرفة، فحسدوا المسلمين أن يسكنوها، فخربوها من داخل، و خربها المسلمون من خارج (٣).

و قول آخر: إنه كلما هدم المسلمون شيئاً من حصونهم، جعلوا ينقضون بيوتهم، و يخربونها لئبوا ما هدم المسلمون (٤).

و قول ثالث: إنهم كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها، لتتسع لهم المقاتل، و جعل اليهود ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التى بعدها، فيتحصنون فيها، و يكسرون ما يليهم، و يرمون بالتى خرجوا منها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فلما كادت اليهود أن تبلغ آخر دورها، و هم ينتظرون المنافقين، حتى يسوا منهم طلبوا ٤.

١- الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩ و ٥٠٠ و مدارك التنزيل، مطبوع بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و راجع: غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٥.

٢- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٩ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٤ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣.

٣- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٥ و راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٠.

٤- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٦ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢١ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤.

الصلح (١).

وئمه قول رابع: إنهم دربوا الأزقه و حصونها، فنقضوا بيوتهم، و جعلوها كالحصون على أبواب الأزقه، و كان المسلمون يخربون سائر الجوانب (٢). إلى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها و استقصائها.

نجاف الباب و وصيه موسى:

تنص الروايات: على أن الرجل من بنى النضير كان يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره، فينطلق به (٣).

و قد فسر البعض هذه الظاهره، فكتب يقول: (هدم نجاف (٤) البيوت يتعلق بعقيدته تلموديه معروفه، هي: أن كل يهودى يعلق على نجاف داره صحيفه تشتمل على وصيه موسى لبنى إسرائيل: أن يحتفظوا بالإيمان بالله).

١- راجع المصادر التاليه: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٢ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٧ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٧ عن البيهقي فى الدلائل، و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه، نفس الصفحه، و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٤ و ٥ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٥.

٢- التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٠.

٣- راجع على سبيل المثال: تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٤ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٨ و جامع البيان ج ٢٨ ص ٢١ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٤٧ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣ و راجع: المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٨٠ و ٣٧٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٦.

٤- النجاف: ما بنى ناتنا فوق الباب، مشرفا عليه.

واحد، و لا يبدلوه و لو عذبوا و قتلوا.

فاليهود حين ينزحون عن منازلهم يأخذونها معهم، و هي عادة متبعه عند اليهود إلى يومنا هذا.

و يظهر: أن يهود بلاد العرب كانوا يضعون تلك الصحيفة داخل النجاف، خوفا من إتلاف الهواء، أو مس الأيدي فلما رحلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت، و أخذوها .. (١).

روايات غير موثوق بصحتها:

و نحن نشك كثيرا في عدد من الروايات التي تقدمت في الفصل الأول من هذا الباب، و في غيره من الفصول، و التي تحاول أن تعطى لغزوه بنى النضير طابعا حربيّا عنيفا، حتى ليذكر البعض منها: أن المسلمين كانوا يخربون بيوت بنى النضير من الخارج ليتسع لهم ميدان القتال، و كان بنو النضير يخربون بيوتهم من الداخل لأجل التحصين بها، و أنهم قد بلغوا أقصى دورهم، و هم على هذه الصفة، إلى غير ذلك من نصوص و روايات تصب في هذا الاتجاه.

فإننا و إن كنا نقول: إنه قد كان ثمة حصار، و قطع للأشجار، و رشق بالنبل من قبل بنى النضير، و خراب للبيوت بأيدي بنى النضير، و بأيدي المؤمنين، ثم قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) عشرة منهم، فدب الرعب في قلوبهم، و اقتنعوا: أن لا طاقة لهم بالحرب، فأثروا الاستسلام و القبول بالجلاء.

١- اليهود في القرآن ص ٧٨ عن كتاب: اليهود في بلاد العرب ص ١٣٨ تأليف: ولفسون.

و أفاء الله على رسوله أراضيهم، و سوغه أموالهم.

و لكن الإصرار على إظهار جانب العنف و القتال و الحرب القويه و الضاربه من البعض، إنما هو لأجل الإيحاء بأن أرض بنى النضير قد فتحت عنوه، و أن المسلمين قد أخذوها عن استحقاق، و لم يكن النسي (صلى الله عليه و آله) متفضلا عليهم فى إعطائهم إياها!!

و معنى ذلك هو: أن المطالبه بها من قبل الورثه الحقيقين للرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) بعد وفاته تصبح بلا معنى، و بلا مبرر ظاهر ..

رغم أن القرآن قد صرح: بأن أرضهم كانت فيئا، و أنها خاصه برسول الله (صلى الله عليه و آله). ولكن تبرير موقف السلطه، و التعتيم على مظالمها أهم و أولى من الحفاظ على القرآن، و أحكامه، بنظر هؤلاء المتحذلقين، الذين يستخدمون كل وسائل التزوير و التحوير و الإبهام فى خدمه أهوائهم و مصالحهم و اتجاهاتهم.

ضيعوا حقها المبين بتزويرو هل عندهم سوى التزوير؟!

لأول الحشر:

قد ذكرت سوره الحشر- التى يرى المؤرخون و المفسرون: أنها تتحدث عن حادثه بنى النضير، الذين أخرجهم رسول الله (صلى الله عليه و آله)- أن هذا هو أول الحشر لهم ..

و قد اختلفوا فى المراد من ذلك.

فروى موسى بن عقبه: أنهم قالوا: إلى أين نخرج يا محمد؟

قال: إلى الحشر.

يعنى: أرض المحشر، وهى الشام ..

هذا فى الدنيا، و الحشر الثانى يوم القيامة إلى الشام أيضا (١).

وقيل: إن أول الحشر هو إخراجهم من حصونهم إلى خيبر، و آخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام (٢).

وقيل: إنما قال لأول الحشر؛ لأن الله فتح على نبيه (صلى الله عليه و آله) فى أول ما قاتلهم (٣).

وقيل: المراد بالحشر؛ الجلاء، و قد كان بنو النضير من سبط من بنى إسرائيل لم يصيبهم جلاء.

زاد الطبرسى، و غيره: أن الحشر الثانى هو إخراج إخوانهم من جزيره العرب (أى على يد عمر بن الخطاب) لئلا يجتمع فى جزيره العرب دينان (٤). ٩-

١- راجع: مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و إرشاد السارى ج ٧ ص ٣٧٥ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٤ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه و التبيان ج ٩ ص ٥٥٧ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه فى نفس الصفحه، و راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥١ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و ٣ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و راجع أيضا: فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و بعض من تقدم قد ذكر بعض ذلك دون بعض.

٢- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

٣- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ عنه.

٤- راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و البيهقى فى الدلائل، و أبى داود، و ابن المنذر، و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٠ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و ٢١٦ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٤ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩-

و قيل: إن الحشر الثاني، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن؛ فتحشر الناس إلى الموقف، تبيت معهم حيث باتوا؛ و تقيل معهم حيث قالوا، و تأكل من تخلف (١).

و قال العينى: (إن بنى النضير أول من أخرج من ديارهم) (٢).

و نقول: بل أجلى بنو قينقاع قبلهم.

و قال الكلبي: كانوا أول من أجلى من أهل الذمه من جزيره العرب ثم أجلى آخرهم فى زمن عمر بن الخطاب؛ فكان جلاؤهم أول حشر من المدينه، و آخر حشر إجلاء عمر لهم (٣).

قال السهيلي، بعد ذكره ما تقدم: ٦.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥ و مدارك التنزيل بهامشه فى نفس الصفحه و راجع: جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٠ و غرائب القرآن بهامشه ج ٢٨ ص ٣٤ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٠ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٤ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨.

٢- عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٦.

٣- فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٩ و راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و جوامع الجامع ص ٢٨٦.

(.. و الآيه متضمنه لهذه الأقوال كلها، و لزائد عليها؛ فإن قوله: لِأَوَّلِ الْحَشْرِ يُؤذن: أن ثمة حشرا آخر؛ فكان هذا الحشر و الجلاء إلى خير، ثم أجلاهم عمر من خير إلى تيماء، و أريحا، و ذلك حين بلغه التثب عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال: لا يبقين دينان بأرض العرب (١).

كما أن عبد الرزاق الصنعاني، بعد أن ذكر: أن النبي: (صلى الله عليه و آله) قد دفع خير إلى اليهود، على أن يعملوا بها، و لهم شطرها قال:

(فمضى على ذلك رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أبو بكر، و صدر من خلافه عمر، ثم أخبر عمر: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قال في وجعه الذي مات فيه: لا يجتمع بأرض الحجاز- أو بأرض العرب- دينان؛ ففحص عن ذلك حتى وجد عليه التثب، فقال:

من كان عنده عهد من رسول الله (صلى الله عليه و آله) فليأت به، و إلا فإني مجليكم.

قال: فأجلاهم). و كذا ذكر غير عبد الرزاق أيضا (٢).

و قد نص المؤرخون: على أن عمر أجلى من يهود من لم يكن معه عهد.

١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ و ستأتي مصادر أخرى.

٢- المصنف للصنعاني ج ٤ ص ١٢٦ و راجع ج ١٠ ص ٣٥٩ و ٣٦٠ و راجع: مغازى الواقدي ج ٢ ص ٧١٧ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٧١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢١٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٤١٥ و عمده القارى ج ١٣ ص ٣٠٦ و فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠ عن ابن أبى شيبه و غيره، و الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج ٣ ص ٨٨ و غريب الحديث لابن سلام ج ٢ ص ٦٧ و راجع وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠.

من رسول الله (١).

و نقول:

إن حديث إجلاء عمر لليهود، حين بلغه الثبت عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): لا يجتمع بأرض العرب دينان، يحتاج إلى شىء من البسط و التوضيح ..

و قد كنا نود إرجاء الحديث عن هذا الأمر إلى وقعه خيبر، و لكن ما ذكره السهيلي و غيره هنا قد جعلنا نتعجل الإشارة إلى بعض من ذلك.

و لكننا قبل أن ندخل في مناقشه هذا الأمر نشير إلى أمرين:

الأول:

إن تصريح الروايه المتقدمه بأن الخليفه قد نفذ ما كان قد سمعه من النبي (صلى الله عليه و آله) فى وجعه الذى مات فيه، يحتاج إلى مزيد من التأمل، بعد أن كان هو نفسه قد قال عن النبي (صلى الله عليه و آله) فى نفس ذلك المرض: إنه يهجر، أو غلبه الوجع أو نحو ذلك .. (٢).ب-

١- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٢١ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٢٢٤ و الإكتفاء ج ٢ ص ٢٧١ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٤١٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢١٩.

٢- الإيضاح ص ٣٥٩ و تذكره الخواص ص ٦٢ و سر العالمين ص ٢٠ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٦٠ و ج ٤ ص ٥ و ١٧٣ و ج ١ ص ٢١ و ٢٢ و ج ٢ ص ١١٥ و الملل و النحل ج ١ ص ٢٢ و صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٥٩ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٢٧ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٤٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ١٩٢ و ١٩٣ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٣٢٠ و أنساب-

و صرحت المصادر: أنه (صلى الله عليه و آله) قد قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أنه لا يجتمع فيها دينان، بعد قول عمر الأنف الذكر، و تنازعهم عنده (١).

فمن غلبه الوجع: و من كان يهجر- و العياذ بالله- لا- يوثق بما يقوله، و لا ينبغي الالتزام به، حتى و لو ورد بالطرق الصحيحة و الصريحه. نعوذ بالله من الزلل و الخطل فى القول و العمل .. و عصمنا الله من نسبه ذلك لرسوله الأكرم (صلى الله عليه و آله).

الثانى:

إننا لا نريد أن نسجل إدانه صريحه للخليفه الثانى، حول ما تذكره الروايه من جهله بآخر أمر صدر من النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله)، حول وجود الأديان فى جزيرة العرب .. بأن نقول: إن ذلك لا يتناسب مع مقام خلافة رسول الله (صلى الله عليه و آله).

لا .. لا نريد ذلك، لأننا نشك فى أن يكون الخليفه قد استند فى موقفه ١.

١- راجع المصادر المتقدمه، فقد ذكر عدد منها ذلك، مثل صحيح البخارى و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣١٩ و ٣٢١.

من اليهود إلى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ..

و نحن نوضح ذلك فيما يلي:

سبب إخراج عمر لليهود:

إن من المسلم به: أن النبي (صلى الله عليه وآله) حين افتتح خيبر قد أبقى اليهود في شطر منها، يعملون فيه، و لهم شطر ثماره، و لكن عمر قد أخرجهم منها إلى تيماء و أريحا (١).

و لكن ما ذكره في سبب ذلك، من أنه قد فعل امتثالا- لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) و تدينا منه، و التزاما بالحكم الشرعي، لا يمكن المساعده عليه، و لا الالتزام به، حيث إننا نشك في ذلك، و ذلك لما يلي:

ألف: لماذا لم يفعل ذلك أبو بكر، فهل لم يبلغه ذلك؟!

و الذين أبلغوا عمر بن الخطاب لماذا لم يبلغوا سلفه أبا بكر؟!

ب: قولهم: إن عمر لم يكن يعلم بلزوم إجلاء اليهود، حتى بلغه الثبت عن رسول الله ينافيه ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال:

أخبرني عمر بن الخطاب: أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

لأخرجن اليهود و النصارى من جزيره العرب، حتى لا أدع إلا مسلما (٢).٤-

١- راجع: صحيح البخارى ج ٢ ص ٣٢ و ١٢٩ و صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٧ و مسند أحمد ج ٢ ص ١٤٩ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠ و السيره الحليه ج ٣ ص ٥٨ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١.

٢- صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٠ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٤ ص ١٥٦ و فيه: لأن عشت لأخرجن اليهود و النصارى من جزيره العرب. و كنز العمال ج ٤-

فلما ذا توقف عن إخراجهم، حتى بلغه الثبت عن رسول الله؟ ألم يكن هو قد سمع ذلك من النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة، فلماذا لم ينفذ ما سمعه؟!

و لماذا أيضا لم يخبر عمر نفسه رفيقه و صديقه الحميم أبا بكر بهذا القول منه (صلى الله عليه وآله)؟!

إلا أن يقال: إن هذا لا يدل على أنه (صلى الله عليه وآله) قد أمر الخليفة بعده بذلك.

ج: إن ثمة حديثا يفيد: أن سبب إخراج عمر ليهود خيبر هو أنهم اعتدوا على ولده، فقد روى البخارى وغيره:

عن ابن عمر، قال: لما فدع (١) أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيبا، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان عامل يهود خيبر على أموالهم، و قال: نقركم ما أقركم الله، و إن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدى عليه من الليل، ففدعت يده، و رجلاه، و ليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا و تهمتنا، و قد رأيت إجلاءهم.

فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، أخرجنا، و قد أقرنا محمد، و عاملنا على الأموال، و شرط ذلك لنا؟!

فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول رسول الله: كيف بك إذا أخرجت من خيبر، تعدو بك قلوبك ليله بعد ليله؟!.

فقال: كانت هذه هزيلة (أى فرحه) من أبى القاسم.

فقال: كذبت يا عدو الله.

فأجلاهم عمر الخ .. (١).

و نشير فى هذه الروايه إلى أمرين:

الأول: إنها تصرح بأن إجلاء اليهود كان رأيا من عمر، و ليس امتثالا لأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و أن الدافع له هو ما فعلوه بولده.

و من الواضح: أن ذلك ليس مبررا كافيا لذلك، فقد سبق لليهود أن قتلوا عبد الله بن سهل بخير، فاتهمهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) و المسلمون بقتله، فأنكروا ذلك، فوداه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لم يخرجهم بسبب ذلك (٢). ٨.

١- صحيح البخارى ج ٢ ص ٧٧ و ٧٨ و راجع المصادر التاليه: كتر العمال ج ٤ ص ٣٢٤ و عنه و عن البيهقى، و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٥٢ و ٣٥٣ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٠ و ٢٢٠ و الإكتفاء ج ٢ ص ٢٧١ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٧١٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٤١٦ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٧ و ٥٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٧٨ و مسند أحمد ج ١ ص ١٥ بنص أكثر تفصيلا، كما هو الحال فى بعض المصادر الأنفه الذكر و راجع أيضا: زاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٧٩.

٢- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ و عمد القارى ج ١٣ ص ٣٠٦ و الإصابه ج ٢ ص ٣٢٢ و فيه: أن هذا الحديث موجود فى الموطأ و أخرجه الشيخان فى باب القسامه، و أسد الغابه ج ٣ ص ١٧٩ و ١٨٠ و الإكتفاء ج ٢ ص ٢٧٠ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٧١٤ و ٧١٥ و السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٧ و ٥٨.

الثانى: إن ما نقله عمر لأحد بنى الحقيق، لم يكن هو المستند لإخراجهم، بل صرح عمر بأن ذلك كان لرأى رآه بسبب ما فعلوه بولده .. كما أن إخبار النبى هذا ليس فيه ما يدل على أنهم يخرجون بحق أو بغير حق، ولا يفيد تأييد هذا الإخراج ولا تفنيده، ولعل لأجل ذلك لم يستطع أن يستند إليه الخليفة فى تبرير ما يقدم عليه.

د: وفى بعض المصادر: أضاف إلى ما صنعه بابن عمر، أنهم غشوا المسلمين (١).

ولا ندرى إن كان يقصد: أن غشهم هذا كان بفعل مستقل منهم، أم أن ما فعلوه بابن عمر هو الدليل لهذا الغش؟!

قال دحلان: (استمروا على ذلك إلى خلافة عمر (رض)، و وقعت منهم خيانه و غدر لبعض المسلمين، فأجلاهم إلى الشام، بعد أن استشار الصحابه (رض) فى ذلك) (٢).

و عبارته دحلان هذه، ظاهره فى أن المقصود بخيانتهم و غدرهم: هو نفس ما صدر منهم فى حق بعض المسلمين، و هو ابن عمر بالذات، و لا ندرى لماذا لم يصرح باسمه و نسبه هنا؟!.

ه: و مما يدل على أن إجلاءهم كان رأيا من الخليفة الثانى، ما رواه أبو داود و غيره، عن ابن عمر، عن عمر، أنه قال: ١.

-
- ١- البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٥٢ و فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠ و عمدته القارى ج ١٣ ص ٣٠٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٣٧٩.
- ٢- السيره النبويه ج ٣ ص ٦١.

أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شئنا، فمن كان له مال فليلحق به، فإني مخرج يهود.

فأخرجهم (١).

و معنى ذلك: هو أنه لم يكن يرى إخراجهم واجبا شرعيا. كما أنه قد احتج لما يفعله بشرط النبي (صلى الله عليه و آله) إبقاءهم بالمشيئة- إذا شئنا- و لا يحتج لذلك بما ثبت له عنه (صلى الله عليه و آله)، من عدم بقاء دينين فى أرض العرب.

مع أنه لو كان هذا هو السبب و الداعى، لكان الاحتجاج به أولى و أنسب.

و مما يؤيد ذلك و يعضده: أن اليهود حين اعترضوا عليه بقولهم: لم يصلحنا النبي (صلى الله عليه و آله) على كذا و كذا؟! قال: بلى، على أن نفركم ما بدا لله و لرسوله، فهذا حين بدا لى إخراجكم. فأخرجهم (٢).

و: إنه قد أخرج نصارى نجران، و أنزلهم ناحيه الكوفه (٣).

ز: قد ذكرت بعض الروايات: أن السبب فى إجلائهم هو استغناء المسلمين عنهم، و ليس هو وصيه النبي (صلى الله عليه و آله) بإخراجهم.٣.

١- سنن أبى داود ج ٣ ص ١٥٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٠ و أشار إليه فى فتح البارى ج ٥ ص ٢٤١ عن أبى يعلى، و البغوى. و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٠ و كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٥ عن أبى داود، و البيهقى، و أحمد و راجع: المصنف للصنعانى ج ١٠ ص ٣٥٩.

٢- المصنف للصنعانى ج ٤ ص ١٢٥ و سيأتى الحديث بلفظ آخر بعد قليل تحت حرف: ط.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٨٣.

يقول ابن سعد وغيره: إنه لما صارت خبير في أيدي المسلمين، لم يكن لهم من العمال ما يكفون عمل الأرض، فدفعها النبي (صلى الله عليه وآله) إلى اليهود، يعملونها على نصف ما يخرج منها.

فلم يزالوا على ذلك، حتى كان عمر بن الخطاب، و كثر في أيدي المسلمين العمال، و قووا على عمل الأرض، فأجلى عمر اليهود إلى الشام، و قسم الأموال بين المسلمين إلى اليوم (١). و قريب من ذلك ذكره ابن سلام أيضا، فراجع (٢).

و بعد أن ذكر العسقلاني هذه الرواية، و ذكر روايه عدم اجتماع دينين في جزيره العرب، ثم روايه البخارى عن فدع اليهود لعبد الله بن عمر، قال:

(.. و يحتمل أن يكون كل هذه الأشياء جزء عله في إخراجهم) (٣).

و لكنه احتمال غير وارد، فإن ظاهر الروايات: أن السبب في إخراجهم هو خصوص ما تذكره دون غيره، و لا سيما حين يكون الحديث و التعليل في مقام الاحتجاج و الاستدلال و دفع الشبهه، من نفس ذلك الرجل الذى تصدى لذلك.

ح: قولهم: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أمر بإجلاء اليهود و النصارى من بلاد العرب، و أنه قال: لا- يجتمع ببلاد العرب دينان، أو نحو ذلك، ينافيه: ٠.

١- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٤ و فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠ و تاريخ المدينة ج ١ ص ١٨٨.

٢- الأموال ص ١٤٢ و ١٦٢ و ١٦٣.

٣- فتح البارى ج ٥ ص ٢٤٠.

١- قولهم:- حسبما روى عن سالم بن أبى الجعد:- (كان أهل نجران بلغوا أربعين ألفا، و كان عمر يخافهم أن يميلوا على المسلمين، فتحاسدوا بينهم، فأتوا عمر، فقالوا: إنا قد تحاسدنا بيننا، فأجلنا.

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد كتب لهم كتابا: أن لا يجلوا، فاغتنمها عمر، فأجلاهم الخ .. (١).

٢- و فى نص آخر: إنما أخرج عمر أهل نجران، لأنهم أصابوا الربا فى زمانه (٢).

٣- و عن على (عليه السلام): أنه نسب إجلاء أهل نجران إلى عمر أيضا فراجع (٣).

إلا أن يقال: إن نسبه ذلك إليه لا يدل على عدم الأمر به من النبى (صلى الله عليه و آله).

ط: عن ابن عمر: أن عمر أجلى اليهود من المدينة، فقالوا: أقرنا النبى (صلى الله عليه و آله) و أنت تخرجنا؟!!

قال: أفركم النبى (صلى الله عليه و آله)، و أنا أرى أن أخرجكم، فأخرجهم من المدينة (٤). ٥.

١- كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ عن الأموال، و عن البيهقى، و ابن أبى شيبه و راجع هامش ص ١٤٤ من كتاب الأموال.

٢- الأموال ص ٢٧٤.

٣- راجع: كتاب الخراج، للقرشى ص ٢٣.

٤- كنز العمال ج ٤ ص ٣٢٣ عن ابن جرير فى التهذيب، و تقدم نحوه عن المصنف للصنعانى ج ٤ ص ١٢٥.

فلو أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قد أمر بإخراجهم لم ينسب عمر إخراجهم إلى رأيه الشخصي.

ى: إنه يرد هنا سؤال، و هو: لماذا يخرجهم من بلاد العرب، و لا يخرجهم من بلاد المسلمين كلها؟ فهل لبلاد العرب خصوصيه هنا؟! و ما هي هذه الخصوصيه سوى التعصب القومى، و التمييز العنصرى، و الشعور بالتفوق على الآخرين، بلا مبرر ظاهر؟.

ك: عن يحيى بن سهل بن أبى حثمه، قال: أقبل مظهر بن رافع الحارثى إلى أبى بأعلاج من الشام، عشره، ليعملوا فى أرضه، فلما نزل خيبر أقام بها ثلاثا، فدخلت يهود للأعلاج، و حرضوهم على قتل مظهر، و دسوا لهم سكينين أو ثلاثا!

فلما خرجوا من خيبر، و كانوا بشبار، و ثبوا عليه، فبعجوا بطنه، فقتلوه، ثم انصرفوا إلى خيبر، فزودتهم يهود و قوتهم حتى لحقوا بالشام.

و جاء عمر بن الخطاب الخبر بذلك، فقال: إني خارج إلى خيبر، فقا سم ما كان بها من الأموال، و حاد حدودها، و مورف أرفها (١)، و مجل يهود عنها، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لهم: أقركم ما أقركم الله، و قد أذن الله فى إجلائهم، ففعل ذلك بهم (٢).

و فى الواقدى: أن عمر خطب الناس، فقال: أيها الناس إن اليهود فعلواى.

١- الأرف: جمع أرفه، و هى الحدود و المعالم. راجع: النهايه لابن الأثير ج ١ ص ٢٦.

٢- كنز العمال: ج ٤ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ عن ابن سعد، و المغازى للواقدى: ج ٢ ص ٧١٦ و ٧١٧ و فى السيره الحلبيه: ج ٣ ص ٥٧، كما فى الواقدى.

بعبد الله ما فعلوا، و فعلوا بمظهر بن رافع، مع عدوتهم على عبد الله بن سهل فى عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، لا أشك أنهم أصحابه، ليس لنا عدو هناك غيرهم؛ فمن كان له هناك مال؛ فليخرج؛ فأنا خارج ففاسم.

إلى أن قال: إلا أن يأتى رجل منهم بعهد، أو بينه من النبى (صلى الله عليه و آله) أنه أقره، فأقره.

ثم ذكر تأييد طلحه لكلام عمر، ثم قول عمر له: من معك على مثل رأيك؟!

قال: المهاجرون جميعا، و الأنصار. فسّر بذلك عمر (١).

ل: قال الحلبي الشافعي بعد ذكره روايه مصالحة النبى (صلى الله عليه و آله) لهم، و أنه (صلى الله عليه و آله) قال لهم: على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم:

(أى و هذا يخالف ما عليه أئمتنا من أنه لا يجوز فى عقد الجزيه أن يقول الإمام، أو نائبه: أقركم ما شئنا، بخلاف ما شئتم، لأنه تصريح بمقتضى العقد؛ لأن لهم نبد العقد ما شاؤوا.

و ذكر أئمتنا: أنه يجوز منه (صلى الله عليه و آله) - لا منا - أن يقول:

أقرتكم ما شاء الله؛ لأنه يعلم مشيئه الله دوننا) (٢).

و نقول: إن ذلك محل نظر؛ إذ:

١- من الذى قال: إنه (صلى الله عليه و آله) يعلم - فى هذا المورد ٧.

١- راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٧١٦ و ٧١٧.

٢- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٧.

بخصوصه - مشيئه الله سبحانه؟!.

٢- لماذا لا يصح للنبي، و لغيره أيضا، أن يقول ذلك؟! أليس حكمهم الجلاء، و قد عادت الأرض إلى الرسول (صلى الله عليه و آله)، لتكون خالصه له؟ فهو يزارعهم في ملكه، و له أن يمنعهم من العمل و السكنى فيها متى شاء. لا- أن الأرض لهم، و هو (صلى الله عليه و آله) ينتظر نقضهم للعهد، حتى تكون المشيئه إليهم في النقض و عدمه، كما يريد هؤلاء أن يفهموا.

م: إن عمر إنما أجلاهم إلى أريحا و تيماء من جزيره العرب (١). و قد حاول الحلبي الشافعي دعوى: أن المقصود بجزيره العرب خصوص الحجاز، و أريحا و تيماء ليستا من الحجاز، و لعله استند في ذلك إلى بعض النصوص التي عبرت بكلمه (الحجاز) بدل (جزيره العرب) كما يفهم من كلامه ضمنا (٢).

و نقول:

أولا: إن الروايات متناقضه، فبعضها قال: اليهود و النصارى.

و بعضها قال: المشركين.

و في بعضها: لا يبقى دينان في جزيره العرب.

و في بعضها: اليهود.

و من جهه أخرى: فإن بعضها ذكر الحجاز، و بعضها ذكر جزيره العرب. ق.

١- السيره الحلبيه ج ٣ ص ٥٨ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠.

٢- المصدر السابق.

و فى بعضها أنه قال: أخرجوا اليهود من الحجاز، و أخرجوا أهل نجران من جزيره العرب (١). و هذا الاختلاف يوجب ضعف الروايه إلى حد كبير.

ثانيا: قال السمهودى: (لم ينقل أن أحدا من الخلفاء أجلاهم من اليمن، مع أنها من الجزيره) (٢)، ثم قال: فدل على أن المراد الحجاز فقط.

و نقول: بل دل ذلك على ضعف الروايه من الأساس لا سيما و أن عددا من الروايات يصرح بأن النبى قال: لا يبقين دينان بأرض العرب، و أرض العرب لا تختص بالحجاز كما هو معلوم.

ثالثا: إن تيماء من الحجاز أيضا، قال ابن حوقل: بينها و بين أول الشام ثلاثه أيام (٣).

و هى تقع على ثمان مراحل من المدينه بينها و بين الشام، و هى تعد من توابع المدينه (٤).

و مدين التى هى من أعراض المدينه تقع فى محاذاه تبوك (٥). و تبوك أبعد من تيماء كما هو ظاهر.

و آخر عمل المدينه (سرغ)، بوادى تبوك، على ثلاث عشره مرحله من ١.

١- المصدر السابق، و الأموال ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٠ و ٣٢١ و راجع مصادر الحديث و نصوصه فى المصادر فى الصفحات المتقدمه.

٢- وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢١.

٣- صوره الأرض ص ٤١.

٤- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٠ و ١١٦٤.

٥- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٠ و ١٣٠٢ و معجم البلدان ج ٣ ص ٢١١.

المدينه (١).

و قالوا عن سرغ: إنها أول الحجاز، و آخر الشام (٢).

بل لقد قال الحرقي: تبوك و فلسطين من الحجاز (٣).

و لكن قال السمهودي: إن عمر (لم يخرج أهل تيماء و وادي القرى، لأنهما داخلتان في أرض الشام.

و يرون: أن ما دون وادي القرى إلى المدينه حجاز، و أن ما وراء ذلك من الشام) (٤).

و لكن السمهودي نفسه ينقل عن صاحب المسالك و الممالك و عن ابن قرقول: أنهما قد عدا وادي القرى من المدينه (٥).

كما أن ابن الفقيه قد عد دومه الجندل من أعمال المدينه، و وادي القرى تقع فيها (٦).

و قال ياقوت و غيره: إن وادي القرى من أعمال المدينه، أيضا (٧).

و عدها ابن حوقل و غيره من الحجاز (٨). ٩.

١- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٠ و ١٢٣٣.

٢- معجم البلدان ج ٣ ص ٢١١ و مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٧٠٧.

٣- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٨٤.

٤- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٣٢٩.

٥- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٣٢٨.

٦- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢١٢ و راجع ص ١٣٢٨.

٧- راجع: مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١٤١٧ و معجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٥.

٨- صوره الأرض ص ٣٨ و مسالك الممالك ص ١٩.

و بعد هذا: فإن كلام السهمودي يصبح متناقضا و غير واضح، و إن كان يمكن الاعتذار عنه بأنه ينسب بعض ما يقوله لغيره، و ذلك لا يدل على رضاه و قبوله به.

و لكن هذا الاعتذار إنما يصح فى بعض الموارد دون بعض، مع ملاحظه: أننا لم نجده يعترض على ما ينقله عن الآخرين، بل ظاهره أنه مصدق و معترف به.

دعاوى لا تصح:

و قد حاول الحلبي هنا: أن يجعل من أسباب كثيره سببا واحدا، فوقع فى التناقض و الاختلاف، فإنه بعد أن ذكر: عزم عمر على إجلاء اليهود، بسبب ما فعلوه بولده و بعد الله بن سهل، و بمظهر بن رافع، قال:

(فلما أجمع الصحابه على ذلك، أى على ما أراده سيدنا عمر، جاءه أحد بنى الحقيق فقال له: يا أمير المؤمنين الخ ..) فذكر القصة المتقدمه و أن عمر لم ينس قول النبي لابن أبى الحقيق حول خروجه.

ثم قال: (ثم بلغه (رض): أنه (صلى الله عليه و آله) قال: لا يبقى دينان فى جزيره العرب و نصوصا أخرى تقدمت). ثم ذكر أن المراد بالجزيره خصوص الحجاز.

إلى أن قال: (ففحص عمر عن ذلك حتى تيقنه و ثلج صدره فأجلى يهود خيبر، أى و أعطاهم قيمه ما كان لهم من ثمر و غيره و أجلى يهود فدك، و نصارى نجران، فلا يجوز إقامتهم أكثر من ثلاثه أيام غير يومى الدخول و الخروج، و لم يخرج يهود وادى القرى و تيماء، لأنهما من أرض الشام لا من

الحجاز (١).

فهو يقول: إن عمر هو الذى عزم على إجلاء اليهود ثم يقول: إن الصحابه قد أجمعوا. ثم يذكر أنه عرف بأوامر النبي (صلى الله عليه و آله) حول اليهود بعد هذا العزم و بعد ذلك الإجماع، فلما تيقنه و ثلج صدره أجلاهم.

كما أنه يذكر العبارات المتناقضه حول جزيره العرب و الحجاز، و يدعى أن المقصود بالجزيره هو خصوص الحجاز، و لكنه يدعى أن تيماء و وادى القرى ليستا من الحجاز، مع أن النصوص الجغرافيه على خلاف ذلك، حسبما أوضحناه.

ثم يذكر: أنه أعطاهم ثمن أموالهم .. و لا ندرى السبب فى ذلك إن كان إخراجهم بسبب نقضهم للعهد، فإن ناقض العهد لا يعطى ذلك ..

و أخيرا .. فإنه ادعى عدم جواز اقامتهم أكثر من ثلاثه أيام غير يومى الدخول و الخروج، فهل هذا الحكم مأخوذ من النبي (صلى الله عليه و آله)، أم أنه حكم سلطانى متأخر عن زمنه (صلى الله عليه و آله)؟

و لا ندرى كيف أجز لهم ذلك بعد منعه (صلى الله عليه و آله) لهم من البقاء فى أرض العرب.

كما أننا لا نعرف: من أين جاء استثناء يومى الخروج و الدخول؟ إلى غير ذلك من الأسئلة، التى يمكن استخلاصها من مجموع ما ذكرناه. ٨.

الروايه الأقرب إلى القبول:

و لعلنا لا نبعد كثيرا إذا قلنا: إن حديث (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) هو من قول عمر، و قد نسب إلى النبي (صلى الله عليه و آله) من أجل تصحيح ما أقدم عليه عمر من نقض عهد اليهود لأجل ابنه، أو لغير ذلك من أسباب، لم ير فيها النبي (صلى الله عليه و آله) ما يوجب ذلك حسبما ألمحنا إليه؛ فقد قال أبو عبيد الله القاسم بن سلام:

(حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، و محمد بن عبيد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر، قال: أجلي عمر المشركين من جزيرة العرب، و قال: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان) و ضرب لمن قدم منهم أجلا، قدر ما يبيعون سلعهم) (١) انتهى.

فترى في هذا الحديث: أنه قد نسب القول بعدم اجتماع دينين في جزيرة العرب إلى عمر نفسه من دون إشاره إلى رسول الله، و لعله الأوفق و الأولي، و قد تقدم ما يشير إلى أن ذلك كان رأيا من عمر، فلا نعيد.

لا إكراه في الدين:

قد تقدم: أن آيه لا- إكراه في الدين قد نزلت في مناسبة غزوه بنى النضير، حيث كان معهم أولاد للأنصار أراد آباؤهم أن يمنعوهم من الخروج معهم فنزلت هذه الآية. ٣.

و نقول:

إن ذلك موضع مناقشه و غير مسلم؛ و إن أصر عليه القرطبي (١).

فأولا: قد روى في سبب نزول الآية:

١- إن سبب نزولها هو وجود أبناء للأنصار في بنى النضير، عن طريق الاسترضاع فثبتوا على دينهم، فلما جاء الإسلام أرادهم أهلهم على الإسلام فنزلت (٢).

٢- عن السدي: أنها نزلت في أبي حصين الأنصاري، الذي تنصر ابناه، و مضيا إلى الشام، فطلب من النبي (صلى الله عليه و آله) أن يبعث من يردهما، فنزلت (٣).

ثانيا: إن منع الأنصار أولادهم من الخروج مع اليهود لا يعنيا.

١- راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠.

٢- راجع: فتح القدير ج ١ ص ٢٧٦ عن سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن مجاهد، و عن الحسن، و الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٩ عنهم و عن ابن عقده في غرائب شعبه و النحاس في ناسخه و عبد بن حميد و سعيد بن منصور، و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠ و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٦٧ و لباب التأويل ص ١٨٥.

٣- راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠ و لباب التأويل ج ١ ص ١٨٦ و مدارك التنزيل بهامشه ج ١ ص ١٨٥ و فتح القدير ج ١ ص ٢٧٦ عن ابن إسحاق، و ابن جرير عن ابن عباس، و كذا أخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن عبيده نحوه، و كذا أخرج أبو داود في ناسخه و ابن جرير و ابن المنذر عن السدي نحوه و الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٩ عنهم جميعا أيضا.

إجبارهم على الدخول فى الإسلام، و لم يرد الآباء ذلك من أولادهم، و إنما أرادوا منعهم من الخروج فقط ..

إلى خير أم إلى الشام؟

و تقول بعض المصادر: إن بنى النضير (تحملوا إلى الشام) كما هو مذكور فى بعض الروايات .. أى إلى أذرعَات منها (١).

و تذكر مصادر أخرى: أنهم أجلوا إلى خير (٢).

١- راجع: فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٣ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٨٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٣٢ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣٥٨ و ٣٥٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٣ و ٥٥٤ و التبيان ج ٩ ص ٥٥٧ و أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٨ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ١١٩ و حياه الصحابه ج ١ ص ٣٩٨ و مدارك التنزيل المطبوع بهامش لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٤ و جامع البيان ج ٢٨ ص ١٩ و ٢٠ و ٢٢ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٨٧ عن بعض من تقدم و عن: ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل، و عبد بن حميد، و أبى داود، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه. و راجع شعر أمير المؤمنين (عليه السلام) المذكور فى الفصل الأول من هذا الباب و فى سيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٨.

٢- الثقات ج ١ ص ٢٤٣ و مرآه الجنان ج ١ ص ٩ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٣ و سيره مغلطای ص ٥٣ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٨ عن عبد بن حميد، و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ٢٣٣ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و فيه: أن إجلاءهم إلى أذرعَات و نجد، و قيل: إلى تيماء و أريحا، كان على يد عمر.

و تذكر مصادر أخرى: أنهم أجلوا إلى فدك (١).

فقد يتخيل وجود تناقض فيما بين هذه النصوص ..

فإذا ضممنا ذلك إلى نصوص أخرى، فإن هذا التناقض يتأكد، حيث نجد بعضها يقول:

(تحملوا إلى خيبر، و إلى الشام، و ممن سار منهم إلى خيبر، أكابرههم، كحبي بن أخطب، و سلام بن أبي الحقيق، و كنانة بن الربيع، فدانت لهم خيبر) (٢).

و قال آخر: (و مضى من بنى النضير إلى خيبر ناس، و إلى الشام ناس) (٣).

و آخر يقول: (خرجوا إلى أذرعات، و أريحا، و خيبر، و حيره) (٤).٧.

١- التنبيه و الإشراف ص ٢١٣. و قد يظهر منه: أنه (صلى الله عليه و آله) قد سمح لهم بالذهاب إلى فدك أيضا، فاختاروا خيبرا.

٢- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٨.

٣- تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩ و راجع: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٨ و جوامع الجامع ص ٤٨٦ و مجمع البيان ج

٩ ص ٢٥٥ و البحار ج ٢٠ ص ١٥٧ عنه عن مجاهد، و قتاده و الدر المنثور ج ٦ ص ٩٩ عن ابن المنذر، و ابن إسحاق، و أبي

نعيم في الدلائل، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٠ و ٣٣٣ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧ و

الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٣ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠١ و

تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٤ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٨ و جامع البيان ج ٢٨ ص ١٩ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و عمدته

القارئ ج ١٧ ص ١٢٦ و فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٤ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣.

٤- مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧.

و بعض آخر يذكر ذلك، من دون ذكر الحيره (١).

و نص آخر يذكر: أنهم لحقوا بأذرعات بالشام و أريحا، إلا أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق، و آل حبي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، و لحقت طائفه منهم بالحيره (٢).

و جاء فى بعض النصوص قوله: (و طاروا كل مطير، و ذهبوا كل مذهب، و لحق بنو أبى الحقيق بخيبر، و معهم آنيه كثيره من فضه، فرآها النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمون، و عمد حبي بن أخطب حتى قدم مكه على قريش، فاستغواهم على رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٣).

و آخر نص نذكره هو ما قاله البعض: (وقع قوم منهم إلى فذك، و وادى القرى، و خرج قوم منهم إلى الشام) (٤).

السلاح للمؤمنين فقط:

و نلاحظ: أنه (صلى الله عليه و آله) قد أجلاهم، و سمح لهم بأن يأخذوا ما أقلته الإبل، إلا الحلقة. ٣.

-
- ١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢.
 - ٢- راجع: غرائب القرآن مطبوع بهامش البيان ج ٢٨ ص ٣٣ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧٨ و الكشاف ج ٤ ص ٤٩٨ ص ٤٩٩ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٥٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢٠٩ عنه و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٥ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٥.
 - ٣- تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٢.
 - ٤- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٥٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٠ و تفسير الصافى ج ٥ ص ١٥٤ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣.

و تذكر بعض النصوص إحصائه لما حصل عليه المسلمون من سلاح، فتقول: (فوجد من الحلقة خمسين درعا و خمسين بيضه، و ثلاثمائة سيف، و أربعين سيفاً) (١).

و من الواضح: أن فى ذلك قوه للمسلمين الذين يواجهون العدو المتربص بهم ليل نهار و فى كل اتجاه.

ثم هو إضعاف لعدوهم، ماديا و معنويا، و له تأثيرات سلبية على معنويات كل أولئك الذين يتعاطفون معهم، و يميلون إليهم.

و من وجهه نظر مبدئية، و عقيدية، فإن السلاح لا يكون إلا للمؤمنين، و هم وحدهم الذين يملكون الحق فى السلاح، لأنهم إنما ينصرون به الحق، و يدمرون به الباطل.

أما الآخرون فعلى العكس من ذلك، و لا أقل من أن السلاح- إذا كان بأيدي غير المؤمنين- فإنه تصبح له حالة ردع تلقائيه، و تخوف فى قلوب المؤمنين الذين لا بد لهم أن يعملوا على نشر الدين، و إعزازه، و استئصال الباطل و إذلاله.

حزن المنافقين:

و إن ما جرى لبني النضير، و هم أعز يهود منطقه الحجاز، قد جعل المنافقين، الذين كانوا يلتقون معهم فى العداة للإسلام، و الخلاف له و عليه، ٨.

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و الوفاء ص ٦٩٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ عن الكازرونى و غيره، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧٢ و مغازى الواقدى ج ١ ص ٣٧٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨.

و قد ثقل عليهم إقامه شعائره، و الالتزام بأحكامه، و أن يربوا أنفسهم تربيته صالحه، وفقا لأهدافه و مراميه- قد جعلهم- يحسون بالضعف، و يشعرون بأنهم قد خسروا واحدا من أهم حلفائهم و من هم على رأيهم، و لهم نفس أهدافهم و طموحاتهم بالنسبه إلى مستقبل الإسلام و المسلمين ..

فخابت آمالهم، و تبخرت أحلامهم، التي كانوا قد نسجوها، و خدعوا أنفسهم بها ..

إذ إن من الواضح: أن مجاراه المنافقين للمسلمين، إنما كانت- فى الأكثر- تهدف إلى الحصول على بعض الامتيازات و المنافع، ثم يديرون ظهورهم إليهم و يواصلون مسيرتهم بالطريقه التي تروق لهم، و بالأسلوب الذى يعجبهم و يحلو لهم. فليس الإسلام و المسلمون سوى وسائل توصلهم إلى تلك المآرب، و تحقق لهم هاتيك الأهداف ..

و أما أولئك الذين أظهروا الإسلام، لأن ظروفهم و علاقاتهم قد فرضت عليهم ذلك، و كانوا بانتظار زوال ذلك الكابوس، فإنهم أيضا قد تلقوا ضربه هائله و مخيفه، و هم يرون الإسلام تقوى شوكته، و يتعمق و يتجذر، و يستقطب و يجتاح كل خصومهم، و يدمرهم، أو يقضى على مصادر القوه فيهم.

فكان من الطبيعى أن نجد المنافقين من أولئك و هؤلاء يشدد حزنهم، و يتضاعف كمدهم، و يكبر خوفهم، و لم يخف حالهم على أحد، و سجلهم التاريخ على صفحاته، ليخلد خزيهم، و ذلهم، فذكر المؤرخون: أنه حين

أجلى بنو النضير: (حزن المنافقون عليهم حزنا شديدا) (١).

نماذج مشيرة:

و نجد فيما حفظه لنا التاريخ من تأوهات، و صرخات مكتومه و ظاهره لبعض هؤلاء الذين كانوا يتعاطفون مع اليهود، رغم ما يرونه من غدرهم و مجانبتهم للحق - نجد - بعض ما يثير فينا عجا لا حد له ..

فإن بعض الناس الذين كنا و ما زلنا نرى و نسمع لهم الكثير من المدح و الثناء، و التعظيم و التبجيل، قد عبروا عن عميق احترامهم، و عن تعاطفهم مع أولئك الغدره الفجره، أعداء الله، و أعداء رسوله، فاقراً النص التالي، و اعجب ما بدالك:

حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود:

حينما أجلى النبي (صلى الله عليه و آله) بنى النضير ..

(قال حسان بن ثابت، و هو يراهم و سراه الرجال على الرجال: أما و الله، أن لقد كان عندكم لئال للمجتدى، و قرى حاضر للضيف، و سقيا للمدام، و حلم على من سفه عليكم، و نجده إذا استنجدتم.

فقال الضحاك بن خليفة: وا صباحاه، نفسى فداؤكم؛ ماذا تحملتم به من السؤدد و البهاء، و النجده و السخاء؟

قال: يقول نعيم بن مسعود الأشجعي: فدى لهذه الوجوه التى كأنها ٧.

المصاييح، ظاعنين من يثرب. من للمجتدى الملهوف؟ و من للطارق السغبان؟ و من يسقى العقار؟ و من يطعم الشحم فوق اللحم؟ ما لنا يثرب بعدكم مقام. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢١١ ٩ حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود: ص : ٢١٠ قال نعيم: ما هذا جزاؤهم منكم، لقد استنصرتموهم فنصروكم على الخزرج، و لقد استنصرتهم سائر العرب؛ فأبوا ذلك عليكم.

قال أبو عبس: قطع الإسلام العهود.

قال: و مَرّوا و هم يضربون الدفوف و المزامير الخ .. (١).

و نلاحظ هنا:

ألف: إن حسان بن ثابت يمدح بنى النضير بأنهم كانوا يسقون المدام!! و كذلك نعيم بن مسعود الأشجعي ..

و معنى ذلك: هو أن إسلام هؤلاء لم يكن معمقا، و لا- راسخا فى نفوسهم. و أنهم لا- يزالون يهتمون بالمدام (أو العقار) و يتعشقونها، رغم نهى النبى عنها، و نزول القرآن بتحريمها ..

ب: إننا نلاحظ: أن حسان بن ثابت كان مقربا من الهيئه التى حكمت الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كما أنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، و لم يبايعه، بل يقال: إنه سب ٥.

عليا (عليه السلام) و هجاه (١).

ج: إن الأمور التي تمدح بها هؤلاء الأشخاص اليهود، لا تنطلق - في أكثرها - من قيم إنسانيه ساميه، و إنما هي الحالات و الأوضاع التي يتطلبها واقع حياتهم، و خصوصيات معيشيه في مجتمع لا يملك نظره بعيدة، و لا تقييما سليما للكون و الوجود، و للحياه و للإنسان .. فلتراجع الفقرات بدقه ليتضح ذلك ..

د: إن هذا التعاطف الذي نراه لا ينطلق من الإحساس الإنساني، و لا من مثل أعلى، و إنما هو ينطلق من حاله هلع و أسف على فوات منافع دنيويه و ماديه للمتأسفين بالدرجه الأولى ..

ه: إن تأسف حسان بن ثابت و غيره على بنى النضير، رغم أنهم قد رأوا بأعينهم ظلمهم و بغيهم، و غدرهم، و مجانبتهم للحق، لأمر يثير العجب حقا.

و لا ندري إن كان ذلك يكفي لعد هؤلاء في جملة الذين عنتهم الآيه القرآنيه التي تقول: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢).

فهى لا تشمل الذين يقدون اليهود بأنفسهم، و يتأسفون عليهم لما نالهم، و يرون: أنهم لم يعاملوا بما يليق بهم، بل كانوا مظلومين فيما أصابهم.ر.

١- راجع: قاموس الرجال ج ٣ ص ١١٨ فما بعدها.

٢- الآيه ١١ من سوره الحشر.

أم أن الآيه لا يجوز أن تتجاوز عبد الله بن أبي وأصحابه المجهولين! على اعتبار أن حسانا و سواه من حوارى الحكام بعد النبى الأ-كرم (صلى الله عليه و آله)، لا- يفسقون بما يفسق به الآخرون- كما جاء فى السيره الحلبيه (١)- و لا تشملهم الآيات التى تشمل غيرهم ممن هم على شاكلتهم و طريقتهم، ما دام أن نفس رضا الحكام عنهم يعطيهم مناعه و صلابه تجعلهم فى مأمن من كل العوادي، و ترفعهم عن مستوى هذا البشر العادى ..

إن المراجع لتأريخ التزوير و التحوير لسوف يدرك الحقيقه، و يعرف الغثاء و يميزه عن ذلك الذى يمكث فى الأرض مما ينفع الناس.

روايه شاده لابن عمر:

و قد جاء فى روايه عن ابن عمر:

(.. إن يهود بنى النضير و قريظه، قتل رجالهم، و قسم نساؤهم، و أموالهم، و أولادهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحق برسول الله (صلى الله عليه و آله) فأمنهم، و أسلموا. و أجلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يهود المدينه من بنى قينقاع، و هم قوم عبد الله بن سلام الخ ..) (٢).

و واضح: أن ذلك لا يصح بالنسبه إلى بنى النضير؛ لأنه (صلى الله عليه و آله) لم يقتل رجالهم، و لا سبى نساءهم و أولادهم، ليقسمها فيما بين المسلمين. و إنما أجلاهم عن أرضهم، و قسم أرضهم بين المسلمين ..

و عليه .. فلا يصح ما ذكره إلا بالنسبه لبنى قريظه؛ فإنهم هم الذين ٣.

١- السيره الحلبيه: ج ٢ ص ٢٠٤.

٢- مسند أبى عوانه: ج ٤ ص ١٦٣.

جری لهم ذلك ..

هذا .. وقد ذكرت هذه الروايه نفسها عن ابن عمر فى ذلك المصدر بالذات، و قد فصل فيها ما جرى لبني قريظه، و لبني النضير على نحو أصح. فذكر جلاء بني النضير و قتل بني قريظه، و سبى نسائهم و أولادهم، فليراجعها من أراد (١).

روايه أخرى تحتاج إلى إصلاح:

قال الهيثمى:

(باب غزوه بني النضير: عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: جاء جبريل إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، و قد كل أصحابه، و هو يغسل رأسه، فقال: يا محمد، قد وضعت أسلحتكم، و ما وضعت الملائكه بعد أوزارها. فكف رسول الله (صلى الله عليه وآله) شعره قبل أن يفرغ من غسله؛ فأتوا النضير؛ ففتح الله له.

رواه الطبرانى، و فيه نعيم بن حبان، و هو ضعيف، و قد وثقه ابن حبان، و قال: يخطئ (٢).

و سياق الحديث يدل دلالة بينه على أن المقصود هو بنو قريظه؛ فإن هذه القصة إنما حدثت معهم؛ لا مع بني النضير، و لعل هذا من أخطاء نعيم الذى ذكر ابن حبان: أنه يخطئ، و إن كان ثقه .. ٥.

١- مسند أبي عوانه ج ٤ ص ١٦٤.

٢- مجمع الزوائد: ج ٦ ص ١٢٥.

بنو النضير بمنزله بنى المغيرة:

و قد جاء فى بعض النصوص: (و حملوا النساء و الصبيان، و تحملوا على ستمائه بعير، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): هؤلاء فى قومهم بمنزله بنى المغيرة فى قريش) (١).

و كلمه النبى (صلى الله عليه و آله) هذه تشير إلى أنه (صلى الله عليه و آله) كان يعرف بدقه و بعمق خصائص الفئات و مزاياها، سواء فى ذلك أولئك الذين عاش معهم منذ نعومه أظفاره، و هم مشركو مكه، و قبائلها، أو أولئك الذين فرضت عليه الظروف أن يكون له منهم موقف سلبي أو إيجابى.

و إذا رجعنا إلى التاريخ، و نصوصه، فإننا نستطيع أن نعرف وجه الشبه بين بنى المغيرة فى قريش، و بنى النضير فى اليهود ..

فقد ذكرت بعض النصوص: أن بنى النضير: كانوا من بنى هارون (٢)، و ذلك مما يزيد فى شرفهم و عزهم بالنسبه إلى سائر اليهود، كبنى حارثه، و غيرهم، أما بنو قريظه، فإنهم، و إن كانوا من بنى هارون أيضا، إلا أن بنى ٥.

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٥٨ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧٢ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٥.

٢- التنبية و الإشراف ص ٢١٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٠ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢ و تفسير القمى ج ١ ص ١٦٨ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ و ١٦٨ و راجع المصادر الآتية فى الهامش التالى: و ذكر فى السيره النبويه ج ٣ ص ٢١٢ ذلك فى شعر لعباس بن مرداس. و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٦٤ و عمدته القارى ج ١٧ ص ١٢٥.

النضير كانوا أكثر منهم مالا، وأحسن حالا، وكانوا ألف رجل، و بنو قريظه سبعمائه، وكانوا إذا قتل نضيري قريظيا، فإنه يدفع نصف الدية و يجبه و يحمم (أى يسود وجهه، و يحمل على جمل، و يكون وجهه إلى ناحيه ذنبه، و يطاف به) و إذا قتل قريظى نضيريا، فإنه يدفع الدية كامله، و يقتل به.

و للنضير القوه و السلاح و الكراع (١).

و من جهه ثانيه: فإن من الطبيعى أن ينعكس ذلك على نفسيات بنى النضير، و أن يشعروا بالزهو و الخيلاء، حتى إننا لا نجد مبررا لتكذيب النص الذى يقول: (إنهم استقبلوا بالنساء و الأبناء و الأموال، معهم الدفوف، و المزامير، و القيان يعزفن خلفهم بزهاء و فخر، ما رؤى مثله منه).

١- تفسير البرهان ج ١ ص ٤٧٢، و راجع: ص ٤٧٣ و ٤٧٨ و تفسير القمى ج ١ ص ١٦٨ و ١٦٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ و ١٦٨ و تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٢٣ و ٥٢٤ و جامع البيان ج ٦ ص ١٥٤ و ١٥٧ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٧ و غرائب القرآن للنيسابورى بهامش جامع البيان ج ٦ ص ١٤٥ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٦٠ و الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٧٦ و ١٨٧ و ١٩١ و التبيان ج ٣ ص ٥٢١ و راجع: ص ٥٢٤ و ٥٢٥ و التفسير الحديث ج ١١ ص ١٠٧ و مجمع البيان ج ٣ ص ١٩٤ و فتح القدير ج ٢ ص ٤٣ و ٤٤ و التفسير الكبير ج ١١ ص ٣٢٥ و ١٢ و ٦ و عون المعبود ج ١٢ ص ١٣٦ و لباب التأويل ج ١ ص ٤٦٨ و فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٨٩٤ و الدر المنثور ج ٢ ص ٣٨١ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٧٨ و ٢٨٨ عن أحمد، و أبى داود، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و عبد بن حميد، و ابن إسحاق، و ابن أبى شيبه و ابن أبى حاتم و الحاكم، و صححه، و البيهقى فى سننه.

حتى من الناس في زمانهم) (١).

و عند الديار بكري: (فعبروا من سوق المدينة) (٢).

و قال ابن الوردي: (فخرجوا و معهم الدفوف و المزامير تجلدا) (٣).

و قال الواقدي: (.. ثم شقوا سوق المدينة، و النساء في الهوادج، عليهن الحرير و الديباج، و قطف الخز الخضمر، و الحمر، قد صف لهم الناس.

فجعلوا يمرون قطارا في إثر قطار، فحملوا على ستمائه بعير.

إلى أن قال: و مروا يضربون بالدفوف، و يزمرون بالمزامير، و على النساء المعصفرات و حلى الذهب، قال: يقول جبار بن صخر: ما رأيت زهاءهم لقوم زالوا من دار إلى دار.

و نادى أبو رافع، سلام بن أبي الحقيق- و رفع مسك الجمل- (في الحلبي: أن هذا المسك كان مملوءا من الحلى) و قال: هذا مما نعهده لخفض الأرض و رفعها، فإن يكن النخل قد تركناه، فإننا نقدم على نخل بخير) (٤).

و حسب نص المسعودي: (.. فخرجوا يريدون خبير، و هم يضربون بالدفوف، و يزمرون بالمزامير، و على النساء المصبغات، و المعصفرات، و حلى ٧.

١- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٧٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٤٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٢ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٤ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢.

٣- تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩.

٤- المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٧.

الذهب، مظهرين بذلك تجلدا) (١).

و لقد كان هذا أمرا متوقعا من فئه لم تزل موضع احترام و تبجيل من اليهود، و لا تريد أن تعترف بالهزيمه، و بكسر شوكتها، و ذهاب عزها، و أفول نجمها.

و قد بلغ هذا العز و المنعه: أن المسلمين ما ظنوا أن يخرجوا من ديارهم، كما صرحت به الآيه الكريمة.

و عدا عن ذلك، فقد كان بنو النضير أهل جبروت و قسوه و بغى، و عنجهيه، و اعتداد بالنفس، حتى إنهم ليظلمون إخوانهم من بنى قريظه، و هم أيضا من بنى هارون، ظلما فاحشا و مخالفا لأحكام التوراه الصريحه، و حتى لأحكام أهل الجاهليه أيضا.

ثم لا يوجد بينهم من يأنف من هذا الظلم و يمنع منه، أو يندد به، و يرفضه، لا من رؤسائهم، و لا ممن هم دونهم، من عقلائهم و أهل الدين منهم.

هذا باختصار حال بنى النضير فى قومهم.

أما حال بنى المغيره فى قريش، فإنها أيضا تشبه حاله هؤلاء إلى حد كبير.

فقد كان بنو المغيره، من بنى مخزوم، و كان العدد و الشرف و البيت فيهم (٢)، و كانت قريش - فيما زعموا - تؤرخ بموت هشام بن المغيره (٣)، الذى أثنى عليه الكثيرون، و كذا الحارث بن هشام فإنه منهم، و هو موضع الشاء ٦.

١- التنييه و الإشراف ص ٢١٣.

٢- نسب قريش لمصعب ص ٢٩٩.

٣- نسب قريش ص ٣٠١ و راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٣٠٠ و ٢٨٦.

و التعظيم أيضا (١).

و منهم كذلك الوليد بن المغيرة، الذى هو أحد العظيمين اللذين أشار إليهما الله تعالى فى الآية الكريمة:

وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ (٢).

و قد رثى أبو طالب (رحمه الله) أبا أمية بن المغيرة فقال:

و قد أيقن الركب الذى أنت فيهم إذا رحلوا يوما بأنك عاقر فسمى زاد الراكب، و اسمه حذيفه، و كانت عنه عاتكه بنت عبد المطلب (٣).

و قد ذكر المعتزلى طائفه كبيره من رجالهم و أمجادهم فى الجاهليه، و شطرا ممن تقلد منهم مناصب جليله فى حكم الأمويين، و غيرهم، فليراجعه من أراد (٤).

و إن المتتبع لسيره رجال بنى المغيرة من أمثال خالد بن الوليد، و أبى جهل، و الوليد بن المغيرة و غيرهم ليجد فيهم الكثير من الزهو و الخيلاء، حتى إن خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة و زنى بامراته فى ليله قتله، قد عاد إلى أبى بكر، و قد غرز فى عمامته أسهما، فانتزعها عمر، فحطمها، ثم قال له: أرتاء قتلت امرءا مسلما، ثم نزوت على امرأتها؟! و الله، لأرجمنك بأحجارك. و القصة معروفه (٥).

١- راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٢٨٧ و ٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤.

٢- شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٢٩١.

٣- نسب قريش ص ٣٠٠ و راجع: شرح النهج ج ١٨ ص ٢٩١.

٤- راجع: شرح النهج للمعتزلى الشافعى ج ١٨ ص ٢٨٥ و ٣٠٩.

٥- تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٢٨٠ و قاموس الرجال ج ٣ ص ٤٩١ عنه.

كما أن شدتهم و قسوتهم و جبروتهم تعتبر من الأمور الظاهره، و قد عبر أمير المؤمنين (عليه السلام) عنهم بالفراعنه، حين قال:

(.. و قد علمت من قتلت به من صناديد بنى عبد شمس، و فراعنه بنى سهم، و جمح، و مخزوم) (١).

فإن فراعنه بنى مخزوم كانوا من بنى المغيره، لأنهم هم الذين كان العدد و الشرف و البيت فيهم، كما ألمحنا إليه فيما سبق.

إذا، فلا يجرؤ أحد على مناواتهم و الرد عليهم، إلا إن كان من بنى عبد مناف، الذين لا يدانيهم أحد فى الشرف و السؤدد.

هذا كله .. بالإضافة إلى وضعهم المادى المتميز، كما يظهر من ملاحظه حياه الكثيرين منهم.

و هم بالإضافة إلى ذلك كله، أهل سياسه و كياسه، يأنس الإنسان إلى حديثهم، و يستلذ الجلوس إليهم، حيث قد روى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:

(أما بنو مخزوم، فريحانه قريش، تحب حديث رجالهم، و النكاح فى نسائهم) (٢).

و بعد ذلك كله: فقد أصبح واضحا إلى حد ما، سر جعل بنى النضير فى اليهود بمنزله بنى المغيره فى قريش.٩.

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ٨٤.

٢- نهج البلاغه بشرح عبده ج ٣ ص ١٧٨ الحكمة رقم ١٢٠ و راجع مصادر نهج البلاغه و أسانيده ج ٤ ص ١٠٩.

ملاحظه:

و أخيرا .. فإن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) هو الأسوه و القدوه فى كل شىء، و إن معرفته الدقيقه بواقع المجتمع الذى يعيش فيه، و يتعامل معه .. لتعطينا: أن هذه المعرفه لازمه و ضروريه لكل إنسان يصل إلى موقع القيادة، و يفترض فيه أن يتعامل مع الناس، و يسجل موقفا تجاههم؛ فإن العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس (١).

نزول آيه سوره المائده فى بنى النضير:

و يقول البعض: إن قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسِيطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ .. (٢). قد نزلت فى قضيه بنى النضير، و محاولتهم الغدر بالنبي (صلى الله عليه و آله) (٣).

و نقول: إننا نشك فى ذلك، لما يلى:

أولا: إن نفس هذا القائل قد عاد فذكر بعد بضعه أسطر: أن هذه الآيه قد نزلت فى قضيه غورث بن الحارث (٤).د.

١- تحف العقول ص ٣٥٦ و البحار ج ٧٥ ص ٢٦٩.

٢- الآيه ١١ من سوره المائده.

٣- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢ و تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٢١ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٤.

٤- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٢ و ٤٢٤ و راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٦ عن ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و ابن المنذر، و ابن جرير و عبد بن حميد.

و ذكرت حوادث أخرى فى شأن نزول الآيه، فلتراجع فى مظانها (١).

و دعوى البعض: جواز تكرار النزول (٢)، تحتاج إلى إثبات.

ثانيا: إن سورة المائده كانت من آخر ما نزل على النبى (صلى الله عليه و آله)، فلا يعقل أن يحتفظ بهذه الآيه عدده سنوات، معلقه فى الهواء، حتى تنزل سورة المائده، فيجعلها فيها (٣).

ثالثا: إنهم يقولون: إن سورة المائده قد نزلت دفعه واحده (٤).

التربيه القرآنيه:

إن من الأمور الظاهره لكل أحد: أن القرآن الكريم، و فى نطاق اهتمامه الكبير بتربيه الإنسان، و صقل فكره، و عقله، و مشاعره، و كل مناحى و جهات شخصيته، ليحمله إنسانا واعيا، و قويا و غنيا فى كل مواهبه، و طاقاته، قد اختار فى أسلوبه التربوى المنحى و الأسلوب الواقعى ليتصل به، و يدخل إلى حياته، و ينفذ إلى شخصيته، و إلى عمق وجوده، عن هذان.

١- راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٥ و ٢٦٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٤.

٣- راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد، و أبى عبيد فى فضائله و النحاس فى ناسخه، و النسائى، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه و البيهقى فى سننه، و الترمذى و حسنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير.

٤- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢، فإنهم قد صرحوا بتاريخ نزول سورة المائده، و صرح بأنها قد نزلت دفعه واحده كل من: أحمد، و عبد بن حميد، و الطبرانى، و ابن جرير، و محمد بن نصر فى الصلاه، و أبى نعيم فى الدلائل، و البيهقى فى شعب الإيمان.

الطريق، فإن هذا الأسلوب هو الذى يتصل بالعقل، فيعطيه وضوحاً ووعياً وأصاله، و يتفاعل مع الشعور ليمده بالحيويه و الفاعليه، و ينقله إلى رحاب الضمير، ليتربى و يتكامل فى ظل الوجدان، و تحت حمايته، ليصبح فى حاله متوازنه، مرضيه و مقبوله ..

و هذا بالذات هو ما يفسر لنا اهتمام الإسلام بالتركيز على الحدث، ثم ربطه بالحقائق الكليه، بما لها من عموم و شمول، ليصبح ذلك الحدث هو الوسيله الواقعيه لربط هذا الإنسان بتلك الحقائق، و تفاعله معها.

و هكذا .. يتضح: أن القرآن حين يتحدث عن الوقائع و الأحداث، فإنه يفهمنا: أنه لا يريد أن يلقى على الإنسان حقائق مجردة، و منفصله عن الواقع، و لا- تلامسه و لا- تلتقى معه، و ذلك حينما تبقى مجرد صوره ذهنيه، و تخيلات مثاليه بارده، لا تؤثر فى المشاعر، و لا تتصل بالعقل، و لا تتفاعل مع الوجدان.

و إنما هو يريد لها حركه فى الفكر، و ثوره فى الشعور، و حاله متوازنه فى الوجدان، و تجسيدها واقعيًا لكل ذلك على صعيد السلوك و الموقف.

الله هو الذى أخرجهم:

قال تعالى فى سورة الحشر: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (١).

فنجده تعالى ينسب ما جرى لبني النضير إلى نفسه، و يؤكد على ذلك بصور مختلفه .. حتى كأن ما فعله المسلمون ليس بشىء يعتد به فى موضوع إلحاق الهزيمة بهذا العدو.

بل إن المسلمين أنفسهم ما كانوا يظنون خروجهم، و لا- يتصورونه. كما أن اليهود أنفسهم كانوا مطمئنين إلى أن حصونهم ستمنعهم. و لكن الله فتح حصونهم من الداخل، فقاذ الرعب فى قلوبهم، فلم تنفعهم الحصون الماديه شيئا.

و من الواضح: أن الهزيمة من الداخل هى الأساس للهزيمة الماديه، فإذا سقطت القلوب، و تهاوت، و قذف فيها الرعب، فسوف لن تنتفع بأى شىء آخر بعد ذلك، مهما كان قويا و كبيرا.

و نفهم من الآيه بالإضافه إلى ما تقدم، ما يلي:

١- إن الحرب النفسيه لها دور كبير، بل لها الدور الأكبر فى تحقيق النصر الكبير عسكريا، فليلاحظ قوله: و قذف فى قلوبهم الرعب.

٢- إن العمل العسكري الناجح، لا بد أن يعتمد على مبدأ المباغتة، من النواحي التى لا يحسب العدو لها حسابا.

٣- إن الاعتماد على الله فى تحقيق النصر، إنما يعنى إمكانية مواجهه العدو حتى فى حاله تفوقه العسكري، و معنى ذلك .. أننا يجب أن لا ننتظر حتى يتحقق التوازن عسكريا و تسليحيا فيما بين قوى الإيمان و قوى الكفر، بل يمكن المبادره لمواجهته، حتى فى صوره عدم التكافؤ فى الإمكانيات الماديه.

٤- إن العامل المادى ليس هو القوه الوحيد، فإن العامل الروحى و المعنوى له قسط منها، فلا بد من أخذه بنظر الاعتبار.

العز و الذل .. بما ذا؟

و يذكر النص التاريخي: أن سلام بن مشكم قد نصح حبي بن أخطب بقبول الجلاء من أول الأمر، حيث تبقى لهم أموالهم و نخلهم، فكان مما قاله له:

(إنا إنما شرفنا على قومنا بأموالنا و فعالنا، فإذا ذهبت أموالنا من أيدينا كنا كغيرنا من اليهود في الذلة و الإعدام) (١).

و نقول:

إن هؤلاء يرون: أن أموالهم هي مصدر عزتهم و عنوان شرفهم ..

و لكن الإسلام يقول: إن مصدر العزه و الشرف و الكرامه هو الله سبحانه، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من أراد عزا بلا عشيره، و غنى بلا مال، و هيبه بلا سلطان، فلينتقل عن ذل معصيه الله إلى عز طاعته) (٢).

و (من أراد أن يكون أعز الناس، فليثق الله عز و جل) (٣)، فإنه (لا عز أعز من التقوى) (٤)، و (من برئ من الشر نال العز) (٥).

إلى غير ذلك من النصوص، التي تجعل من العز و سيله لتكامل الإنسان في مدارج إنسانيته، و تهذيب نفسه، و تنزيهها عن كل النقائص، ٤.

١- مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٦٩.

٢- ميزان الحكمه ج ٦ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

٣- ميزان الحكمه ج ٦ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

٤- ميزان الحكمه ج ٦ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

٥- ميزان الحكمه ج ٦ ص ٢٩٤.

و إعادها عن كل ما يشين أو يزرى بها.

ثم هي تربط العز بالمنشأ لكل الكمالات، و المصدر لكل فيوضات الخير، و نزول البركات، ألا- و هو الله سبحانه و تعالى،
تقدست أسماؤه، و تباركت ذاته، و تعالت صفاته ..

مبالغات لا مبرر لها:

(.. و فى الحديث: يخرج فى الكاهنين رجل يدرس القرآن درسا، لم يدرسه أحد قبله، و لا يدرسه أحد بعده، فكانوا يرونه
محمد بن كعب القرظى الخ) (١).

و نحن بدورنا لا نستطيع قبول هذه الروايه، و لا نرى صحه انطباقها على الشخص المذكور.

فأولا: قد اشتهر كثير من الصحابه بدراسه القرآن، و ذكرت فى الروايات أقوال منسوبه إلى النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله)
فى حقهم، و أقوال أخرى منسوبه لغيره أيضا تشير إلى تفوقهم على محمد بن كعب فى دراسه القرآن، فراجع ما يروونه فى حق
أبى بن كعب مثلا (٢)، و كذا مان-

-
- ١- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١. لكن بعض المصادر الأخرى قد ذكرت هذا الحديث، و لم تذكر فيه عبارته: (لم يدرسه أحد قبله) فراجع: سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٦٨ و تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٢١ و الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٥٠١.
 - ٢- الإستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٤٩ و راجع ص ٥٠ و تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٠٩ و أسد الغابه ج ١ ص ٤٩ و تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨٨ و راجع: الإيضاح لابن شاذان ص ٣٢٣ و ٣٣٠ و ٢٣١ و فى هامشه عن طائفه من-

يروونه فى حق ابن مسعود (١)، أو على أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) (٢). هذا عدا عما يروونه و يقولونه فى حق غير هؤلاء أيضا .. و من .

- ١- راجع: كشف الأستار ج ٣ ص ٢٥٠ و ٢٤٩ و مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٣١٨ و تلخیص المستدرک للذهبی بهامشه، و الإيضاح ص ٢٢٣ و ٢٣٢ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ عن أحمد، و أبى يعلى، و البزار، و الطبرانى، و صفه الصفوه ج ١ ص ٣٩٩ و النهايه فى اللغه ج ٣ ص ٣٧١ و مسند أحمد ج ١ ص ٤٤٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٨٢ و تذكره الحفاظ ج ١ ص ١٤ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ (الذيل) ص ٢٨ و الإصابه ج ٢ ص ٣٦٩ و الإستيعاب بهامشه ج ٢ ص ٣٢٠.
- ٢- راجع: تذكره الحفاظ ج ١ ص ١٦ و مناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ٤٢ و الغدير ج ٦ ص ٣٠٨ عن: طبقات القراء ج ١ ص ٥٤٦ و عن مفتاح السعاده ج ١ ص ٣٥١. راجع: كشف الأستار ج ٣ ص ٢٥٠ و ٢٤٩ و مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٣١٨ و تلخیص المستدرک للذهبی بهامشه، و الإيضاح ص ٢٢٣ و ٢٣٢ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ عن أحمد، و أبى يعلى، و البزار، و الطبرانى، و صفه الصفوه ج ١ ص ٣٩٩ و النهايه فى اللغه ج ٣ ص ٣٧١ و مسند أحمد ج ١ ص ٤٤٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٨٢ و تذكره الحفاظ ج ١ ص ١٤ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ (الذيل) ص ٢٨ و الإصابه ج ٢ ص ٣٦٩ و الإستيعاب بهامشه ج ٢ ص ٣٢٠.

مثل على أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)؟ و هو الذى يقول:

(لو أردت أن أوقر على الفاتحه سبعين بعيرا لفعلت) (١).

ثانيا: إننا لم نفهم المقصود من دارسى القرآن ممن سبقوا محمد بن كعب!! فهل كان القرآن موجودا قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، و قد درسه الناس، و عرفوه؟!

فإن محمد بن كعب القرظى، قد أسلم على يدى النبى (صلى الله عليه وآله) و عاش معه!!

ثالثا: إن ما ذكره عن محمد بن كعب يلغى دور عبد الله بن سلام الذى كان من نفس هؤلاء اليهود، و الذى يروون فى حقه- و إن كان ذلك كذبا أيضا-: أنه هو الذى عنده أم الكتاب (٢).

مع أن الصحيح: هو أنه على بن أبى طالب (عليه السلام) (٣). و قد تقدم تحقيق ذلك (٤).

و لعل سر تعظيم محمد بن كعب يرجع إلى أنه لا بد أن يصبح الخبراء فيع.

١- التراتيب الإداريه ج ٢ ص ١٨٣، و تفسير البرهان ص ١٦ عن بشاره المصطفى.

٢- الإصابه ج ٢ ص ٣٢١ و الإستيعاب بهامشه ج ٢ ص ٣٨٣ و الدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن: ابن مردويه، و ابن جرير، و ابن أبى شيبه، و ابن سعد، و ابن المنذر.

٣- راجع: شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٠ و راجع ص ٣٠٨ و ٣٠٧ و راجع: مناقب الإمام على (عليه السلام) لابن المغازلى و دلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٥ و نقل عن: العمده لابن البطريق ص ٦١ و عن غايه المرام ص ٣٥٧ و ٣٦٠ و ١٠٤ عن تفسير الثعلبى، و الحبرى (مخطوط) و عن الخصائص ص ٢٦.

٤- تقدم ذلك فى هذا الكتاب فراجع.

القرآن، و الدارسون له، و الواقفون على أسراره و حقائقه هم أهل الكتاب، و خصوصا اليهود، الذين لا بد أن تبقى لهم هيمنتهم العلميه على الناس، و يستمرون فى نفث سمومهم، و نشر أذاليلهم، و تتاح لهم الفرص كلها لتحريف هذا الدين، و التلاعب بمفاهيمه و أحكامه، و ليستهدف ذلك التلاعب و التحريف نفس القرآن، الذى هو المنشأ و الأساس لكل حقائق الإسلام و تشريعاته.

صلاه الخوف فى بنى النضير:

و قد ذكر البعض: أن صلاه الخوف قد شرعت فى بنى النضير، و قيل:

فى ذات الرقاع (١).

و حيث إننا سوف نتحدث إن شاء الله عن هذا الأمر فى غزوه ذات الرقاع، حيث يذكرون: أن هذه الصلاه قد شرعت حينها، أو فى غزوه الحديبيه، كما سنرى، فإننا نرجئ الحديث عنها إلى هناك.

تحريم الخمر فى غزوه بنى النضير:

قال اليعقوبى و غيره: (.. و فى هذه الغزوه شرب المسلمون الخمر، فسكروا؛ فنزل تحريم الخمر) (٢).٣.

-
- ١- الجامع للقيروانى ص ٢٧٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ عن شرح صحيح مسلم للنووى، و عن أسد الغابه.
 - ٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و راجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٩٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣.

وقال ابن الوردى: (نزل تحريم الخمر وهو محاصرههم (قلت): قال فى الروضه: إن غزوه بنى النضير سنه ثلاث: و إن تحريم الخمر بعد غزوه أحد و الله أعلم) (١).

عن جابر بن عبد الله (رض) قال: حاصر النبى (صلى الله عليه و آله) بنى النضير، فضرب قبته قريبا من مسجد الفضيخ، و كان يصلى فى موضع الفضيخ ست ليال، فلما حرمت الخمر خرج الخبر إلى أبى أيوب، و نفر من الأنصار، و هم يشربون فيه فضيخا، فحلوا و قاء السقاء، فهاقوه فيه، فبذلك سمي مسجد الفضيخ (٢).

و روى القمى: أنه لما نزل تحريم الخمر خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى المسجد فقعد فيه، ثم دعا بآئيتهم التى كانوا ينتبذون فيها، فأكفأها كلها، و قال: هذه كلها خمر، و قد حرمها الله، و كان أكثر شىء أكفى يومئذ من الأشربه الفضيخ، فلذلك سمي المسجد ب (مسجد الفضيخ) (٣).

و أكثر من ذلك كله جراه على الله و رسوله (صلى الله عليه و آله) ما رووه عن ابن عمر: أن النبى (صلى الله عليه و آله) أتى بجره فضيخ بسر، و هو فى مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمي مسجد الفضيخ (٤). ١.

-
- ١- تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٥٩ و راجع: أيضا التنبيه و الإشراف ص ٢١٣.
 - ٢- تاريخ المدينة لابن شبه ج ١ ص ٦٩ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢١ عنه و عن ابن زباله و مرآة الحرمين ج ١ ص ٤١٨.
 - ٣- البحار ج ٦٣ ص ٣٨٧ و ٣٨٨ و ج ٧٦ ص ١٣٢ و ١٣١ ط مؤسسه الوفاء.
 - ٤- مسند أبى يعلى ج ١٠ ص ١٠١ و مسند أحمد ج ٢ ص ١٠٦ و مجمع الزوائد ج ٤ ص ١٢ و ج ٢ ص ٢١.

و الفضيخ: عصير العنب، و شراب يتخذ من بسر مفضوخ، و مسجد الفضيخ هو المعروف بمسجد الشمس.

هذا كله عدا عن روايتهم: أن هناك من كان يهدى لرسول الله خمرا عده سنوات إلى أن حرمت الخمر (١).

و نقول:

أولاً: إن تحريم الخمر - كما تقدم في كتابنا هذا - قد كان في مكة .. فإن كان لهذه الرواية حظ من الصحة فلا بد أن يكون الأصحاب قد خالفوا حكم الله فيها، و ارتكبوا الحرام، فنهاهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن ذلك، و ما ذكر آنفا عن أبي أيوب و نفر من الأنصار دليل على صحة ذلك.

ثانياً: إن منازل بنى النضير لم تكن في جهه قباء، و لا مسجد الفضيخ، و ذلك لأنهم يقولون: إن مسجد الفضيخ يقع في شرقى مسجد قباء، على شفير الوادى، على نشز من الأرض (٢).

و قد تقدم: أن منازلهم كانت بعيدة جدا عن هذا الموضع. فراجع ما ذكرناه في هذا الجزء حين الكلام حول شعر حسان بن ثابت في الرواية التى تبين أن فتح بنى النضير كان على يد على حين قتل عشره منهم و جاء برؤوسهم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله).

ثالثاً: قد روى أحمد في مسنده، عن ابن عمر: أن النبى (صلى الله عليه ٨).

١- راجع: تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٩٣ عن أبى يعلى، و عن أحمد فى عده مواضع.

٢- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢١ و مرآة الحرمين ج ١ ص ٤١٨.

و آله) أتى له بفضيخ في مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمى مسجد الفضيخ (١).

و نحن .. و إن كنا نكذب بصوره قاطعه شربه (صلى الله عليه و آله) للفضيخ - كيف، و قد كانت الخمر و كل مسكر قد حرم في مكه، كما أن الخمر مما قد تسالمت الشرائع على تحريمه (٢) و قد رفض شربها عدد من الناس في الجاهليه كما ذكرناه في الجزء السادس من هذا الكتاب، تحت عنوان:

أقوال في تحريم الخمر ..- و إن كنا نكذب ذلك-

إلا أننا نقول:

لا- مانع من أن يؤتى إليه (صلى الله عليه و آله) بذلك، فيرفضه و ينهى عنه، و قد يسمى المكان بما يشير إلى ذلك، لأجل استغراب الناس عمل ذلك الرجل الذي أتى إلى النبي (صلى الله عليه و آله) بشيء قد حرمه منذ بعث، و لا- يزال يؤكد تحريمه، و يمنع عنه.٢.

١- مسند أحمد ج ٢ ص ١٠٦ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢٢ عنه، و عن أبي يعلى.

٢- راجع الكافي ج ٦ ص ٣٩٥ و الوسائل ج ١٧ ص ٢٣٧ باب تحريم شرب الخمر، و التهذيب ج ٩ ص ١٠٢ و راجع: التنقيح الرائع ج ١ ص ١٥ و راجع أيضا: مفتاح الكرامه ج ٤ ص ٢.

ص: ۲۳۳

الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء

اشاره

الخيانة و الفداء:

قد علمنا فيما سبق: أنه قد كان فيما بين بنى النضير، و بين المسلمين عهد و عقد .. و قد نقض بنو النضير عهدهم هذا، و خانوا و غدروا، فكان من الطبيعي أن يهب المسلمون للدفاع عن أنفسهم، و أن يقاتلوا عدوهم، و أن يلقي هذا العدو جزاء غدره و خيانتته ..

و حين رأى بنو النضير: أن الأمور تسير فى غير صالحهم، و أنهم قد أخطأوا فى حساباتهم خطأ فاحشا، و أن لا أحد يستطيع أن يمنع المسلمين من إنزال العقاب العادل بهم، فإنهم قد رضوا بأن يقدموا أموالهم و أرضهم لرسول الله (صلى الله عليه و آله) فى مقابل الإبقاء عليهم، و عدم قتلهم جزاء غدرهم و خيانتهم و صالحوا النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله) على ذلك؛ فكانت جميع أموالهم و أراضيهم خالصة له (صلى الله عليه و آله) يتصرف فيها كما يشاء.

أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار:

قال السهيلي: (و لم يختلفوا: أن سورة الحشر نزلت فى بنى النضير، و لا اختلفوا فى أموالهم؛ لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل و لا ركاب، و إنما قذف الرعب فى قلوبهم، و جلوا عن منازلهم إلى خير، و لم يكن ذلك عن

قتال من المسلمين لهم؛ فقسّمها النبي (صلى الله عليه وآله) بين المهاجرين، ليرفع بذلك مؤونتهم عن الأنصار؛ إذ كانوا قد ساهموا في الأموال والديار. غير أنه أعطى أبا دجانة، وسهل بن حنيف لحاجتهما.

وقال غير ابن إسحاق: وأعطى ثلاثة من الأنصار، وذكر الحارث بن الصمه فيهم (١).

وعن عمر بن الخطاب، قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه وآله) لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خالصه.

وكان ينفق على أهله منها نفقه سنه، وقال مره: قوت سنه، وما بقى جعله في الكراع والسلاح عده في سبيل الله عز وجل (٢).

ونقول: لو صح ذلك من فعل النبي (صلى الله عليه وآله)، فإنه يكون تبرعا منه (صلى الله عليه وآله) بما هو له، كسائر الأموال التي يملكها الإنسان ويرغب في إنفاقها في مورد خاص.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب أيضا قوله: مال بني النضير، كان فينا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة (٣) م-

١- مسند أحمد ج ٢ ص ١٠٦ ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢٢ عنه، وعن أبي يعلى.

٢- الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١. وحكاية الإجماع حول أموالهم في فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٤.

٣- مسند أحمد ج ١ ص ٢٥ وفتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ عن الصحيحين وغيرهما، ومسند أبي عوانه ج ٤ ص ١٣٢ و ١٤٠ و صحيح البخاري ج ٣ ص ١٢٨ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥١ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٥، والجامع لأحكام-

و كان عمر أيضا يقول: (كانت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) ثلاث صفايا (١)، فكانت بنو النضير حبسا لنوائبه ..)، ثم ذكر بقيه الصفايا (٢).

و عباره بعض المصادر: أنها كانت حبسا لنوائبه (٣).٩.

-
- ١- الصفايا: الغنائم التي يختاره الرئيس لنفسه.
 - ٢- التبيان ج ٩ ص ٥٦١ و أنساب الأشراف قسم حياه النبي (صلى الله عليه و آله) ص ٥١٩ و ٥١٨ و راجع المصادر التاليه: (و لكنها لم تصرح باسم عمر) تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢٠ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٠١ و راجع ص ٢٠٣ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣٦٠ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٢ و نسب هذا القول إلى الزهرى و محمد بن إسحاق فى كتاب الخراج للقرشى ص ٣٢.
 - ٣- المغازى ج ١ ص ٣٧٧ و فتح القدير ج ٥ ص ١٩٩.

و فى نص آخر: حسباً لمواليه (١). و لعله تصحيف.

و قال الزهرى: (.. و كانت أرض بنو النضير للنبي (صلى الله عليه و آله) خالصاً، لم يفتحوها عنوه، افتتحوها على صلح الخ (..)
(٢).

و كان أول أرض افتتحها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أرض بنى النضير (٣).

(و بقى منها صدقه رسول الله (صلى الله عليه و آله) التى كانت فى أيدي بنى فاطمه) (٤).

(و اصطفى منها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أموال بنى النضير، و كانت أول صافيه قسمها رسول الله بين المهاجرين الأولين
(و الأنصار).

و أمر علياً؛ فحاز ما لرسول الله (صلى الله عليه و آله) فجعله صدقه، و كانت ٣.

١- فتوح البلدان قسم ١ ص ٢٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩ عن الإمتاع و فتح البارى ج ٦ ص ١٤٣ و المغازى للواقدي ج ١

ص ٣٧٨ و سنن أبى داود ج ٣ ص ١٤١ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٢ عنه و عن ابن مردويه و الخراج للقرشى ص ٣٤.

٢- مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٤٢.

٣- فتوح البلدان قسم ١ ص ١٧.

٤- سنن أبى داود ج ٣ ص ١٥٧ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢١ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٨ و المصنف للصنعانى

ج ٥ ص ٣٦١ و الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٩ عن عدة مصادر و فتح البارى ج ٦ ص ١٤٠ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣١ و

المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٩٧ و الإرشاد للمفيد ص ٥٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣.

فى يده مده حياته، ثم فى يد أمير المؤمنين (عليه السلام) بعده، و هو فى ولد فاطمه (عليها السلام) حتى اليوم (١).

و أرجع (صلى الله عليه و آله)- بعد فتح بنى النضير- الأراضى و الأشجار، التى كانت قد وهبت له إلى أصحابها من الأنصار.

و قيل: بل كان ذلك حين فرغ (صلى الله عليه و آله) من خيبر (٢).

أموال بنى النضير لم تخمس:

قالوا: (كانت بنو النضير صفيا لرسول الله (صلى الله عليه و آله) خالصه له حبسا لنوائبه، و لم يخمسها، و لم يسهم فيها لأحد. و قد أعطى ناسا من أصحابه، و وسع فى الناس منها، فكان ممن أعطى الخ (٣).

و لكننا نجد بعض الروايات تقول: (إنه (صلى الله عليه و آله) خمسها، و ذهب إليه الشافعى، و أعطى منها ما أراد لمن أراد، و وهب العقار للناس، ١.

١- راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٧٣ و الإرشاد للمفيد ص ٥٠ و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٩٧ و كشف الغمه ج ١ ص

٢٠١ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣.

٢- راجع: مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٧٤-١٧٦ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٢ و ١٦٣ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و ج ٢ ص

١٢٥ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٦٨ و ٣٦٩ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٥ و ٢٦ و أحكام القرآن لابن

العربى ج ٤ ص ١٧٧٧ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٦ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ و راجع: السيره الحليه ج ٢ ص ٢٧٠.

٣- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و البحار ج ٢٠ ص ١٦٦ عن الكازرونى، و راجع: تاريخ

المدينه ج ١ ص ١٧٦ و زاد المعاد ج ٢ ص ٧١.

و كان يعطى من محصول البعض أهله و عياله نفقه سنه، و يجعل ما بقى مجعل مال الله (١).

و لكن دعوى تخميسها لا تصح: فإن الثابت هو أنها لم تفتح عنوه، و أنها مما أفاء الله على رسوله، و الفى ء لا يخمس، و إنما تخمس الغنيمه المأخوذه عنوه فى الحرب.

إلا- أن يكون المراد: أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد خمس بعض ما أخذ من متاع القوم قبل وقوع الصلح .. فعممه هؤلاء لحاجه فى النفس قضيت.

و لعل دعوى التخميس لها تهدف إلى إلقاء الشبهه على مطالبه على (عليه السلام) و فاطمه (عليها السلام) و العباس بها. مع أن عمر بن الخطاب نفسه يصرح فى روايه المطالبه هذه (٢) بتركه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، حينما انفرد أبو بكر بروايه: نحن معاشر الأنبياء لا نورث و فيما سبق بأن أموال بنى النضير كانت من الفى ء.

بل لقد ورد: أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله ألا تخمس ما أصبت من بنى النضير؟ كما خمست ما أصبت من بدر؟!!

فقال: لا- أ جعل شيئاً جعله الله لى دون المؤمنين بقوله: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى .. (٣) الآيه .. كهيئه ما وقع فيه السهمان (٤). ٨.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢.

٢- ستأتى هذه الروايه مع مصادرها فى الفصل السادس إن شاء الله تعالى.

٣- الآيه ٦ من سوره الحشر.

٤- المغازى ج ١ ص ٣٧٧ و السيره الحليه ج ٢ ص ٢٦٨.

توضيحات للواقدي:**اشاره**

قال الواقدي: (إنما كان ينفق على أهله من بنى النضير، كانت له خالصه، فأعطى من أعطى منها، وحبس ما حبس، و كان يزرع تحت النخل زرعاً كثيراً. و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يدخل منها قوت أهله سنه، من الشعير و التمر لأزواجه، و بنى عبد المطلب، و ما فضل جعله فى الكراع و السلاح، و أنه كان عند أبى بكر و عمر من ذلك السلاح، الذى اشترى على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد استعمل على أموال بنى النضير أباً رافع مولاه، و ربما جاء رسول الله بالباكوره منها. و كانت صدقاته منها، و من أموال مخيريق، و هى سبعة حوائط الخ .. (١).

و نقول: إن لنا على ما تقدم ما يلى:

ألف: التعبير ب (صدقات) و (صوافى):

فإن التعبير عن أموال بنى النضير، و عن أموال مخيريق ب (صدقات رسول الله) نجده لدى معظم المؤرخين و المؤلفين من إخواننا أهل السنه.

و هو تعبير فنى مدروس، قد جاء ليؤكد اتجاها سياسيا فرضه موقف السلطه مما حدث، من أجل تأكيد الحديث المزعوم الذى يقول:

نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقه.

هذا الحديث الذى أنكره على و فاطمه (عليهما السلام) و العباس و غيرهم.٨.

فما كان من الفريق الآخر إلا- أن أطلق على ما تركه الرسول (صلى الله عليه و آله) من أموال، و عقار اسم: (صدقه) (١)، أو (صدقات).

و قالوا: (كل ما ترك رسول الله (صلى الله عليه و آله) تصدق به) (٢)، ليركزوا ذلك الأمر الذى انفرد به أبو بكر، و أنكره أهل البيت (عليهم السلام) فى أذهان الناس بصورة تلقائية و لا شعوريه.

أما بالنسبة لقول عمر: إن بنى النضير كانت من صوافى رسول الله (صلى الله عليه و آله) حبسا لنوائبه، فإن ذلك بهدف الإيحاء بأنها لا بد أن تعود إلى بيت المال بعده، أو للخليفة لتكون حبسا لنوائبه أيضا.

و لنا أن نعتبر هذا النحو من التعامل من لطائف الكيد السياسى، و من جملة حبائله .. و لكن ذلك لم يجدهم شيئا فى تغيير الحقيقه، فقد عبر الآخرون عن آرائهم بصراحه، و أبطلوا كيد هؤلاء و لم يمكن لأهل المكر و الخداع و الكيد: أن يحققوا من مكرهم هذا شيئا.

ب: حبائل ماكره أخرى:

كما أننا نلاحظ: أن ثمة تعمدا و إصرارا على أمر آخر، يراد للناس أن يقبلوه و يصدقوه، و هو: أن رسول الله الأكرم (صلى الله عليه و آله) يطعم أهله من أراضى بنى النضير، و خيبر، و حواط مخيريق قوت سنه، ثم يجعل الباقي فى الكراع و السلاح.

و قد تقدم ذلك عن عمر بن الخطاب نفسه.ى.

١- فى الطرائف ص ٢٨٣: (لعل أبا بكر و أتباعه هم الذين سموها صدقات).

٢- التراتيب الإداريه ج ١ ص ٤٠١ عن السهيلي.

و ليس من البعيد أن يكون سبب ذلك هو إرادته الإيحاء بأنه (صلى الله عليه و آله) لم يكن يرى نفسه مالكا، بل هو يتعامل مع هذه الأراضى كما لو كانت ترجع إلى بيت مال المسلمين، الأمر الذى يؤكد صدق الحكام بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى دعواهم: أنه (صلى الله عليه و آله) لا يورث، و حتى لو كان يورث، فإن تعامله هذا يدل على أنه لم يكن مالكا.

و إذا .. فما وعد به أبو بكر، من أنه يطعم آل رسول الله قوت سنه، و يجعل الباقي فى الكراع و السلاح، لا- يعتبر خروجا عما رسمه رسول الله (صلى الله عليه و آله) بل يكون متبعاله، و مقتديا به؛ فرفض أهل البيت (عليهم السلام) لهذا العرض يصبح بلا مبرر ظاهر، و تكون الزهراء (عليها السلام) هى المخالفه للرسول الكريم (صلى الله عليه و آله)، و لأحكام الشرع و الدين الحنيف، و تطلب ما ليس لها بحق، و تصر على طلبها هذا، رغم توضيح الأمر لها!.

و لكننا مع ذلك نقول:

إنه حتى لو صح أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان يفعل ذلك، و صح أيضا: أن هذا السلاح قد بقى عند أبى بكر و عمر؛ فإنه لا يدل على عدم ملكيه الرسول (صلى الله عليه و آله) لتلك الأراضى، بعد أن نص القرآن العظيم على ملكيته (صلى الله عليه و آله) لها. حيث يمكن أن يكون إنما يفعل ذلك تبرعا، و إثارا لرضا الله سبحانه، و طلبا لمثوبته التى يرغب بها كل مؤمن.

لا سيما و أن القرآن قد حث الناس على أن يجاهدوا فى الله بأموالهم و بأنفسهم. و من أولى من الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) بالمسارعه إلى امتثال أمر الله هذا!؟.

أموال بنى النضير فى ء أم غنيمه؟

قال النيسابورى:

(اعترض بعضهم: بأن أموال بنى النضير أخذت بعد القتال؛ لأنهم حوصروا أياما، وقاتلوا و قتلوا، ثم صالحوا على الجلاء؛ فوجب أن تكون تلك الأموال من الغنيمه، لا من الفى ء .

و أجاب المفسرون من وجهين:

الأول: إنها لم تنزل فى بنى النضير، وإنما نزلت فى فدك، و لهذا كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) ينفق على نفسه، و على عياله من غله فدك، و يجعل الباقي فى السلاح و الكراع.

الثانى: تسليم أنها نزلت فيهم، و لكن لم يكن للمسلمين يومئذ كثير خيل، و لا- ركاب، و لم يقطعوا إليها مسافه كثيره، و إنما كانوا على ميلين من المدينه؛ فمشوا على أرجلهم، و لم يركب إلا- رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و كان راكب جمل؛ فلما كانت العامله قليله، و لم يكن خيل، و لا ركاب، أجراه الله مجرى ما لم يكن قتال ثمه (١).

و نقول:

١- إن ما ذكره من أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان يجعل باقى..

١- راجع: التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٤ و ٢٨٥، و غرائب القرآن (مطبوع) بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٧ و ٣٨ و راجع: الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و ١٢ فإنه ذكر ذلك ضمنا و أجاب عنه كذلك، حيث قال: و لم يكن ثمه قتال على التحقيق؛ بل جرى مبادئ القتال، و جرى الحصار الخ ..

غله فدك في السلاح و الكراع، بعد أن ينفق على نفسه و عياله (صلى الله عليه و آله) منها .. محل مناقشه و بحث، فإن من المقطوع به: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد أعطى فدكا لابنته فاطمه (عليها السلام)، و قد استولت عليها السلطه بعد ثمانيه، أو عشره أيام من وفاته (صلى الله عليه و آله).

و قد جريت بين الزهراء (عليها السلام) و بين أبي بكر مناقشات و محاورات انتهت بإصرار الخليفه على ما أقدم عليه، فغضبت الزهراء عليه حتى ماتت، و هى مهاجره له و لنصيره عمر، و أوصت بأن تدفن ليلا و لا يحضرا جنازتها (١).

فدك لم تكن فى يد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لسوف نتحدث عن هذا الأمر بشىء من التفصيل بعد غزوه خيبر إن شاء الله تعالى.

٢- إنه إذا كانت فدك خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) و إذا كان قد أنفق غلتها فى الكراع و السلاح؛ فإنما فعل ذلك تكريماً، و طلباً للأجر و الثواب، و إيثارا منه (صلى الله عليه و آله) على نفسه، حسبما ألمحنا إليه، و ليس لأجل أن حكم الفىء هو ذلك- و إن كنا نحتمل قويا أن تكون دعوى ذلك من موضوعات خصوم أهل البيت (عليهم السلام) بهدف التشكيك فى أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد نحلها لفاطمه الزهراء (عليها صلوات ربي و سلامه).ك.

١- ستأتى مصادر ذلك كله إن شاء الله، حين الحديث حول فدك بعد غزوه خيبر إن شاء الله تعالى. و بالإمكان مراجعه كتاب: أصول مالكيه (فارسي) للأحمدى، و فدك للقزوينى، و دلائل الصدق، و غير ذلك.

٣- و لربما يؤيد القول بأن سورة الحشر قد نزلت بعد واقعه بنى النضير، التعبير بقوله: مِنْ أَهْلِ الْقُرَى حيث إن وادى القرى قد افتتحت بعد ذلك.

و لكنه تأييد غير تام: فإن الحكم فى الفى ء عام، و لا- يختص بأهل وادى القرى، كما أنه لم يثبت كون المراد بأهل القرى هو وادى القرى، إذ يمكن أن يكون المراد: أهل البلاد مطلقاً.

أضف إلى ذلك: أن الآية التالية، المشيره إلى إعطاء المهاجرين، و عدم تغيظ الأنصار من إعطاء إخوانهم، بل هم يؤثرونهم على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصه- إن هذه الآية- تؤيد كون المراد هو بنو النضير، لأن النبى (صلى الله عليه و آله) لم يعط الأنصار من أموالهم شيئاً، سوى رجلين أو ثلاثة، كما أوضحناه حين الكلام حول تقسيم أراضى بنى النضير، فليراجعه من أراد.

٤- إن ما ذكر فى الجواب الثانى غير تام، فإن كثرة الخيل و الركاب، و قلتها، و بعد المسافه و قربها لا يؤثر شيئاً فى حكم الفى ء، ما دام أن الملاك هو الأخذ عنوه و عدمه، كما أن كثرة القتال و قلة لا يؤثر فى ذلك شيئاً.

الجواب الأمثل:

و عليه .. فالأولى فى الجواب: أن يقال: إن القتال الذى كان- إن صح أنه قد كان ثمه قتال- لم يكن به الفتح، و إنما فتحت صلحا، و هذا هو الميزان فى الفى ء و الغنيمه، فإن كان الفتح صلحا كان فيئاً، و إن كان بقتال كان غنيمه، فالحكم تابع للنتيجه، مهما كانت مقدماتها.

هذا .. بالإضافة إلى أن ما أربع اليهود و جعلهم يأسون، و حملهم على الصلح لم يكن هو القتال المشار إليه، و إنما كان قطع النخيل، و إحراقه.

ثم كان قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) للعشره هو السبب فى استجابتهم للصالح، كما تقدم ..

و أما بالنسبه لما يذكرونه من قتال، فنحن لا نستطيع أن نؤكد صحته، بل القرآن و التاريخ يدلان على عدمه، و إن كنا لا نمانع من أن تكون قد جرت بعض المناوشات اليسيره، و لكنها لم تكن سبب الفتح قطعاً.

المهاجرون .. و أموال بنى النضير:

لقد هاجر من مكه عدد كبير من الذين أسلموا، و تركوا ما كانوا يملكونه وراءهم، و قد قدم الأنصار لهم كل ما أمكنهم تقديمه من العون و الرعايه، حتى لقد أرادوا أن يقاسموهم أموالهم؛ فمنعهم النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله)، و أمرهم أن يعملوا فى مزارعهم و بساتينهم وفقاً لقواعد المساقاه و المزارعه، و هكذا كان (١).

و حين أفاء الله على رسوله أموال و أراضى بنى النضير، كانت خالصه له (صلى الله عليه و آله)، بمقتضى قوله تعالى: .. ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله و للرسول و لذى القربى و الأيتامى و المساكين و ابن السبيل (٢).

و قد روى القرشى عن الكلبي أنه قال: (قسم رسول الله (صلى الله عليه ٩).

١- مسند أبى عوانه: ج ٤ ص ١٧٤ و السنن الكبرى للبيهقى ج ٦ ص ١١٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٢.

٢- الآية ٧ من سوره الحشر. و ليراجع هنا: مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و التبيان ج ٩ ص ٥٦٢ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٨ و ١٤٩.

و آله) أموال بني النضير، إلا سبعة حوائط منها، أمسكها و لم يقسمها) (١).

حكاية قسمه الأراضي:

ثم إنه (صلى الله عليه و آله) قد خيّر الأنصار، بين أن يقسم ما أفاءه الله عليه، عليهم و على المهاجرين، و يكون المهاجرون مع الأنصار كما كانوا، و بين أن يخص المهاجرين بها، فيستقلون عن الأنصار، و يرجعون إليهم أراضيهم.

فقال السعدان- سعد بن معاذ، و ابن عباد-: بل نقسم أموالنا و ديارنا على المهاجرين، و يؤثرونهم بالقسمه أيضا، و لا يشار كونهم فيها، فاقتدى بهما سائر الأنصار، فأنزل الله: **و يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** (٢).

فقسمها النبي (صلى الله عليه و آله) بين المهاجرين، و أمرهم برد ما كان للأنصار حسب تعبير الحلبي (٣) ١-

١- الخراج للقرشي: ص ٣٦.

٢- الآية ٩ من سورة الحشر.

٣- راجع: فيما تقدم، كلا، أو بعضا المصادر التالية: البحار ج ٢٠ ص ١٧١ و ١٧٢ و فى هامشه عن الإمتاع للمقريزى ص ١٨٢ و تفسير القمى ج ٢ ص ٣٦٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٦٨ و ٣٦٩ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٧٥ و السنن الكبرى ج ٦ ص ١١٦ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٦ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٩ و تاريخ المدينة ج ٢ ص ٤٨٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٣ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٩ و غرائب القرآن مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٤١ و ٤٢ و فتح القدير ج ٥ ص ٢٠١-

فكانت أول صافيه قسمها (صلى الله عليه و آله) بين المهاجرين الأولين (١).

و فى بعض المصادر: أن المهاجرين إنما ردوا ما كان للأنصار بعد الفراغ من خيبر (٢).

محاسبات دقيقه:

إننا رغم أننا نشك فى إرجاع المهاجرين أموال الأنصار، و نحتمل قويا:

أن يكون الهدف من هذا الزعم هو تقويه موقف المهاجرين، حيث لا يكون للأنصار- و الحاله هذه- فضل يذكر، إلا أننا نغض النظر عن ذلك فنقول:

يرد هنا سؤال، و هو: أنه إذا كانت أموال بنى النضير خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، بنص القرآن الكريم، فلماذا يطلب (صلى الله عليه و آله) موافقه الأنصار على أن يخص المهاجرين بها؟
أليس هو (صلى الله عليه و آله) حر التصرف فيما ملكه الله إياه، يضعه .

١- فتوح البلدان: قسم ١ ص ٢١ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٣ و فى هامشه عن المناقب ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠ و عن الإرشاد ص ٤٩ و ٤٨.

٢- صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٣٦٨ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠.

حيث يشاء، و يعطيه لمن يشاء!.

و نحن فى مقام الإجابة على هذا السؤال نشير إلى ما يلى:

١- إنه (صلى الله عليه و آله) يريد أن لا يسيء أحد من الأنصار تفسير تصرفه ذاك، فيتوهم: أن ذلك منه (صلى الله عليه و آله) بسبب حبه لقومه دونهم، أو لغير ذلك من أسباب.

كما أنه (صلى الله عليه و آله) لا- يريد أن يثير فى الأنصار حسدا لا- مبرر له، أو ما هو أكثر من الحسد، و هم يرون إخوانهم يحصلون على الأموال و الأراضى دونهم، حتى و لو كانوا يعلمون: أن هذا المال ملك لرسول الله (صلى الله عليه و آله) يضعه حيث يشاء، و يعطيه لمن أراد، و يعلمون أيضا:

أنه لا ينطلق فى إعطائه ذاك من سليات يخشون وجودها.

٢- إنه يريد للمسلمين جميعا: أن لا يفهموا هذا التصرف على أنه امتياز لهم دون غيرهم، و ليتخذ ذلك أصحاب الأهواء منهم ذريعه للابتزاز، أو لإعمال سياسات ظالمة تجاه إخوانهم من الأنصار، حينما تسنح لهم الفرصه لذلك.

٣- إنه يريد للمسلمين جميعا أن يفهموا: أن على القيادة أن لا تستبد بالرأى و بالتصرف، فإن التفاهم، و المشاركة فى الرأى، و عدم التفرد فيه، يجب أن يكون هو السمة المميزة للإنسان المسلم.

٤- إنه (صلى الله عليه و آله) يريد أن يعلم الأنصار، و يستفيد من ذلك المهاجرون درسا فى الإيثار على النفس ما دام أن ذلك من شأنه أن يوثق عرى الموده، و يثير كوامن الحب فى مجتمع يشعر أعضاؤه بالآلام و مشاكل بعضهم البعض، و يعملون على حلها، و يبذلون جهدهم فى هذا السبيل.

٥- كما أننا نستفيد بالإضافة إلى ما تقدم الأمور التاليه:

ألف: أنه كما أن من مسؤوليات قائد الأمة تصريف أمور الرعيه، و رعايه شؤونها، و إدارتها، و هدايتها إلى أفضل السبل و أجدائها في دفع الأخطار الكبرى عنها، و حل المعضلات التي ربما تواجهها ..

كذلك فإن من مسؤولياته تربيته الأمة تربيته صالحه، و رعايه شؤونها الروحيه و تزكيتها، و بعث الفضائل و السجايا الكريمه في نفوس أبنائها جماعات و آحادا، ثم إبعاد كل ريب و رين عنها؛ لتكون خالصه خلوص الجوهر، نقيه صافيه صفاء النور ..

هذا بالإضافة إلى رعايه العلاقات الروحيه فيما بين أفراد و جماعات الأمة، لتبقى سليمه و حميمه، و قائمه على أسس قويه و ثابتة من تلك السجايا و السمات و الصفات الراسخه في أعماق الذات الإنسانيه ..

فلا يجوز أن يصدر منه أى عمل - حتى و لو كان بملاحظه خصوصيته الفرديه، و العاديه حلالا و مباحا له - من شأنه أن يلحق أدنى ضرر في البنيه الاجتماعيه، سواء على المستوى النفسى أو الفكرى، أو المادى، أو غير ذلك.

كما أن عليه أن يتكهن بآثار أى عمل يصدر منه، و يقدر ما له من سلبيات و إيجابيات مستقبليه، و على جميع المستويات.

ب: إن ما تقدم يوضح لنا مدى حساسيه موقع هذه القياده، و خطوره مسؤولياتها، و يوضح كذلك: أنه ليس باستطاعه كل أحد؛ أن يتسلم أزمه الحكم، و يتولى مسؤوليات قياديه، إلا إذا اجتمعت فيه خصال و مواصفات ذات طابع معين، من شأنها أن تساعد على تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الأهداف التي تتوخاها الأمة من قياداتها.

ج: إن ما فعله الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد أفهمنا أنه يفترض في القائد: أن يرفع الشؤون المادية للأمم، و لو من ماله الخاص، حينما لا يكون ثمة مصادر أخرى قادره على سد حاجاتهم في هذا المجال.

د: و درس آخر نتعلمه من موقف النبي (صلى الله عليه وآله) هنا، و هو: أن الإنسان، و إن كان له الحق في أن يتصرف في ماله كيف يشاء، و لكن حينما تنشأ عن هذا التصرف سلبيات من نوع ما، فإن عليه أن يعمل على معالجه تلك السلبيات، و أن يعطى تصرفه منافع كافيه، تحصن الواقع من أن تنشأ فيه تلك السلبيات، أو أن تؤثر أثرها البغيض المقيت، حتى و لو كانت تلك السلبيات ناشئه عن تقصير الآخرين، أو عن سوء تصرفهم، أو عن عدم التزامهم الأكيد بالحدود و القيود التي يفترض التزامهم بها، أو غفلتهم عن ذلك، بل و حتى لو كان ذلك من قبيل الطموحات الباطله و اللامشروع، أو التي تستتبع حسدا لا مبرر له لدى الآخرين، أو حقدا كذلك.

ه: إننا نلاحظ: أنه (صلى الله عليه وآله) قد كانت معالجه لسلبيات لا مبرر لها بطريقه بناءه و رائده، ثم هي زاخره بالمعاني الإيجابيه الكبيره، التي من شأنها ليس فقط أن تؤثر في الصيانه و الحصانه بدرجة كافيه، و إنما هي تساهم بدرجة كبيره في تكامل الأمم، و في حصولها على المعاني و السجايا الإنسانيه، ثم تعميقها و ترسيخها بصوره عمليه، لا بمجرد التنظير، و إطلاق الشعارات في الهواء.

و هذا هو الأسلوب الأمثل و الأجدى في بناء الأمم، و تأكيد خصائصها الإنسانيه، و سجاياها الكريمه الفضلى.

المستفيدون من أراضي بني النضير:

و يذكر المؤرخون أسماء طائفه من الناس أعطاهم الرسول (صلى الله عليه و آله) من أراضي بني النضير، بل يرى البعض: أنه لم يعط سوى الأشخاص التاليه أسماؤهم و هم:

١- أبو بكر بن أبي قحافه؛ فقد حصل على موضع يقال له: (بئر حجر) (١).

٢- عمر بن الخطاب، الذى حصل على موضع يقال له: (جرم) (٢).

٣- عبد الرحمن بن عوف، الذى حصل على موضع يقال له: (سواله)، أو (كيدمه)، و هو الذى يقال له: (مال سليم) (٣).

٤- الزبير بن العوام، الذى حصل على أرض يقال لها: (بويله) (٤).٧.

١- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٩ و راجع: فتوح البلدان قسم ١ ص ١٨ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٩ و معجم البلدان ج ٥ ص ٢٩٠.

٢- راجع: المصادر المتقدمه باستثناء فتوح البلدان.

٣- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٩٦ و ج ٣ ص ٩٤٥ و معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٧ و راجع ج ٥ ص ٢٩٠ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٧٩ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و راجع: فتوح البلدان قسم ١ ص ١٨ و راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٩.

٤- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨، لكنه ذكر بويله له و لأبى سلمه بن عبد الأسد، و فتوح البلدان قسم ١ ص ٢١ و ٢٢ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٥٧ و إرشاد السارى ج ٤ ص ٢١٠ و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٧ ص ١٤٧ عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٥ و راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٩ و نيل الأوطار ج ٦ ص ٥٧.

٥- صهيب بن سنان، حصل على أرض يقال لها (ضراطه) (١).

٦- أبو سلمه بن عبد الأسد، حصل على أرض من بني النضير، عند الواقدي أن اسمها: (بويله) شاركه الزبير فيها أيضا، كما أشرنا إليه (٢).

٧- أبو دجانة.

٨- و سهل بن حنيف، حصلا على أرض يقال لها: (مال ابن خرشه) (٣) ١-

١- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ و راجع ج ٣ ص ١٠٤ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٧٩ و ٣٨٠، و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

٢- طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٨٠ و ذكر أنه (صلى الله عليه و آله) أعطاه (بويله) و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٥٧ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩.

٣- راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٨٠ و ٣٧٩ و السيره النبويه ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٥٥٥ و التبيان ج ٩ ص ٥٦٣ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٤٨ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٨ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و راجع ص ١٤ و ٢٤ و راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٧١ و تفسير القمي ج ٢ ص ٣٦٠ و فى هامش البحار عن الإمتاع ص ١٨٢ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٧٧١ و ١٧٧٢ و التفسير الكبير ج ٢٨ ص ٢٨٥ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٣ و الخراج للقرشى ص ٣٢ و تفسير البرهان ج ٤ ص ٣١٣ و جوامع الجامع ص ٤٨٧ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٥٩ و راجع: تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ و فتوح البلدان قسم ١ ص ١٨ و ١٩ و ٢١-

٩- الحارث بن الصمه، استفاد هو الآخر من ذلك حسبما ذكره (١).

و عند البعض: الحرث بن أبرهه (٢).

و الظاهر: أنه تصحيف.

١٠- و أعطى - كما زعموا- سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق (٣).٩.

١- مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥١ و ٤٦٢ عن المدارك، و معالم التنزيل و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٦٩، و قال: (نظر فيه بعضهم: بأنه قتل فى بئر معونه)، و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و جوامع الجامع ص ٤٨٧ و التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨٥ و الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٥٠٥ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و راجع ص ١٤ و ٢٤ و أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٧٧١ و ١٧٧٢ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ عن غير ابن إسحاق، و بهجه المحافل ج ١ ص ٢١٦ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧.

٢- غرائب القرآن، مطبوع بهامش جامع البيان ج ٢٨ ص ٣٨.

٣- تاريخ الإسلام للذهبي (قسم المغازى) ص ١١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ١١، و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٧٩، و السيره الحلبيه للحلبى الشافعى ج ٢ ص ٢٦٩.

١١- و أعطى عثمان بن عفان أيضا بعض أراضى بنى النضير، فى مكان يقال له: الدومه (١).

نصان غير متوافقين:

و نشير هنا إلى نصين غير متوافقين، وهما:

١- ما قاله العيني: (.. و لم يخمس، و لم يسهم منها لأحد، إلا لأبى بكر، و عمر، و ابن عوف، و صهيب بن سنان، و الزبير بن العوام، و أبى سلمه بن عبد الأسد، و أبى دجانه) (٢).

فالعيني إذا يرى: أنه (صلى الله عليه و آله) لم يعط أحدا غير هؤلاء.

و لكن التعبير ب (يسهم) فيه شىء من المسامحة؛ لإشعاره بأنها مفتوحة عنه، و ليس الأمر كذلك.

٢- قال ابن شبه: (.. عن محمد بن إسحاق، قال: قسمها رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى المهاجرين إلا سهل بن حنيف، و أبى دجانه، و كذا نفرا، فأعطاهما منها) (٣).

و قال النسفى: قد أعطى ثلاثة من الأنصار (٤). لكنه لم يذكر لنا أسماءهم بالتحديد.

ف نجد العيني لا يذكر سهل بن حنيف، و نجد آخرين يذكرون سهلا.

١- وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٤ عن ابن شبه.

٢- عمده القارى ج ١٨ ص ١٢٦.

٣- تاريخ المدينة ج ٢ ص ٤٩٠.

٤- مدارك التنزيل (مطبوع بهامش لباب التأويل) ج ٤ ص ٢٤٦.

و أبا دجانة، و نجد عددا آخر يصر على أنهم ثلاثة من الأنصار، و لعله يقصد الحارث بن الصمه؛ فإنه أنصاري أيضا.

و لكن ابن شبه ذكر سهلا و أبا دجانة، و كذا نفرا من الأنصار.

و معنى ذلك: هو أنه قد أعطى الثلاثة الأنفه أسماؤهم.

مع أن ظاهر النصوص: الحصر بهم، أو بواحد، أو باثنين منهم. فالأولى الاختصار على ذلك، إلى أن يرد ما يؤيد كلام ابن شبه.

كى لا يكون دوله بين الأغنياء.

و قد علل الله سبحانه عطاء بعض الفئات دون بعض، من الفى ء بقوله: وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لِرِكَابٍ وَ لِكِنِّ اللَّهِ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كُنِيَ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١).

و نستفيد من هذه الآيه الأمور التاليه:

الأول: إنه سبحانه قد علل إعطاء الفى ء للفقراء اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل بأن لا يكون المال محصورا بين الأغنياء، يتداولونه فيما بينهم.

و هذا يعطى: أن الإسلام يريد أن يمكن الجميع من الحصول على المال، و لا يكون حكرا على جماعه دون غيرها.

أى أنه يريد للمال أن يتحرك، و أن ترتفع الموانع و الحواجز من طريقه و ينطلق من خلال الالتزام بالحكم الإلهي، و الوقوف عند الحدود الشرعيه، لتتداوله جميع الأيدي فلا بغى من أحد على أحد، و لا استثثار بشىء دون الآخرين و إنما الإيثار على النفس، و لو مع شدة الحاجة و الخصاصه.

كما أنه يريد للفقير: أن يحصل على المال بصوره مشروع، و من دون منه من أحد عليه، ما دام أن المال قد أعطاه الله إياه، و ليس لأحد من الخلق فيه أى دور.

الثانى: إن الإسلام حين قبل بالملكه الفرديه، و جعل القوانين و النظم لحمايتها، و قبل أيضا بملكه الدوله و الجبهه، و أعطى المجال لطموحات الإنسان، و قدراته الخلاقه للتعبير عن نفسها، و تأكيد وجودها، فإنه قد قرر إلى جانب ذلك قاعدته، و أعطى ضابطته التى لا- مجال لتخطيها فى شأن المال بقوله: كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ (١)؛ فإنه يكون بذلك قد قرر الحد الذى يفصل نظام الإسلام الإقتصادى عن النظام الرأسمالى الفاسد، و الذى ينتهى بالمال إلى أن يصبح دوله بين الأغنياء.

و ذلك لأن الإسلام، و إن كان قد قبل بالملكه الفرديه، إلا أنه قد حدد مصادر الحصول عليها فى جهات معينه، لا يجوز تعديها إلى غيرها ..

كما أنه قد وضع من الأحكام و الضوابط فى مختلف شؤون الحياه و جهاتها، ما يمنع من تكسب المال بصوره فاحشه لدى أفراد بخصوصهم.

و قد بين الله سبحانه هذا الأصل الأصيل بعباره واضحه و موجزهر.

حينما قال: لا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ.

ثم هو قد حرم و أذان، و عاقب على كل عمل من شأنه أن يهدم هذا الأصل، و يضر في مسيره تحقيقه، أى ما يوجب صيروره المال دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ، فحرم الربا، و منع من الاحتكار، و من أكل المال بالباطل، و ..

و .. الخ ..

و بما تقدم يتضح أيضا: البون الشاسع فيما بين المذاهب الإقتصادية الأخرى - كالأشتراكيه - و بين نظام الإسلام الإقتصادى، كما هو ظاهر لا يخفى.

الثالث: إن ما أفاءه الله على رسوله، ليس لأحد أن يدعى أن له فيه أدنى أثر أو أى دور فى تحصيله. فإن المسلمين لم يوجفوا عليه بخيل و لا ركاب، و إنما عاد إلى رسول الله بسبب تسليط الله رسله على من يشاء، كاليهود الناقضين للعهود و المواثيق.

و معنى ذلك هو أنه ليس لأحد الحق فى أن يدعى: أنه قد تنازل للنبي (صلى الله عليه و آله) عن شىء هو له، أو ساهم فيه، و جاء الحكم الإلهى ليأخذه منه، و يعطيه للنبي لمصلحه كامنه فى ذلك، كما ربما يتوهم فى الزكاه و الخمس، و ذلك لأن الله قد صرح بأن تسليط الله سبحانه للرسول على أولئك الناس قد كان سببا فى حصول ما يسمى بالفىء؛ فالفىء إذا هو نتيجة عمل إلهى، و تصرف ربانى فى واقع سلطه الرسول و بسطها على أولئك المعاندين.

و أما مناشىء هذه السلطه، و مقوماتها، فيجب أن لا تكون منحصره فى العده و العدد و الحشود لدى المسلمين، فإن ذلك يتحقق بتأييدات إلهيه غيبيه،

تساهم فيها معرفه اليهود بنبوته (صلى الله عليه وآله)، و رؤيتهم لمعجزاته و كراماته، و جبههم للدينيا، و خوفهم من الموت و غير ذلك من أمور.

الرابع: بقى أن نشير إلى أن الآيات قد نصت على أن الفى ء لله، و للرسول، و لذى القربى، و اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل؛ فكيف نوفق بين ذلك و بين ما هو معلوم من أن الفى ء خالص لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

و نقول فى الجواب: إن الآيات لم تتعرض لتشريع حكم الفى ء، و بيان تقسيماته اللازمه شرعا، من حيث مالكيه هؤلاء الأصناف له، و إنما هى تبين قضيه فى واقعه، يراد توضيح المراد فيها، و إزاله الشبهه عن موقف النبى (صلى الله عليه وآله) منها. ذلك لأن الآيات التاليه لتلك الآيه، قد بينت:

أن المراد بهؤلاء الأصناف هو خصوص المهاجرين منهم، أما الأنصار؛ فإنهم لا يجدون فى أنفسهم حرجا فى أن يأخذ إخوانهم المهاجرون من الفى ء دونهم، رغم ما كان يعانى منه الأنصار من حاجه و خصاصه، بل هم يؤثرونهم على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه.

كما أن الآيه الآنفه الذكر قد بينت: أن المراد هو الفى ء الحاصل من أهل القرى، لا كل فى ء، و ذلك يؤيد أنها فى صدد الحديث عن قضيه فى واقعه، من أجل إبراز ما بها من خصوصيات، و من معان إنسانيه هامه، و من دقائق أخرى لا بد من الإلفات إليها، و التنبيه عليها، و ليست فى صدد إعطاء الضابطه و القاعده العامه.

و معنى ذلك هو: أن المراد بيان أن ما فعله النبى (صلى الله عليه وآله) فى الفى ء الحاصل له من أهل القرى، حيث قسمه على المهاجرين دون

الأنصار، رغم وجود الخصاصه فى الأنصار، إنما كان لمصالح اقتضت التخصيص منه (صلى الله عليه وآله). ولا حرج على النبى أو الإمام فى أن يلاحظ المصالح، و يقدم قوما على قوم، و يعطى هؤلاء، و يحرم أولئك، لأجل تلك المصالح المقتضيه لذلك، و لا يجب عليه أن يساوى بين الناس دائما، فإن المساواه ليست مطلوبه على كل حال، و إنما هى مطلوبه حيث لا مصلحه فى الترجيح، و حيث لا توجب تعميق الهوه بين الفئات التى يراد المساواه بينها.

إذا، فلا معنى لاستغلال هذا الأمر للدعايه ضد نبى الإسلام، و اتهامه بالتحيز و التجنى، و لا سيما إذا علمنا أن ما يقسمه إنما هو حقه الشخصى، و هو حر فى أن يجعل ما يختص به لمن يشاء، كيف يشاء.

الخامس: لا بد من التذكير أخيرا بأن آيه الفى ء هنا كآيه الخمس فى سورة الأنفال، قد ذكرت أصنافا ستة: ثلاثة منهم من قسم الواجب، و هم:

سهم الله، و سهم الرسول، و سهم ذوى القربى، و ثلاثة لا يجب ذلك فيهم، و هم اليتامى، و المساكين، و ابن السبيل ..

لما ذا اختص ذوو القربى بالخمس و الفى ء؟

و من الغريب العجيب أن البعض بعد أن ذكر: أن المراد بذوى القربى فى الآيه التى فى سورة الحشر، و فى آيه الخمس هم قرابه رسول الله، قد علل البعض اختصاصهم بالفى ء و الخمس بقوله: (إن كانت الصدقات لا تحل لهم فليس لهم فى الزكاه نصيب، و إن كان النبى لا يورث فليس لذوى قرابته من ماله شى ء، و فيهم الفقراء الذين لا مورد لهم، فجعل لهم من خمس

الغنائم نصيباً، كما جعل لهم من هذا الفى ء و أمثاله نصيباً) (١).

إذا فهذا البعض يرى: أن فقر الفقراء منهم، و حرمانهم من الإرث و الزكاه كان هو السبب فى ذلك!!

و نقول: إن كلامه غير صحيح، و ذلك لما يلى:

١- لقد علق هو نفسه فى هامش كتابه على كلمه (الفقراء) بقوله:

(هناك خلاف فقهي، هل الفقراء من قرابه الرسول هم المستحقون؟! أم جميعهم، و الراجح جميعهم) (٢).

و معنى ذلك هو: أن فقرهم ليس هو سبب إعطائهم، إذ ليس ثمه خصوصيه للفقراء منهم تقتضى ترجيحهم على سائر الفقراء، و إنما السبب فى الترجيح هو- فقط- قرابتهم من رسول الله (صلى الله عليه و آله).

٢- لا ندرى كيف حرمهم الله هذا المقدار القليل من إرث النبى (صلى الله عليه و آله) ثم عوّضهم هذه الأموال الهائلة و الطائله، التى تحصل من الفى ء و الغنائم!! ..

٣- ثم إننا لا ندرى كيف يحرم شخص واحد و هو الزهراء صلوات الله عليها، ثم يعوض جميع قرابه رسول الله (صلى الله عليه و آله) حتى من لم يكن فى طبقتها فى الإرث، بل و حتى جميع بنى هاشم، و لو لم يكونوا من أولاده (صلى الله عليه و آله) و لا من وراثه!!

بل لقد نال هذا التعويض جميع بنى هاشم إلى يوم القيامة.ق.

١- فى ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٥٢٤.

٢- المصدر السابق.

و ما كان أحراه أن يكون لو أنه كان ذلك قد جاء على سبيل الإهتمام بأمور الفقراء و الضعفاء من سائر الناس، فيورث فاطمه (عليها السلام)، ثم يتعامل مع جميع بنى هاشم على أنهم بعض من غيرهم، فلا- يحرمهم من ذاك ليعطيهم من هذا أكثر مما يستحقون، و أضعاف ما به كانوا يطالبون.

أليس فى ذلك تضييع لحقوق الكثيرين من الفقراء من غيرهم!؟

حاشاه أن يصدر ذلك منه، أو أن يفكر فيه.

٤- هذا كله عدا عن أن حديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه، و الذى تفرد بروايته الخليفة الأول أبو بكر!! قد أثبت العلماء بالأدلة القاطعه و البراهين الساطعه عدم صحته. و قد رد على و فاطمه (عليهما السلام) و كثير غيرهما روايته كما ذكرته الروايات الكثيره و ليس ههنا محل بحث هذا الأمر فمن أراد ذلك، فليراجع كتب العقائد.

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى

اشاره

الفاصون:

و تذكر المصادر: أن السلطه قد استولت على باقى أموال بنى النضير، التى احتفظ بها رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لم يقسمها بين أصحابه، و قد طالب بها أهل البيت (عليهم السلام) فمنعوا منها ثم إن عمر بن الخطاب قد ردها إليهم، بعد سنين من توليه الحكم.

و لكن حكاية مطالبه أهل بيت النبوه (عليهم السلام) للخليفه الثانى بإرجاعها إليهم، قد تعرضت للدس و التشويه بصوره بشعه و مخجله.

و نحن نذكر نص الروايه هنا أولاً، ثم نشير إلى بعض وجوه التشويه فيها، و إن كانت واضحه و ظاهره لكل أحد.

نص الروايه:

يقول النص التاريخى، و هو الذى ذكره مسلم بن الحجاج فى صحيحه:

(حدثنى عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعى، حدثنا جويريه: عن مالك، عن الزهرى: أن مالك بن أوس حدثه قال: أرسل إليّ عمر بن الخطاب؛ فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته فى بيته جالسا على سرير، مفضيا إلى رماله، متكئا على وساده من آدم، فقال لى: يا مالك، إنه قد دف أهل أبيات من قومك، و قد أمرت فيهم برضخ فخذ فاقسمه بينهم.

قال: قلت: لو أمرت بهذا غيرى.

قال: خذه يا مالك.

قال: فجاء يرفأ، فقال: هل لك- يا أمير المؤمنين- فى عثمان و عبد الرحمن بن عوف، و الزبير، و سعد؟

فقال عمر: نعم، فأذن لهم؛ فدخلوا.

ثم جاء فقال: هل لك فى عباس، و على؟

قال: نعم، فأذن لهما.

فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بينى و بين هذا الكاذب الآثم، الغادر الخائن!

فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم و أرحهم.

(فقال مالك بن أوس: يخيل إلى: أنهم قد كانوا قدموهم لذلك).

فقال عمر: أتتدا، أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث، ما تركناه صدقه؟

قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس، و على، فقال: أنشد كما بالله الذى ياذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث، ما تركناه صدقه؟

قالا: نعم.

فقال عمر: إن الله جل و عز كان خص رسوله (صلى الله عليه و آله) بخاصه لم يخصص بها أحدا غيره، قال: ما أفاء الله على رسوله من أهل

الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللِّرَّسُولِ ..(١) (ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا)، قال:

فقسم رسول الله (صلى الله عليه و آله) بينكم أموال بنى النضير فو الله، ما استأثر عليكم، و لا- أخذها دونكم، حتى بقى هذا المال؛ فكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يأخذ منه نفقه سنه، ثم يجعل ما بقى أسوه المال.

ثم قال: أنشدكم بالله الذى ياذنه تقوم السماء و الأرض، أتعلمون ذلك؟

قالوا: نعم. ثم نشد عباسا و عليا بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟

قالا: نعم.

قال: فلما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال أبو بكر: أنا ولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجتتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، و يطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): ما نورث ما تركنا صدقه؛ فرأيتماه كاذبا آثما، غادرا، خائنا، و الله يعلم: إنه لصادق بار، راشد، تابع للحق.

ثم توفى أبو بكر، و أنا ولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و ولى أبى بكر، فرأيتمانى كاذبا، آثما، غادرا، خائنا، و الله يعلم: إنى لصادق بار، راشد، تابع للحق، فوليتها، ثم جتتتى أنت و هذا، و أنتما جميع، و أمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا.

فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله: أن تعملا- فيها بالذى كان يعمل رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأخذتماها بذلك.

قال: أكذاك!؟

قالا: نعم.

قال: ثم جئتماني لأقضى بينكما؛ فوالله، لا أقضى بينكما بغير ذلك، حتى تقوم الساعة؛ فإن عجزتما عنها؛ فرداها إلى (١).

زاد في نص آخر قوله: فغلب على عباسا عليها، منعه إياها، فكانت بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم كانت بيد الحسين، ثم على بن الحسين، ثم

١- (١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥١-١٥٣ و شرح النهج للمعتزلى الحنفى ج ١٦ ص ٢٢١-٢٢٣ و راجع ص ٢٢٩ و راجع: جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٦ و ٢٧ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٢-٢٠٤ و راجع ص ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و الصواعق المحرقة ص ٣٥ و ٣٦ و صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و راجع: ج ٢ ص ١٢١ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٦-٩٩٨ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٤٦٩-٤٧١ و سنن أبى داود ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤٠. و راجع ص ١٤٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٣ و ج ٥ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٦ و عمده القارى ج ١٤ ص ١٨٥ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٣٦-١٤٠ و ١٣٢ و ١٣٤ و الجامع الصحيح للترمذى ج ٤ ص ١٥٨. و الأموال ص ١٧ و ١٨ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٦ و لباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ و الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و سنن النسائى ج ٧ ص ١٣٦ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٦٠ و أشار إلى ذلك فى الصفحات التاليه: ٢٥ و ٤٨ و ٤٩ و ١٦٢ و ١٦٤ و ١٧٩ و ١٩١ و كنز العمال ج ٧ ص ١٦٧ و ١٦٨ عن بعض من تقدم و عن: البيهقى و عبد بن حميد، و ابن حبان، و ابن مردويه و الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٣ عن تقدم و راجع: تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٣٨ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٤٠٣.

الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن.

زاد في نص آخر: ثم عبد الله بن الحسن بن الحسن (١).

قال الزهري: حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه، قال: فذكرت ذلك لعروه، فقال: صدق مالك بن أوس، أنا سمعت عائشه تقول: أرسل أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) عثمان بن عفان إلى أبي بكر، يسأل لهن ميراثهن من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما أفاء الله عليه، حتى كنت أردهن عن ذلك.

فقلت: ألا تتقين الله، ألم تعلمن: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: (لا نورث ما تركناه صدقه - يريد بذلك نفسه - إنما يأكل آل محمد من هذا المال).

فانتهى أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ما أمرتهن به (٢).

١- (١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٩ و الطرائف ص ٢٨٣ و المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧١ و راجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٥ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٨ و الصواعق المحرقة ص ٣٦ و صحيح البخاري ج ٣ ص ١١ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٥ و راجع ص ٢٠٧ و راجع: البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و ج ٥ ص ٢٨٨ و فتح الباري ج ٦ ص ١٤٥ و التراتب الإداريه ج ١ ص ٤٠٢.

٢- (٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٣ و صحيح البخاري ج ٣ ص ١٢ و أنساب الأشراف ج ١ (قسم حياه النبي (صلى الله عليه وآله)) ص ٥٢٠ و راجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٣ لكن فيه: أنهم أردن أن يبعث عثمان إلى أبي بكر، فيسألنه ميراثهن الخ .. و مسند أبي عوانه ج ٤ ص ١٤٥ و راجع ص ١٤٣ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٥ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠١ و ٢٠٥ و ٢٠٧ و المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٧١ و ٤٧٢ و الصواعق المحرقة ص ٣٦ و راجع: تلخيص الشافعي ج ٣ ص ١٥٠ و الموطأ مطبوع بهامش تنوير الحوالك ج ٣ ص ١٥٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٣ و ج ٥ ص ٢٨٨ و فتوح البلدان ج ٤ ص ٣٤ و معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٩ و الإيضاح لابن شاذان ص ٢٥٧-٢٦٢ و راجع هوامشه.

قال ابن كثير: (ثم إن عليا و العباس استمرا على ما كانا عليه، ينظران فيها جميعا إلى زمان عثمان بن عفان؛ فغلبه عليها على، و تركها له العباس؛ بإشاره ابنه عبد الله (رض) بين يدي عثمان- كما رواه أحمد في مسنده- فاستمرت في أيدي العلويين)(١).

و نقول:

إننا و إن كنا لا نستبعد أن يكون علي (عليه السلام) و العباس (رحمه الله) قد طالبا عمر بن الخطاب بأراضى بنى النضير، و لكننا نرى: أن حكاية هذه القضية بالشكل الآنف الذكر، لا ريب في كونها مكذوبه و مصنوعه، بهدف تبرئه ساحه الهيئه الحاكمه فيما أقدمت عليه من مصادرہ أموال رسول الله (صلى الله عليه و آله) فور وفاته، و حرمان ابنته (عليها السلام) من إرثه.

و لكن مخترعها، أو فقل الذى حرفها، و صاغها بهذا الشكل، لم يكن ذكيا بالقدر الكافى، و لا له معرفه تؤهله للاحتراس من المؤاخذات الظاهره و الواضحه؛ تاريخيه كانت، أو تفسيريه، أو شرعيه، أو غيرها كما سنرى.

و الأبدع من ذلك!! أننا نجد الروايه قد ذكرت في كتب الصحاح، التى هى أصح الكتب- عند أصحابها- بعد القرآن .. فكيف خفى أمرها

على مؤلفي هذه الكتب، و هم الأئمة الكبار و العارفون، و الضليعون في فئهم، حسبما يصفهم به أتباعهم و محبهم، و الآخذون عنهم؟

و قبل أن نشير إلى نقاط الضعف التي في هذه الرواية نذكر القارئ الكريم بأن ما سوف نذكره من نقاط - و إن كان أكثره قد خطر في بالنا- و لكنه أيضا مما قد تنبه له الآخرون، و لذا فإننا سوف نشير إلى هؤلاء الذين سبقونا إلى ذلك، ناسيين الكلام إليهم، بل و معتمدين في أحيان كثيرة في صياغة العبارة عليهم .. فنقول:

المؤاخذات التي لا محيص عنها:

و بعد .. فإنه يرد على الرواية المتقدمة:

أولا: أن روايه مسلم تذكر: أن العباس، قال لعمر: (اقض بيني و بين هذا الآثم الغادر الخائن). و هذا مما لا يتصور صدوره من العباس؛ إذ كيف ينسب هذه الأوصاف إلى من اعتبرته آية المباهلة نفس النبي الأمين (صلى الله عليه و آله)، و لمن شهد الله سبحانه له بالطهاره، و كيف يسبه، و قد علم أن من سبه سب الله و رسوله؟

فلا بد أن يكون هذا القول مكذوبا على العباس من المنافقين الذين يريدون سب الإمام الحق، على لسان غيرهم (١).

و نشير هنا إلى ما يلي:

ألف: (استصوب المازري صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا

الحديث و قال: لعل بعض الرواه و هم فيها(١).

فالمازرى إذا يؤيد و يستصوب تحريف النصوص، و ذلك من أجل الحفاظ على ماء الوجه، أمام الحقائق التاريخيه الدامغه؛ فإنهم حينما رأوا: أن كذبها صريح إلى درجه الفضيحه، و رأوا: أنها موجوده فى صحاحهم، و تلك فضيحه أخرى أدهى و أمر- نعم حينما رأوا ذلك- التجأوا إلى هذا الأسلوب الساقط و الرذل، ألا و هو التحريف و الإسقاط، كما اعترف به المازرى و استصوبه ..

و هذا الأسلوب لا- يزال متبعاً عند خلف هؤلاء القوم، فنجد الوهابيين يحرفون كتب علمائهم، و غيرها، و كذلك غيرهم من أولئك الذين يخونون دينهم و أمتهم، بخيانتهم أماناتهم (٢).

ب: قال العسقلانى: إن المازرى قال: (أجود ما تحمل عليه: أن العباس قالها دلالة على على؛ لأنه كان عنده بمنزله الولد؛ فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه، و أن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد.

قال: و لا- بد من هذا التأويل، لوقوع ذلك بمحضر الخليفه، و من ذكر معه، و لم يصدر منهم إنكار لذلك، مع ما علم من تشدهم فى إنكار المنكر(٣).

و نقول للمازرى: مرحبا و أهلا بهذا الدلال الوقح و المشين! فهل كل

١- (١) فتح البارى ج ٦ ص ١٤٣.

٢- (٢) راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التأريخ و الإسلام ج ١، البحث الأول، ففیه بعض النماذج من ذلك.

٣- (٣) فتح البارى ج ٦ ص ١٤٣.

من كان بمنزله الوالد يحق له أن يسب الناس، و يتهمهم بالعدو، و الخيانه، و الإثم؟!.

و أيضا .. فإن روايه البخارى تقول: إنهما قد استبا(١)، فهل سب على (عليه السلام) للعباس كان دلالة أيضا؟ و هل كان على بمنزله الوالد بالنسبه للعباس؟!.

و هل كان هذا الدلال مما جرت عليه عادة العرب؟!.

و هل يصح الردع عن الخطأ بهذا الأسلوب الفاحش و البذى؟!.

ثم إننا لم نعلم ما الذى فعله على (عليه السلام) بأرض بنى النضير حتى استحق الوصف بالعدو و الخيانه؟!.

فهل فعل فيها غير ما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يفعله؟!.

و لو أنه تعدى فى فعله، فهل يكون غادرا، و خائنا؟! و لمن يا ترى؟! و هل يمكن أن يظن العباس بعلى أو العكس: أنه يرتكب الخطأ الفاحش الذى هو على حد الخيانه و العدو عن عمد و قصد؟!.

أسئله ننتظر الجواب عنها بصوره منصفه و مقنعه، و هيات.

و ثانيا: قال العلامة المظفر: (إنه يصرح بأن عمر ناشد القوم و من جملتهم عثمان؛ فشهدوا بأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث.

و هو مناف لما رواه البخارى (٢) عن عائشه، أنها قالت: أرسل أزواج

١- (١) صحيح البخارى ج ٣ ص ١١ و غيره.

٢- (٢) تقدمت مصادر الروايه عن قريب، فقد رواها البخارى و مسلم و عبد الرزاق و غيرهم، فراجع.

النبي (صلى الله عليه وآله) عثمان إلى أبي بكر، يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله، فكنت أنا أردهن، الحديث .. فإنه يقتضى أن يكون عثمان جاهلاً بذلك، وإلا لا تمتنع أن يكون رسولاً لهن، إلا أن يظن القوم فيه السوء).

و هذا أيضا قد أورده المعتزلى الحنفى (١).

وقد حاول المعتزلى الاعتذار عن ذلك، فقال: (اللهم إلا أن يكون عثمان وسعد، وعبد الرحمن، والزبير، صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبى بكر فيما رواه، وحسن الظن. وسموا ذلك علما لأنه قد يطلق على الظن اسم العلم).

ثم ذكر: أنه يجوز أن يكون عثمان فى مبدأ الأمر شاكا فى روايه أبى بكر، ثم يغلب على ظنه صدقه لأمارات اقتضت تصديقه. وكل الناس يقع لهم مثل ذلك (٢).

و نقول:

ألف: إن نفس المعتزلى يقول: إن أكثر الروايات: أنه لم يرو خبر (لا نورث) غير أبى بكر، ذكر ذلك أعظم المحدثين (٣).

فمن أين جاءت هذه الإمارات على الصدق. لا سيما مع تكذيب فاطمه له، وهى المطهره بنص الكتاب العزيز، وكذلك مع إنكار على والعباس، وغيرهما من خيار الأصحاب وأكابرهم!؟

١- (١) دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٢ و شرح نهج البلاغه ج ١٦ ص ٢٢٣.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ٦ ص ٢٢٣ و ٣٢٤.

٣- (٣) سيأتى كلام المعتزلى هذا بعد أسطر.

و لو كان لديهم أدنى احتمال بصدق الحديث- و لو بأن يحتملوا أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد أسر به إلى أبي بكر- لما بادروا إلى إنكاره، و استمروا على ذلك، حتى لقد توفيت الصديقه الزهراء (عليها السلام) مهاجرة له لأجل ذلك.

إن المعتزلى و غيره- و حاله هذه- حين يصدقون حديث لا نورث، فإنهم يكونون قد طعنوا بالقرآن الذى نزه الزهراء، و عليا، و أهل البيت عليهم صلوات ربي و سلامه ..

ب: إن ما ذكر، يبقى مجرد احتمال. و يبقى احتمال أن يكون قد جرى عمر، و شهد بما لا يعلم، قائما و قويا، بعد أن كانت السلطه، التى كان عثمان أحد مؤيديها و معاضديها، تتجه نحو تثبيت دعوى أبي بكر، و زعزعه موقف آل رسول الله (صلى الله عليه و آله).

ثالثا: قال العلامة الشيخ محمد حسن المظفر (رحمه الله): (لو كان الذين ناشدهم عمر عالمين بما رواه أبو بكر لما تفرد أبو بكر بروايته عند منازعته فاطمه (عليها السلام). فهل تراهم ذكروا شهادتهم لعمر، و أخفوها عن أبي بكر، و هو إليها أحوج؟! (١)).

و حول تفرد أبي بكر بروايه الحديث، قال ابن أبي الحديد المعتزلى الشافعى:

(.. إن أكثر الروايات: أنه لم يرو هذا الخبر إلا- أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدثين. حتى إن الفقهاء فى أصول الفقه أطبقوا على ذلك فى

احتجاجهم فى الخبر بروايه الصحابى الواحد.

وقال شيخنا أبو على: لا تقبل فى الروايه إلا روايه اثنين كالشهاده.

فخالفه المتكلمون و الفقهاء كلهم، و احتجوا عليه بقبول الصحابه روايه أبى بكر وحده: نحن معاشر الأنبياء لا نورث الخ ..(١).

رابعا: قال العسقلانى - و ذكر ذلك غيره أيضا-: (و فى ذلك إشكال شديد، و هو: أن أصل القصة صريح فى أن العباس و عليا (عليه السلام)، قد علما: أنه (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث؛ فإن كانا سمعاه من النبى (صلى

الله عليه و آله) فكيف يطلبانه من أبى بكر؟! (٢) و إن كان إنما سمعاه من أبى بكر، أو فى زمنه؛ بحيث أفادهما العلم بذلك، فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر؟! (٣).

و قال العينى: (.. هذه القصة مشكله؛ فإنهما أخذاهما من عمر (رض)

١- (١) شرح نهج البلاغه ج ١٦ ص ٢٢٧ و راجع ص ٢٤٥.

٢- (٢) و قد طالب العباس و فاطمه أبا بكر بالميراث أيضا؛ فراجع فى ذلك: صحيح البخارى ج ٣ ص ١٢ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٤ و راجع: الصواعق المحرقة ص ٣٧ و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٦ و تاريخ المدينة ج ١ ص ١٩٧ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٥ و ج ٤ ص ٢٠٣ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٤٧٢ و مسند أبى عوانه ج ٤ ص ١٤٥ و مسند أحمد ج ١ ص ١٠ و ٤ و تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٣١ و ١٣٢ و نهج الحق ص ٣٦٠.

٣- (٣) فتح البارى ج ٦ ص ١٤٥ و راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣ و راجع: حاشيه السندى على صحيح البخارى، و هى مطبوعه بهامشه ج ٢ ص ١٢١ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٤.

على الشريطه، و اعترفا بأنه (صلى الله عليه و آله) قال: ما تركناه صدقه؛ فما الذى بدالهما بعد ذلك حتى تخاصما؟! (١).

و بعد أن ذكر العلامه المظفر (رحمه الله) تعالى، ما يقرب مما ذكره العسقلانى، و أن صريح أحاديث البخارى: أن العباس، و عليا (عليه السلام) قد طلبا الميراث من عمر، مع علمهما بأنه (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث .. قال:

(.. و هو من الكذب الفظيع؛ لمنافاته لدينهما و شأنهما، و كونه من طلب المستحيل عادة؛ لأن أبا بكر قد حسم أمره، و كان أكبر أعوانه عليه عمر، فكيف يطلبان منه الميراث؟!)

و مع ذلك، فكيف دفع لهما عمر مال بنى النضير؛ ليعملا به عمله، و عمل رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و أبى بكر؟. و هما قد جاءاه يطلبان الميراث، مخالفين لعلمهما، غير مبالين بحكم الله و رسوله، حاشاهما؛ فيكون قدحا فى عمر (٢).

و احتمال: أن يظنا بأن عمر لسوف ينقض قضاء أبى بكر ..

قد دفعه المعتزلى بقوله: (و هذا بعيد؛ لأن عليا و العباس - فى هذه المسأله - يتهمان عمر بمملاؤه أبى بكر على ذلك، ألا تراه يقول: نسبتمانى و نسبتما أبا بكر إلى الظلم و الخيانه؟).

١- (١) عمدہ القارى ج ٢١ ص ١٧.

٢- (٢) دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٩ و ٣٣٠.

فكيف يظنان: أنه ينقض قضاء أبي بكر، و يورثهما؟! (١).

و أجابوا عن ذلك كله بجوابين:

الأول: (كأن المراد: تسألني التصرف فيما كان نصيبك، لو كان هناك إرث) (٢).

و على حد تعبير ابن كثير: (.. كأن الذى سألوه، بعد تفويض النظر إليهما- و الله أعلم:- هو أن يقسم بينهما النظر، فيجعل لكل واحد منهما نظر ما يستحقه بالأرض، لو قدر أنه كان وارثا ..

إلى أن قال: و كان قد وقع بينهما خصومه شديده؛ بسبب إشاعه النظر بينهما.

إلى أن قال: فكأن عمر تخرج من قسمه النظر بينهما بما يشبه قسمه الميراث، و لو فى الصورة الظاهره، محافظه على امتثال قوله: لا نورث، ما تركناه صدقه).

زاد العيني قوله: (فمنعهما عمر القسم؛ لثلا- يجرى عليها اسم الملك؛ لأن القسم يقع فى الأملاك، و يتناول الزمان؛ فيظن به الملكيه) (٣).

أما الهيثمى، فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين قال: (إستباب على

١- (١) شرح نهج البلاغه ج ١٦ ص ٢٣٠.

٢- (٢) حاشيه السندى على صحيح البخارى، مطبوعه بهامشه ج ٢ ص ١٢١.

٣- (٣) راجع: البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٨ و عمدته القارى ج ٢١ ص ١٧ و راجع فتح البارى ج ٦ ص ١٤٥، عن إسماعيل القاضى، و عن أبى داود فى السنن، قال العسقلانى: و به جزم ابن الجوزى، و الشيخ محيى الدين، و تعجب العسقلانى من جزمهما هذا، فراجع.

و العباس صريح في أنهما متفقان على أنها غير إرث، و إلا .. لكان للعباس سهم، و لعلى سهم زوجته، و لم يكن للخصام بينهما وجه؛ فخصامهما إنما هو لأجل كونها صدقه، و كل منهما يريد أن يتولاها؛ فأصلح بينهما عمر (رض)، و أعطاهما لهما الخ (١).

و قال إسماعيل القاضي: إنما تنازعا- يعنى عند عمر- فى ولاية الصدقه، و فى صرفها كيف تصرف (٢).

الثانى: ما أجاب به العسقلانى بقوله: (إن كلا- من على و فاطمه و العباس اعتقد: أن عموم قوله لا نورث، مخصوص ببعض ما يخلفه دون بعض، و لذلك نسب عمر إلى على و العباس: أنهما كانا يعتقدان ظلم من خالفهما فى ذلك) (٣).

و نقول:

إن ذلك لا يصح، أما بالنسبه لما عدا الجواب الأخير، فلما يلى:

ألف: إننا نقول: لو صح ما ذكره لكان عمر اقتصر على ذكر هذا المعنى و لم يكن بحاجة إلى المناشده المذكوره، و الاستدلال على عدم كونها إرثا بحديث لا نورث.

ب: قال العسقلانى: (لكن فى روايه النسائى، و عمر بن شيبه (٤)، من

١- (١) الصواعق المحرقة ص ٣٧.

٢- (٢) فتح البارى ج ٦ ص ١٤٥.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) سنن النسائى ج ٧ ص ١٣٦ و تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٤ و شرح النهج ج ١٦ ص ٢٢٢ و راجع سائر المصادر التى تقدمت للروايه فى أوائل هذا الفصل.

طريق أبي البختری، ما يدل على أنهما أرادا أن يقسم بينهما على سبيل الميراث، و لفظه فى آخره: ثم جئتمانى الآن تختصمان يقول هذا: أريد نصيبى من ابن أخى، و يقول هذا: أريد نصيبى من امرأتى، و الله، لا أقضى بينكما إلا بذلك، أى إلا بما تقدم من تسليمها لهما على سبيل الولاية. و كذا وقع عند النسائي من طريق عكرمه بن خالد، عن مالك بن أوس نحوه).

ثم ذكر دعوى أبى داود: أنهما أرادا من عمر أن يقسمها بينهما للانفراد بالنظر فيما يتوليان، و أن أكثر الشراح اقتصروا عليه و استحسوه ثم تنظر فيه بما تقدم.

ثم إنه بعد ذلك تعجب من ابن الجوزى و من الشيخ محبى الدين، لجزمهما بأن عليا و العباس لم يطلبوا إلا قسمه النظر و الولاية .. مع أن السياق صريح فى أنهما جاءاه مرتين فى طلب شىء واحد، ثم اعتذر بأنهما شرحا اللفظ الوارد فى مسلم دون اللفظ الوارد فى البخارى (١).

ج: إن العم لا يرث مع وجود البنت لبطلان التعصيب، كما سيأتى.

د: قول ابن كثير: إنه كان قد وقع بين علي و العباس خصومه شديده، بسبب إشاعه النظر بينهما محض رجم بالغيب، إذ ليس فى الروايه ما يدل على أن سبب الخصومه هو ذلك، و لا حدثنا التاريخ بشىء عن السبب المذكور. بل الأمر على العكس كما تقدم عن العسقلانى.

ه: لم نفهم معنى لهذا التحرج المدعى من قبل عمر، فإنه إذا كان الأنبياء لا يورثون، فإن قسمه النظر بينهما لا تخالف حديث لا نورث- إن

صح- لا فى الظاهر ولا فى الباطن، و إذا كان حديث لا نورث باطلا، و كانوا يورثون، فمخالفة الحديث لا ضير فيها ولا حرج.

و: لم نفهم لماذا لا- تصح القسمة إلا- فى الأملاك- كما ذكره العيني- و كيف غفل على و العباس عن ذلك، و كيف لم يقل لهما عمر، و لا أحد ممن حضر الخصومة: إن القسمة لا تقع فى الأملاك؟!.

ز: لم نفهم كيف أصبح استتاب على و العباس دليلا على كون أرض بنى النضير ليست إرثا؟ أليس الإرث يحتاج إلى القسمة، و قد يقع الخلاف فى هذا القسم أو ذاك؟! فلعل أحدهما يريد هذه القطعة، و ذاك يريد لها أيضا، فيقع الخصام، و يحتاج إلى الفصل بينهما، و إراحه كل منهما من الآخر.

و أما بالنسبة لجواب العسقلاني، فإننا نقول:

ألف: قد صرح المعتزلى الشافعى: بأن خبر أبى بكر يمنع من الإرث مطلقا، قليلا كان أو كثيرا، و لا سيما مع إضافه كلمه: (ما تركناه صدقه).

و أضاف: (فإن قال قائل: نحن معاصر الأنبياء لا نورث ذهبا، و لا فضه، و لا أرضا، و لا عقارا، و لا دارا ..

قيل: هذا الكلام يفهم من مضمونه: أنهم لا يورثون شيئا أصلا، لأن عادة العرب جاريه بمثل ذلك. و ليس يقصدون نفي ميراث هذه الأجناس المعدوده دون غيرها، بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفى أن يورثوا شيئا ما على الإطلاق(١).

و إن كان لنا تحفظ على إضافته المذكوره، فإن ظاهر قوله: نحن معاصر

الأنبياء لا نورث ذهبا و لا فضه الخ .. أنهم ما جاؤوا لأجل جمع حطام الدنيا لأنفسهم، و ليورثوه أبناءهم، و إنما هم زهاد تاركون للدنيا، و لا يجمعون ذهبا و لا فضه ليقع في ميراثهم لمن بعدهم.

ب: قول العسقلاني: إن اعتقاد علي و العباس ظلم من خالفهما يدل على اعتقادهما باختصاص حديث لا نورث ببعض الأموال دون بعض .. لا يصح، إذ كما يمكن أن يكون ذلك لأجل اعتقادهما بما ذكر، كذلك يمكن أن يكون لأجل اعتقادهما بعدم صحه أصل الحديث، و أنه مجعول و مختلق.

و هذا الثاني هو الصحيح؛ لإنكار علي (عليه السلام)، و فاطمه (عليها السلام)، و العباس (رحمه الله) هذا الحديث من الأساس، و مطالبتهم بتركه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كما هو ظاهر لا يخفى.

خامسا: إن العم لا يرث مع وجود البنت، كما هو الحق الذي لا محيص عنه، و إنما ترث البنت الواحده نصف التركة بالفرض، و النصف الباقي بالرد عليها، و التعصيب يعنى توريث العصبه النصف - كالع - مع البنت، باطل و لا يصح، و قد استدل العلماء على بطلانه بما لا مزيد عليه؛ فليراجع فى مظانه (١).

و يبدو: أن توريث العلم - مع البنت الذي هو من التعصيب الباطل - قد نشأ عن إرادته تقويه موقف أبى بكر، و إضعاف موقف فاطمه و علي

١- (١) راجع: جواهر الكلام ج ٣٩ ص ٩٩-١٠٥، و تلخيص الشافى ج ١ هامش ص ٢٥٤-٢٥٩ و نهج الحق ص ٥١٥ و اللمعه الدمشقيه ج ٨ ص ٧٩ و ٨٠ و الحدائق الناضره (كتاب المواريث) ص ٤٩-٥٥ و أى كتاب فقهي للشيعه الإماميه تعرض فيه لمسائل الإرث.

(عليهما الصلاة والسلام).

سؤال .. و جوابه:

و يرد هنا سؤال، و هو: أنه إذا كان العباس لا يرث؛ فلما ذا شارك في المطالبة بإرث النبي (صلى الله عليه و آله) من أبي بكر، ثم من عمر؟!.

و أجاب السيد ابن طاووس: بأن هذه المطالبة، بل و حتى إظهار الخصومه مع علي في ذلك عند عمر، قد كان لأجل مساعده علي و فاطمه (عليهما السلام)، و قطع حجه أبي بكر، و إقامة الحجة علي عمر في ذلك. ثم ذكر ابن طاووس هنا قصة الجارية التي قالت للرشيد العباسي: إن عليا (عليه السلام) و العباس كانا في هذه القضية كالملكين، اللذين تحاكما إلى داود في الغنم، حيث أرادا تعريفه وجه الحكم؛ فكذلك أراد علي و العباس تعريف أبي بكر و عمر: أنهما ظالمان لهما بمنع ميراث نبيهما(١).

و قد يجاب عن ذلك: بأن العباس كان يظن في ظاهر الحال أنه يرث النبي (صلى الله عليه و آله) لعمومته له، و كان علي (عليه السلام) يرفض ذلك، علي اعتبار أن العم لا يرث، فترافعا إلى عمر علي هذا النحو ليقوما الحجة عليه.

سادسا: قال الشيخ المظفر (رحمه الله): (إن أمير المؤمنين لو سمع ذلك؛ أي حديث: لا نورث الخ .. فلم ترك بضعه الرسول أن تطالب بما لا حق لها فيه؟! أأخفى ذلك عنها راضيا بأن تغصب مال المسلمين؟! أو أعلمها فلم

تبال؟! وعدت على ما ليس لها فيه حق! فيكون الكتاب كاذبا، أو غالطا بشهادته لهما بالطهاره، فلا مندوحه لمن صدق الله، و كتابه، و رسوله (صلى الله عليه و آله) أن يقول بكذب هذه الأحاديث(١).

و قال المعتزلى: (.. و هل يجوز أن يقال: إن عليا كان يعلم ذلك، و يمكن زوجته أن تطلب ما لا تستحقه؟! خرجت من دارها، و نازعت أبا بكر، و كلمته بما كلمته إلا بقوله، و إذنه و رأيه)!(٢).

سابعاً: قال المظفر و المعتزلى: (إن أمير المؤمنين (عليه السلام) و العباس، لو كانا سمعا من النبي (صلى الله عليه و آله) ما رواه أبو بكر، حتى أقرأ به لعمر؛ فكيف يقول لهما عمر:- كما في حديث مسلم:- رأيتما أبا بكر كاذبا، آثما، غادرا، خائنا، و رأيتما آثما، غادرا، خائنا)(٣).

ثامناً: قال العلامة الحلبي ما حاصله: إن عمر بن الخطاب قد أخبر: أن عليا و العباس يعتقدان فيه و في أبي بكر بأنهما: كاذبان آثمان غادران خائنان، فإن كان ذلك حقا، فهما لا يصلحان للخلافه، و إن كان كذبا، لزمه تطرق الذم إلى علي و العباس، لاعتقادهما في أبي بكر، و عمر ما ليس فيهما؛ فكيف استصلحوا عليا (عليه السلام) للخلافه؟ مع أن الله قد نزهه عن الكذب و الزور و طهره.

و إن كان عمر قد نسب إلى العباس و علي (عليه السلام) شيئا لا

١- (١) دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣.

٢- (٢) شرح النهج ج ١٦ ص ٢٢٤.

٣- (٣) دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٣٣ و شرح النهج للمعتزلى الشافعي ج ١٦ ص ٢٢٦.

يعلمانه، لزمه تطرق الذم إلى عمر نفسه، لأنه يفترى عليهما، و ينسب إليهما ما لا يعتقدانه.

مع أن البخارى و مسلما ذكرا فى صحيحيهما: أن قول عمر هذا لعلى و العباس، قد كان بمحضر مالك بن أوس، و عثمان و عبد الرحمن بن عوف، و الزبير و سعد. و لم يعتذر أمير المؤمنين عن هذا الاعتقاد الذى نسب إليهما، و لا أحد من الحاضرين اعتذر لأبى بكر و عمر(١).

و أجاب البعض عن ذلك: بأنه قد جاء على لسان عمر على سبيل الفرض و التقدير، و الزعم؛ فإن الحاكم إذا حكم بخلاف ما يرضى الخصم، يقول له: تحسبني ظالما و لست كذلك، و لذلك لم يعتذر على (عليه السلام) و لا العباس و لا غيرهما ممن حضر(٢).

ورد عليه العلامة المظفر (رحمه الله): بأن هذا مضحك، إذ كيف لا يكون على سبيل الحقيقة، و هما إنما يتنازعا عند عمر فى ميراث النبى (صلى الله عليه و آله) بعد سبق روايه أبى بكر و حكمه؟ فإن هذا النزاع بينهما لا يتم إلا بتكذيبهما لأبى بكر فى حديثه، و حكمهما عليه بأنه آثم غادر خائن على وجه يعلمان: أن عمر عالم بكذب حديث أبى بكر، و أن موافقته له فى السابق كان لسياسه دعتة إلى الموافقه، و لو لم يكونا عالمين بأن عمر عالم بكذب حديث أبى بكر، لم يصح ترافعهما إلى عمر من جديد(٣).

١- (١) نهج الحق ص ٣٦٥ و ٣٦٦ و راجع دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٤ و ١٢٥.

٢- (٢) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٦.

٣- (٣) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٨ و ١٢٩.

تاسعا: إن من المعلوم: أن الحكام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد دفعوا الحجر إلى زوجاته (صلى الله عليه وآله) (١).
كما أن خلفاء بني العباس قد تداولوا البرده والقضيب (٢).

وقد قال ابن المعتز مخاطبا العلويين:

و نحن ورثنا ثياب النبي

فلم تجذبون بأهدابها

لكم رحم يا بني بنته

و لكن بنو العم أولى بها (٣)

فأجابه الصفي الحلبي بقوله:

و قلت ورثنا ثياب النبي

فكم تجذبون بأهدابها

و عندك لا يورث الأنبياء

فكيف حظيتم بأثوابها (٤)

وقال الشريف الرضي (رحمه الله):

ردوا تراث محمد ردوا

ليس القضيب لكم ولا البرد (٥)

كما أنهم دفعوا آله و بغلته و حذاءه و خاتمه و قضيبه إلى علي (عليه

١- (١) راجع: تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٢٩ و ١٣٠ و دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٩ و نهج الحق ص ٣٦٦.

٢- (٢) تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨.

٣- (٣) ديوان ابن المعتز ص ٢٩ و راجع: تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٨ هامش و الغدير ج ٦ ص ٥٢.

٤- (٤) راجع: ديوان الصفي الحلبي و راجع تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٨ هامش و الغدير ج ٦ ص ٥٣.

٥- (٥) ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ٤٠٧ و تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٨ هامش.

الصلاه و السلام(١).

و عليه فيرد ما أورده المعتزلى الشافعى هنا حيث قال: (إذا كان (صلى الله عليه و آله) لا يورث؛ فقد أشكل دفع آله و دابته، و حذائه إلى على (عليه السلام)، لأنه غير وارث فى الأصل، و إن كان إعطاؤه ذلك لأن زوجته بعرضه أن ترث لو لا الخبر، فهو أيضا غير جائز؛ لأن الخبر قد منع أن يرث منه شيئا، قليلا كان أو كثيرا).

(ثم ذكر ما تقدم عنه آنفا حين الجواب على ما ذكره العسقلانى، الذى ادعى: أن عليا (عليه السلام) و العباس توهما: أن (لا نورث) ليست عامه).

ثم قال: (.. فإنه جاء فى خبر الدابه و الآله، و الحذاء: أنه روى عن النبى (صلى الله عليه و آله): (لا نورث، ما تركناه صدقه)، و لم يقل: (لا نورث كذا و كذا) و ذلك يقضى عموم انتفاء الإرث عن كل شىء (٢).

عاشرا: لقد قال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبى شيبه حدثنا محمد بن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبى الطفيل قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) أرسلت فاطمه إلى أبى بكر: أنت ورثت رسول الله أم أهله؟!.

فقال: لا بل أهله.

١- (١) راجع: مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٦٢ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٤ و ٢١٤ و

تلخيص الشافى ج ٣ ص ١٤٧ و فى هامشه أيضا عن: الرياض النضرة.

٢- (٢) شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢٢٤.

فقلت: فأين سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!

فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

(إن الله إذا أطعم نبيا طعمه، ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده).

فرايت أن أُرده على المسلمين. قالت: فأنت و ما سمعت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١).

فلاحظ: أن الخليفة يعترف بأن أهل النبي (صلى الله عليه وآله) يرثونه.

و ذلك يكذب دعوى: أن الأنبياء لا يورثون (٢). و لكنه عاد فادّعى أنه يعود إليه لأنه قام بعد الرسول.

و لعل قول فاطمه (عليها السلام) أخيرا: فأنت و ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ظاهر في أنها تشك في صحه الحديث، و أرجعت الأمر إلى الله سبحانه ليحكم في هذا الأمر.

و لنا أن نحتمل: أن السلطه قد سارت في موضوع إرث النبي (صلى الله عليه وآله) بخطوات تراتبيه تصعيديه، و ربما تكون هذه القضيه للزهراء (عليها السلام) مع أبي بكر من الخطوات في هذا الاتجاه، ثم تلاها غيرها إلى أن انتهوا إلى إنكار إرثها (عليها السلام) من الأساس.

حادى عشر: قد اعترض ابن طاووس على دعوى: أن عليا (عليه

١- (١) مسند أحمد ج ١ ص ٤ و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٩ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢١٨ و ٢١٩ و دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٤٤ عن كنز العمال ج ٣ ص ١٣٠ عن أحمد و ابن جرير، و البيهقى و غيرهم و راجع: سنن أبى داود ج ٣ ص ١٤٤.

٢- (٢) شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ٢١٩.

(السلام) قد غلب العباس على أرض بنى النضير، وقال: إن ذلك غير صحيح.

(لاستمرار يد علي (عليه السلام) و ولده علي صدقات نبيهم، و ترك منازعه بنى العباس لهم، مع أن العباس ما كان ضعيفا عن منازعه علي، و لا كان أولاد العباس ضعفاء عن المنازعه لأولاد علي في الصدقات المذكوره).

ثم ذكر (رحمه الله) روايتين عن قثم و عن عبد الله ابني عباس، يقرآن فيها: أن الحق في إرث رسول الله (صلى الله عليه و آله) لعلي (عليه السلام) (١).

و يجب أن لا ننسى مدى حرص الحكام على كسر شوكة علي (عليه السلام)، و إبطال قوله و قول أهل بيته (عليهم السلام)، سواء في ذلك أولئك الذين استولوا على تركه النبي (صلى الله عليه و آله)، أو الذين أتوا بعدهم من الأمويين أو العباسيين.

ثاني عشر: قال العلامة: (كيف يجوز لأبي بكر أن يقول: أنا ولي رسول الله، و كذا لعمر، مع أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) مات و قد جعلهما من جملة رعايا أسامه بن زيد) (٢).

و أجاب البعض: أن المراد بالولي: من تولى الخلافة، فإنه يصبح المتصرف في أمور رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعده، و تأمير أسامه عليهما لا يجعلهما من رعاياه، بل هم جميعا من رعايا النبي (صلى الله عليه و آله)

١- (١) راجع: الطرائف لابن طاووس ص ٢٨٤ و ٢٨٥.

٢- (٢) نهج الحق ص ٣٦٤ و راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٤.

و هو جواب لا يصح: فقد قال الشيخ محمد حسن المظفر (رحمه الله)، ما حاصله: إن الولي للشخص هو المتصرف في أموره؛ لسلطانه عليه و لو في الجملة، كالمتصرف في أمور الطفل و الغائب. و لا يصدق على الوكيل أنه ولي، مع أنه متصرف في أموره. فلا أقل من أن ذلك إساءة أدب معه (صلى الله عليه و آله) و لو سلم اعتبار السلطنة في معنى الولي فدعواهما أنها وليا رسول الله (صلى الله عليه و آله) غير صحيحه، لأن النبي (صلى الله عليه و آله) لم يستصلحهما حين وفاته إلا لأن يكونا في جملة رعايا أسامه، فكيف صلحا بعده للإمامه على الناس عامه و منهم أسامه؟

على أن إضافه الولي إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، من دون اعتبار السلطنة في معنى الولي، تقتضى ظاهرا: أن تكون الولايه مجعوله من النبي (صلى الله عليه و آله)، لأنها من إضافه الصفه إلى الفاعل، لا إلى المفعول، و ذلك باطل بالاتفاق، و إنكار إطلاق الرعيه على مثل تأمير أسامه في غير محله (٢).

ثالث عشر: قال العلامة الحلي ما حاصله: كيف استجاز عمر أن يعبر عن النبي (صلى الله عليه و آله) للعباس: تطلب ميراثك من ابن أخيك، مع أن الله تعالى يخاطبه بصفاته، مثل يا أيها الرسول، يا أيها النبي، و لم يذكره باسمه إلا في أربعة مواضع شهد له فيها بالرساله لضروره تخصيصه و تعيينه ..

١- (١) هذا كلام ابن روزبهان في كتابه المسمى: (إبطال نهج الباطل) فراجع دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٥.

٢- (٢) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٦.

و قد قال الله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً..(١).

ثم عبر عمر عن ابنته مع عظم شأنها و شرف منزلتها بقوله: يطلب ميراث امرأته (٢).

أضف إلى ذلك: أنه عبر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) باسم الإشارة، فقال: (هذا).

و أجاب البعض:

بأنه: (إنما عبر بذلك لبيان قسمه الميراث كيف يقسم أن لو كان هناك ميراث، لا أنه أراد الغض منهما بهذا الكلام)(٣).

و قال آخر: هذا القول من عمر قد جاء على طريق محاورات العرب، و هو يتضمن ذكر عله طلب الميراث، و هو كونه ابن أخيه، و ليس فيه إساءة أدب، و عمر لم يذكر النبي باسمه ..

و بالنسبة للزهراء، فإن الأولى ترك ذكر النساء بأسمائهن في محضر الرجال، فهو متأدب في ترك ذكر اسمها، لا مسيء للأدب بذلك (٤).

و لكنها أجوبه لا تصح: فقد قال العلامة المظفر (رحمه الله) تعالى، ما

١- (١) الآية ٦٣ من سورة النور.

٢- (٢) نهج الحق ص ٣٦٥ و راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٤ و راجع: ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦١١ و سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٥٧٢ و في هامشه عن الضعفاء للعقيلي ص ٢٦٥ و ٢٦٦.

٣- (٣) فتح الباري ج ٦ ص ١٤٤ و ١٤٥.

٤- (٤) هذا كلام الفضل بن روزهان، راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٥.

حاصله: إن محاورات العرب إذا اقتضت التوهين برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلا بد من تركها، فإنه لا يصح ترك أدب القرآن، والعمل بأداب الأعراب، و أهل الجاهلية ..

و بالنسبة إلى عله الميراث، فإنه لا حاجة إلى ذكرها، و ترك الأدب مع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله). فهل لم يكن على (عليه السلام) و العباس (رحمه الله) أو أحد من الحضور يعلم هذه العلة؟!.

هذا .. بالإضافة إلى أنه كان يمكنه ذكر عله الميراث، و مراعاة الأدب معه (صلى الله عليه وآله) في آن واحد.

و بالنسبة إلى أن عمر لم يذكر النبي (صلى الله عليه وآله) باسمه الشريف، فإن المقصود: أن تكريمه (صلى الله عليه وآله) مطلوب، و ليس في عبارته ذلك، و قد قال تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ...

كما أن تعبيره ب (امراته) ليس فيه عله الميراث التي هي بنوتها لرسول الله (صلى الله عليه وآله). و قد كان يمكنه احترام الزهراء (عليها السلام) بذكر بعض ألقابها. و عدم ذكر النساء بأسمائهن لا يحل المشكله، فقد كان يمكنه تجنب اسمها (عليها السلام)، و ذكرها ببعض ألقابها المادحة لها(١).

الانتصار لرسول الله صلى الله عليه وآله، أم لعمر الفاروق!؟

قال العقيلي: (سمعت على بن عبد الله بن المبارك الصنعاني يقول: كان

زيد بن المبارك لزم عبد الرزاق، فأكثر عنه، ثم خرق كتبه، و لزم محمد بن ثور، فقليل له فى ذلك، فقال: كنا عند عبد الرزاق، فحدثنا بحديث معمر، عن الزهرى، عن مالك بن أوس بن الحدثان الحديث الطويل؛ فلما قرأ قول عمر لعلى و العباس: (فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، و جاء هذا يطلب ميراث امرأته من أبيها).

قال عبد الرزاق: انظروا إلى الأنوك يقول: تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، و يطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ألا يقول: رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟!.

قال زيد بن المبارك: ففقت، فلم أعد إليه، و لا أروى عنه.

قال الذهبي: (لا اعتراض على الفاروق (رض) فيها، فإنه تكلم بلسان قسمه التركات)(١).

و قال: (إن عمر إنما كان فى مقام تبيين العمومه و البنوه، و إلا .. فعمر (رض) أعلم بحق المصطفى و بتوقيره (صلى الله عليه و آله) و تعظيمه من كل متحذلق متنطع.

بل الصواب أن نقول عنك: انظروا إلى هذا الأنوك الفاعل - عفا الله عنه - كيف يقول عن عمر هذا، و لا- يقول: قال أمير المؤمنين الفاروق)؟! (٢).

و نقول:

١- (١) راجع: الضعفاء الكبير ج ٣ ص ١١٠ و ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦١١ و سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٥٧٢ و فى هامشه عن الضعفاء للعقيلي ص ٢٦٥ و ٢٦٦ و دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٧.

٢- (٢) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٧٢.

- ١- إن بيان العمومه و البنوه ليس ضروريا هنا، و ذلك لوضوحهما لكل أحد.
- ٢- إن بيانهما و التكلم بلسان قسمه التركات لا يمنع من الإتيان بعبارته تفيد توكير رسول الله (صلى الله عليه و آله) و احترامه.
- ٣- إن التكلم بلسان قسمه التركات فى غير محله، لأن العباس لا يرث؛ لبطلان التعصيب ..
- ٤- إذا صح: أن النبى (صلى الله عليه و آله) لا يورث، فلا حاجة إلى التحدث بلسان قسمه التركات، لا سيما و أن المطلوب- حسب ما يدعون- هو قسمه النظر، كما تقدم، و تقدم بطلانه ..
- ٥- إن زيد بن المبارك لا يعود إلى عبد الرزاق، لأنه رآه ينتصر لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و ينتقد عمر على عدم توكيره للنبي (صلى الله عليه و آله). و هذا من ابن المبارك عجيب!! و عجيب جدا!!
- ٦- إن الذهبى، و غيره يغضبون لعمر، و يشتمون عبد الرزاق لتوهينه عمر، و لا يغضبون لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لا يقبلون حتى بانتقاد من يتصدى لإهانتة (صلى الله عليه و آله).
- ٧- إنهم يطلبون من عبد الرزاق أن يذكر عمر بألقابه، و لا يطلبون من عمر أن يذكر النبى بألقابه التى شرفه الله تعالى بها .. فإننا لله و إنا إليه راجعون، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يحسبهم الجاهل أغنياء:

و بعد .. فإن إلقاء نظره فاحصه على حياه فاطمه الزهراء (عليها

السلام)، تعطينا: أنها (صلوات الله و سلامه عليها)، لم تتغير حياتها- بعد فتح بنى النضير و خيبر، و ملكها فدكا و غيرها- عما كانت عليه قبل ذلك، رغم غلتها الكثيره و الوافره، فهى لم تعمر الدور، و لم تبني القصور، و لا- لبست الحرير و الديداج، و لا اقتنت النفائس، و لا احتفظت لنفسها بشىء .

و هكذا كانت حال زوجها على (عليه الصلاه و السلام) رغم توفر الأموال له.

بينما نجد: أن بعض أولئك الذين استفادوا من أموال بنى النضير و غيرها قد خلفوا من الذهب و الفضة ما يكسر بالفؤوس، و يكفى أن نذكر هنا:

١- أن الزبير بن العوام بنى داره المشهوره بالبصره، و فيها الأسواق، و التجارات، و بنى دورا فى الكوفه، و مصر، و الإسكندريه، و بلغ ثمن ماله خمسين ألف دينار، و ترك ألف فرس، و ألف مملوك، و خططا بمصر و الإسكندريه، و الكوفه و البصره(١).

و قالوا: كان للزبير خمسون مليوناً و مئتا ألف.

و قيل: بل مجموع ماله سبعة و خمسون مليوناً و ست مئة ألف (٢).

٢- أما عبد الرحمن بن عوف: فقد كان له ألف بعير، و عشره آلاف

١- (١) مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٣ و حديث الألف مملوك موجود أيضا فى: ربيع الأبرار ج ١ ص ٨٣٠ و راجع: حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٤٢ و حليه الأولياء ج ١ ص ٩٠ و جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٧ و راجع: البدايه و النهايه ج ٥ ص ٣٤٥ و راجع: التراتب الإداريه ج ٢ ص ٣٩٧-٤٠٤ و ٢٤-٢٩.

٢- (٢) راجع: حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٤٤ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ٢٤٩.

شاه، و مائه فرس، و صولحت إحدى نسائه على ربع ثمن ماله بأربعة و ثمانين ألف دينار(١).

و عن أم سلمه: أن عبد الرحمن بن عوف دخل عليها، فقال: يا أمه، قد خفت أن تهلكنى كثره مالى، و أنا أكثر قریش مالا الخ ..(٢).

و حينما مات ابن عوف جىء بتركته إلى مجلس عثمان؛ فحالت البدر بين عثمان و بين الرجل القائم فى الجبهه الأخرى. و فى هذه المناسبه ضرب أبو ذر كعب الأحبار بالعصا على رأسه فكانت النتيجة هى نفى أبى ذر(٣).

و بعد إخراج وصاياه كلها، فإنه قد ترك مالا جزيلا، من ذلك ذهب قطع بالفؤوس، حتى مجلت أيدى الرجال (٤).

٣- إن عمر بن الخطاب الذى استفاد هو الآخر من أموال بنى النضير و غيرها، كان أيضا يملك ثروه هائله فى أيام خلافته، بل هو يدعى: أنه كان فى مكه من أكثر قریش مالا كما ذكره ابن هشام، حين الحديث عن هجرته

١- (١) راجع: البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٦٤ و مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٤ و حديث ربع الثمن هذا موجود فى جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٦ و ١٧.

٢- (٢) كشف الأستار ج ٣ ص ١٧٢ و راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٢ و قال: رجاله رجال الصحيح.

٣- (٣) راجع: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٠ و مسند أحمد ج ١ ص ٦٣ و حليه الأولياء ج ١ ص ١٦٠.

٤- (٤) البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٦٤ و راجع فى مقدار تركته مآثر الإنافه ج ١ ص ٩٦ و هناك تفاصيل عجيبه ذكرها فى التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٩٧ حتى ص ٤٠٥ و ٢٤-٢٩.

هو و عياش بن أبي ربيعة، فقد أصدق إحدى زوجاته أربعين ألف دينار أو درهم (١).

وقيل: عشرة آلاف. و أعطى صهره له قدم عليه من مكه عشرة آلاف درهم من صلب ماله (٢).

كما أن: (ابنا لعمر باع ميراثه من ابن عمر (٣) بمائه ألف درهم) (٤).

و فى نص آخر: أن ثلث مال عمر كان أربعين ألفاً، أوصى بها. و إن كان الحسن البصرى قد استبعد ذلك، و احتمال أن يكون قد أوصى بأربعين ألفاً فأجازوها (٥).

لقد كان هذا فى وقت كان يعيش الناس فيه أقسى حياه تمر على إنسان، حتى إن بعضهم لم يكن يملك سوى رقعتين، يستر بإحدهما فرجه، و بالأخرى

١- (١) راجع: الفتوحات الإسلاميه ج ٢ ص ٥٥، و البحر الزخار ج ٤ ص ١٠٠ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٤٠٥.

٢- (٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢١٩ و الفتوحات الإسلاميه ج ٢ ص ٣٩٠، و حياه الصحابه ج ٢ ص ٢٥٦ عن ابن سعد، و عن كثر العمال ج ٢ ص ٣١٧، و عن ابن جرير، و ابن عساكر.

٣- (٣) لعل الصحيح: من عمر؛ و ذلك لأن المفروض: أن الوارث هو ابن عمر، فالمورث لا بد أن يكون هو عمر نفسه. و احتمال أن يكون المراد بابن عمر هو عبد الله، و يكون أحد أبناء عمر قد باع ميراثه من أبيه إلى أخيه عبد الله بمائه الف، هذا الاحتمال بعيد عن مساق الكلام و قد كان ينبغى إلفات النظر إلى ذلك مع العلم بأن هذا الاحتمال، لا يضر بما نريد أن نستفيده من هذا النص، و ذلك ظاهر.

٤- (٤) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٧.

٥- (٥) المصدر السابق.

فهؤلاء يجمعون الأموال، و يتنعمون بها، ثم يرثها عنهم أبناؤهم و زوجاتهم، ليكون لها نفس المصير أيضا.

و فى المقابل، فإن عليا أمير المؤمنين (عليه الصلاه و السلام)، الذى وقف على الحجاج مائه عين استنبطها فى ينبع (٢)،

يروى عنه: أن صدقات أمواله قد بلغت فى السنه أربعين ألف دينار(٣).

١- (١) المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ٣٦٧ و راجع: ص ٢٦٨ و السنن الكبرى ج ٧ ص ٢٠٩.

٢- (٢) أصول مالكيه ج ٢ ص ٧٩ عن المناقب ج ٢ ص ١٢٣ و راجع: البحار ج ٤١ ص ٣٢ و راجع حول ثورته (عليه السلام)

أيضا ج ٤١ ص ١٢٥ ففیه قصه طريفه حول هذا الموضوع و راجع: الوسائل ج ١٢ ص ٢٢٥.

٣- (٣) راجع: كشف المحججه ص ١٣٤ و البحار ج ٤١ ص ٢٦ و ٤٣ و أنساب الأشراف ج ٢ ص ١١٧ و منتخب كنز العمال

بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٥٦٠ و مسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ و ينابيع الموده ص ٣٧٢ عن فصل الخطاب لخواجه پارسا و أسد

الغابه ج ٤ ص ٢٣ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩٩ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و التراتيب الإداريه، ج ١ ص ٤٠٧ و

تهذيب الأسماء ج ١ ص ٣٤٦ و صيد الخاطر ص ٢٦ و ملحقات إحقاق الحق ج ٨ ص ٥٧٤ و مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٢

و ترجمه الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق، بتحقيق المحمودى ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٥١ و حليه الأولياء ج ١ ص ٨٦ و كنز

العمال ج ١٥ ص ١٥٩ عن أحمد و أبي نعيم و الدورقى، و الضياء فى المختاره، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٠٧. و الرياض النضره

ج ٤ ص ٢٠٨ و عن أرجح المطالب ص ١٦٦ و عن ربيع الأبرار و راجع: أصول مالكيه (فارسي) للأحمدى ج ٢ ص ٧٤.

و كانت صدقاته هذه كافيه لبني هاشم جميعا(١)، إن لم نقل إنها تكفى أمه كبيره من الناس من غيرهم، إذا لاحظنا أن ثلاثين درهما كانت كافيه لشراء جاريه للخدمه، كما قاله معاويه لعقيل. و كان الدرهم يكفى لشراء حاجات كثيره بسبب قله الأموال حينئذ، و لغير ذلك من أسباب ..

نعم .. إننا نجد عليا (عليه السلام) لم يلبس ثوبا جديدا، و لم يتخذ ضيعة، و لم يعقد على مال، إلا ما كان بينبع، و البغيغه، مما يتصدق به(٢).

كما أنه لم يترك حين وفاته سوى سبع مائه درهم أراد أن يشتري بها خادما لأهله(٣). و قد أمر برد هذه السبع مائه درهم إلى بيت المال بعد وفاته، كما ذكره الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته(٤) آتئذ، و عاش و مات، و ما بنى لبنيه علي لبنيه، و لا قصبه علي قصبه(٥).

و باع سيفه و قال: (لو كان عندي ثمن عشاء- أو إزار- ما بعته)(٦).

١- (١) كشف المحججه ص ١٢٤ و البحار ج ٤١ ص ٢٦.

٢- (٢) مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٥.

٣- (٣) البحار ج ٤٠ ص ٣٤٠ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ٤٦ و ينابيع الموده ص ٢٠٨ و الإمامه و السياسه ج ١ ص ١٦٢ و الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٤٦ و الإستيعاب بهامش الإصابه ج ٣ ص ٤٨ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٢٠٧.

٤- (٤) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٤٦.

٥- (٥) تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٣٤٦ و أسد الغابه ج ٤ ص ٢٤ و المناقب للخوارزمي ص ٧٠ و البدايه و النهايه ج ٨ ص ٥٥ و البحار ج ٤٠ ص ٣٢٢.

٦- (٦) كشف المحججه ص ١٢٤ و راجع: أصول مالكيته ج ٢ ص ٧٨-٩٨ عن مصادر كثيره و البحار ج ٤١ ص ٣٢٤.

و يقول عنه معاويه: (و الله، لو كان له بيتان، بيت تبن و بيت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه)(١).

و كان مصير تلك الأراضى و الأموال و الأملاك، أنه (عليه السلام) تصدق بها، و وقفها على المسلمين، و لم يبق منها شىء حين وفاته (صلوات الله و سلامه عليه)(٢)، كما هو صريح خطبه ولده السبط حين توفى والده.

و قد قال (عليه السلام): أنا الذى أهنت الدنيا(٣). و قد كان من أهم أسباب انصراف العرب عن على (عليه السلام) سيرته فى المال، حيث لم يكن يحابى أحدا فى هذا الأمر(٤).

و كذلك كان حال زوجته الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليها صلوات ربي و سلامه)؛ فإنها لم تزل تتصدق بغله فدك و غيرها، و تنفق الأموال فى سبيل الله سبحانه، لتعيش هى (عليها السلام) حياه الزهد، و العزوف عن الدنيا، و عن زبارجها و بهارجها.

و حتى هذه الموقوفات و الصدقات؛ فإنها لم تسلم من الظلم و الظالمين، فقد استولى الحكام عليها، و منعوا من استمرار إنفاقها فى سبيل الله، و من

١- (١) كشف اليقين فى فضائل أمير المؤمنين للحلى ص ٤٧٥ و كشف الغمه ج ٢ ص ٤٧ و ترجمه الإمام على من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى) ج ٣ ص ٥٨ و ٦٠.

٢- (٢) راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ١٥ ص ٤٦ و كشف المحجبه ص ١٢٦ و البحار ج ٤ ص ٣٤٠.

٣- (٣) ترجمه الإمام على (لابن عساكر) بتحقيق المحمودى ج ٣ ص ٢٠٢ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٣١٠ و البدايه و النهايه ج ٨ ص ٥.

٤- (٤) البحار ج ٤١ ص ١٣٣ عن المعتزلى فى شرح نهج البلاغه.

انتفاع الفقراء و المحتاجين بها، و لتصبح بأيدي خصماء أهل البيت من بنى أميه، الذين كانوا يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، على حد تعبير على (عليه السلام) فى خطبته الشقشقيه المذكوره فى نهج البلاغه.

الزهد .. الحريره:

و كلمه أخيره نود تسجيلها هنا، و هى: أن بعض الناس يرى فى الزهد معنى غير واقعى، و لا سليم.

فيرى: أن الزهد هو: أن يلبس الإنسان الخشن، و يأكل من فضول طعام الناس، و يتخلى عن كل شؤون الحياه، فلا يعمل، و لا يسعى، و لا يكد على عياله، و لا يملك شيئاً من حطام الدنيا .. و ذلك لأن عمله، و حصوله على المال إنما يعنى: أنه يحب الدنيا، و ليس ذلك من الزهد فى شىء.

و إذا كان لا مال لديه، فلا يكون مكلفاً بشىء، و لا يتحمل أيه مسؤوليه ماليه، لا تجاه نفسه، و لا تجاه غيره.

و نقول:

إن هذا الفهم للزهد، غير مقبول فى الإسلام، بل هو خطأ كبير و خطير، فإن الحصول على المال لا ينافى الزهد ما دام يضعه فى مواضعه التى يريدّها الله، فقد روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) قوله: نعم المال الصالح للرجل الصالح (١).

فالإسلام يقول: إنك إذا استطعت أن تحصل على المال لتوظفه فى قضاء

١- (١) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٦ و مسند أحمد ج ٤ ص ١٩٧ و ٢٠٢.

حاجات المؤمنين، و ليكون وسيله لإحياء الدين، و نشر تعاليمه، و يكون قوه على الأعداء، و سببا فى دفع البلاء، فإن ذلك لازم إن لم يكن واجبا شرعيا، يعاقب الله على تركه، و على عدم التقيد به ..

غايه الأمر: أنه يقول: لا يجوز أن يتحول هذا المال إلى إله يعبد، و إلى سيد يطاع، و إلى مالك لرقبه صاحبه، فإنه: (ليس الزهد أن لا تملك شيئا، ولكن الزهد أن لا يملكك شىء).

و التعبير عن الزهد بأنه حريه و انعتاق قد ورد عنهم (عليهم الصلاه و السلام) فلتراجع كتب الحديث و الروايه (١).

و هذا بالذات هو المنهج الذى سار عليه النبى (صلى الله عليه و آله) الذى ملك الفىء و الخمس و غير ذلك، و لكنه لم يصبح مملوكا لما ملكه .. و كذلك الحال بالنسبه إلى بضعته الصديقه الطاهره، و على أمير المؤمنين (عليه السلام)، و الأئمه الطاهرين من ولده صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ..

الزهد عليها السلام .. فى مواجهه التحدى:

إن مطالبه على (عليه السلام) بأموال بنى النضير، و مطالبه الزهراء (عليها السلام) بفدك، و بسهمها بخيبر، و بسهمها من الخمس، و يارثها أيضا من أيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) .. و إصرارها على تحدى السلطه فى إجراءاتها الظالمه ثم مغاضبتها للغاصبين حتى توفيت، حيث أوصت أن تدفن ليلا- إن ذلك كله- لا يمكن تفسيره على أنه رغبه فى حطام الدنيا، و حب

١- (١) راجع: ميزان الحكمه ج ٤ ص ٢٤٣ عن غرر الحكم.

للحصول على المال .. فإن حياتها و هي الصديقه الطاهره، و الزاهده، و الفانيه فى الله، حتى إنها كانت تقوم الليل حتى تورمت قدماها ..

و كذلك ما شاع و ذاع حول كيفيه تعاملها مع الأموال التى كانت تحصل عليها من فذك و غيرها، و كيف كانت تصرفها- إن ذلك- لخير دليل على ما نقول، و أوضح شاهد عليه.

و هذا بالذات هو ما يجعلنا نتساءل عن السر الكامن وراء تلك المطالبه، و ذلك الإصرار. و لعلنا نستطيع أن نفسر ذلك بما يلى:

١- إن نفس الانتصار للحق، و تأكيد، و رفض الباطل و إدانته أمر مهم و مطلوب و محبوب، و هو من القيم و المثل التى لا بد من الالتزام بها و التأكيد عليها، فى مختلف الظروف و الأحوال.

٢- إن فى موقف فاطمه الزهراء (عليها السلام) فى وقت لا يزال فيه الإسلام طرى العود، و يمكن أن يصبح فيه السكوت على الانحراف سببا فى قبول الناس له على أنه أمر لا- يتنافى مع أحكام الشرع و الدين- إن فى هذا الموقف- حفاظا على مبادئ الإسلام، و على قوانينه و أحكامه، و صيانته له عن الفهم الخاطئ و عن التحريف ..

٣- إن فاطمه (عليها السلام) بموقفها هذا قد أفهمت كل أحد: أنه لا بد من قول الحق، و إطلاق كلمه (لا) فى وجه الحاكم، و أنه ليس فى منأى عن الحساب و العتاب و العقاب، و أن الانحراف مرفوض من كل أحد حتى من الحاكم، و ليس هو فوق القانون، بل هو حام للقانون، و مدافع عنه، و أن سلطته و حكمه ليس امتيازاً له يصول به على الآخرين، و يستطيل به عليهم، و إنما هو مسؤوليه، لا بد أن يطالب هو قبل كل أحد بالقيام بها،

و بالالتزام بما يفرض الشرع عليه الالتزام به فى نطاقها ..

٤- إن الاعتراض حيث لا بد منه حتى على الحاكم، مهما كان قويا و عاتيا، هو مسؤوليه كل أحد حتى النساء بالمقدار الذى يمكن، و لا يختص ذلك بالرجال.

٥- إن التصدى للمطالبه بالحق و تسجيل الموقف، لا يجب أن ينحصر فى صورته العلم بإمكان الحصول على ذلك الحق، أو احتمال ذلك. بل إن ذلك قد يجب حتى مع العلم بعدم إمكان الحصول على شىء. فإن فاطمه (عليها السلام) كانت تعلم بأن مطالبتها لن تجدى شيئا فى إرجاع ما اغتصب منها إليها، و لكنها مع ذلك قد سجلت موقفا حاسما و أدانت الانحراف، و تصدت له، و ماتت و هى مهاجرة و غاضبه على أولئك الذين أخذوا حقها، و استأثروا به دونها.

و حتى حين طلب منها أمير المؤمنين أن تستقبلهما، فإنها لم تجب بالقبول، بل قالت له (عليه السلام): البيت بيتك، و الحره زوجتك، افعل ما تشاء.

فدخلت عليها، و حاولت استرضاءها و بكيا لديها، و لكنها فضحت خطتهما، و أوضحت لهما، من خلال حملها إياهما على الإقرار بأنهما قد أغضباهما، و بأن الله يغضب لغضبها، و يرضى لرضاها- أوضحت لهما: أنها لا تزال غاضبه ساخطه عليهما(١)، لا سيما و أنهما ما زالا يصران على غضبها

١- (١) البحار ج ٤٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ و كتاب سليم بن قيس ص ٢١١ و ٢١٢ و راجع: كنز العمال ج ٥ ص ٣٥١ و ٣٥٢ و الغدير ج ٧ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ و الإمامه و السياسه ج ١ ص ١٤ و أعلام النساء ج ٤ ص ١٢٤ و عن رسائل الجاحظ ص ٣٠٠.

حقها، و منعها إرثها، و سائر أموالها.

و ذلك لأنها عرفت أن بكاءهما و خضوعهما لها إنما يرمى إلى التأثير عليها عاطفياً، من دون تقديم أى تراجع عن موقفهما السابق، أو تقديم أى اعتذار مقبول عنه.

و معنى ذلك هو: أنهما قد أرادا من وراء استرضائهما إياها (عليها السلام)، هو أن يصبح بإمكانهما دعوى: أن فاطمه قد رضيت، و طابت نفسها، بل و أقرتهما على ما فعلاه و سلمت لهما بما ادعياه.

و لكن وصيتها بأن تدفن ليلاً، ثم تنفيذ هذه الوصيه من قبل أمير المؤمنين على (عليه السلام) قد فوت الفرصه على كل دعوى، و سد السبيل أمام أى تزوير.

فلم يبق أمام أولئك الذين يقدسون هؤلاء الغاصبين و يؤيدونهم إلا الإعلان بالخلاف، و الإصرار على الباطل. بل إن بعضهم لم يستطع إخفاء ما يجنه من حقد و ضغينه، فجاهر بالظعن، و الانتقاص، و النيل من مقامها، و حاول- ما أمكنه- تصغير عظيم منزلتها ..

فأنكر بعضهم كونها واجبه العصمه(١) لأجل ذلك، رغم أن الكتاب العزيز قد نص على طهارتها، و على أنها بريئه من أى رجس أو رين .. كما أن الحديث المتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) حول أن الله يغضب لغضبها(٢) يدل على عصمتها كذلك.

١- (١) راجع: البدايه و النهايه ج ٥ ص ٢٨٩ و راجع: ج ٤ ص ٢٠٣.

٢- (٢) تقدمت مصادر كثيره لهذا النص فى الجزء الخامس من هذا الكتاب، فى فصل: -- سرايا و غزوات قبل بدر، حين الحديث حول تكتيه على أبى تراب، و الافتراء عليه بإغضابه لفاطمه (عليها السلام).

لماذا لم يسترجع على عليه السلام ما اغتصب؟!

و أما لماذا لم يسترجع على (عليه الصلاة والسلام) فدكا وغيرها مما اغتصب منهم (عليهم السلام)، مع أنه كان قادرا على ذلك أيام خلافته ..

فقد ذكرت الروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) الأسباب التالية:

١- إن الظالم والمظلوم كانا قد قدما على الله عز وجل، و أثاب الله المظلوم، و عاقب الظالم؛ فكره أن يسترجع شيئا قد عاقب الله عليه غاصبه، و أثاب عليه المغصوب (عن الإمام الصادق (عليه السلام))^(١).

٢- للاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله) لما فتح مكة و قد باع عقيل بن أبي طالب داره؛ فقبل له: يا رسول الله، ألا ترجع إلى دارك؟ ..

فقال (صلى الله عليه وآله): و هل ترك عقيل لنا دارا، إنا أهل بيت لا نسترجع شيئا يؤخذ منا ظلما؛ فلذلك لم يسترجع فدكا لما ولى (عن الإمام الصادق (عليه السلام))^(٢).

٣- لأننا أهل بيت لا- نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو (يعنى: إلا الله)، و نحن أولياء المؤمنين، إنما نحكم لهم، و نأخذ حقوقهم ممن ظلمهم، و لا نأخذ لأنفسنا (عن الإمام الكاظم (عليه السلام))^(٣).

١- (١) الطوائف: ص ٢٥١ و علل الشرائع ص ١٥٤ و ١٥٥.

٢- (٢) الطوائف: ص ٢٥١ و علل الشرائع ص ١٥٥ و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٧٠.

٣- (٣) الطوائف: ص ٢٥١ و ٢٥٢ و علل الشرائع ص ١٥٥.

الباب السادس حتى الخندق

الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

الفصل الثاني: حدث و تشريع

الفصل الثالث: عظات و كرامات أو سياسات إلهيه

الفصل الرابع: بدر الموعد

الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

(١)

الباب السادس حتى الخندق

اشاره

الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

الفصل الثاني: حدث و تشريع

الفصل الثالث: عظات و كرامات أو سياسات إلهيه

الفصل الرابع: بدر الموعد

١- عاملی، جعفر مرتضی، الصحیح من سیره النبی الأعظم (ط جدید)، ٣٥ جلد، دار الحدیث - قم، چاپ: اول، ١٤٢٦ ه.ق.

ص: ٣١٢

الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث

اشاره

بدایه:

قد انضح من كل ما ذكرناه فى كتابنا هذا: أن جل إن لم يكن كل ما يذكره المؤرخون و المحدثون من نصوص و آثار يحتاج إلى تمحيص و تحقيق وفق المعايير الصحيحه التى تستطيع أن تقرب إلى ما هو الواقع و الصحيح.

و ليست النصوص التى نقلت لنا أحداث غزوه ذات الرقاع مستثناه من هذه الظاهره. و لأجل ذلك، فنحن نورد منها بعض نصوصها، ثم نختار بعضه لنركز الأضواء عليه، بهدف إعطاء صورته متقاربه الملامح عن الواقع و الحقيقه، حسبما يتيسر لنا فى هذا الظرف، فنقول:

الرصد الدقيق:

إن من الأمور الواضحه: أن ليقظه القائد الفذ، و تنبهه للأمور، و رصدها بدقه و وعى، ثم قدرته على استشفاف المستقبل و استشرافه، دورا كبيرا فى إحكام الأمور، و فى ترسيخ قواعد الحكم و الحاكميه، ثم فى إبعاد الأخطار عن المجتمع الذى يراعاه، و حسن تدبير شؤونه؛ و سلامه التحرك فى نطاق تصريف الأمور على النحو الأفضل و الأمثل.

و على هذا الأساس نستطيع أن نتفهم بعمق ما نشهده من مبادرات متكرره للرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) لضرب أى تجمع أو تحرك

ضد المسلمين، قبل أن يشدد عوده، و لا يعطيه أية فرصة ليتماسك، و يقوى؛ و يستفحل أمره.

و ذلك لأن الانتظار إلى أن تحتشد جموع الأعداء معناه أن يواجه المسلمون صعوبات كبيرة و ربما خطيره للتخلص من شرهم، و تفويت الفرصة عليهم.

و هذا ما يفسر لنا ما نجده من رصد دقيق من قبل المسلمين لكل القوى المعادية التي كانت معنيه بالوجود الإسلامى فى بلاد الحجاز ..

ثم نعرف سر السرعة التي كان يظهرها المسلمون فى رده الفعل، و المبادرة إلى حسم الموقف بقوه و حزم، بمجرد تلقيهم أى نبأ يشير إلى وجود حشود، أو استعدادات أو حتى تأمر و تخطيط يستهدفهم.

فيبادرون إلى إرسال السرايا، و تنظيم الغزوات ضد أعدائهم من مجرمين و متآمرين، ثم تكون النتيجة فى أغلب الأحيان هى فرار القوى المعادية، و تفرقهم قبل الأشتباك معهم، أو إثر مناوشات يسيره، تكون الخسائر فيها معدومه أو تكاد، بل و اتفق أن ظفر المسلمون بجميع أعدائهم فقتل من قتل منهم، و أسر الباقون ..

نتائج و آثار:

و قد نتج عن ذلك:

١- إن أولئك الأعراب الجفاه، الذين مردوا على شن الغارات، و قطع الطرق، قد أصبحوا يعيشون حالة الرعب و الخوف من المسلمين إلى درجة كبيرة. و كانوا إذا تناهى إليهم ما يشير إلى تحرك المسلمين باتجاههم، فإنهم لا

يجرؤون على الظهور بمظهر التحدى، و لا يتخذون قرارا بالهجوم، أو التصدى للدفاع، و إنما يقررون الفرار إلى رؤوس الجبال، و التمتع فيها، أو التخفى فى أى من المسارب و المهاب، حتى و لو أدى ذلك إلى استيلاء المسلمين على أموالهم، و مواشيهم، و حتى على نسائهم و أولادهم أحيانا.

٢- أضف إلى ذلك: أن ذلك قد هيا الجو للنبي (صلى الله عليه و آله) ليعقد تحالفات كثيره مع كثير من القبائل فى ذلك المحيط. و قد نتج عن ذلك، و عن الجهد الذى بذله (صلى الله عليه و آله) لرد كيد أعدائهم و إفشال مخططاتهم، بواسطه ما أرسله من سرايا و غزوات. أن تأكدت قوه المسلمين، و ظهرت شوكتهم، و عرف الناس كلهم مدى تصميمهم على تحقيق أهدافهم، و مواصله طريقهم الرامى إلى نشر هذا الدين، و الدفاع عنه، و بذل كل غال و نفيس فى سبيله.

و قد كان من الطبيعى أن ينزعج المكيون لذلك، و أن يضايقهم، و يفقدهم كثيرا من الامتيازات السياسيه و العسكريه و غيرها. كما أنه يحد إلى حد بعيد من حريتهم فى التحرك لعقد تحالفات واسع و مؤثره ضد المسلمين، ما دام أن الكثيرين من سكان المنطقه لن يجرؤوا على عمل من هذا القبيل بسبب هزيمتهم النفسيه حسبما تقدم.

٣- كما أن ذلك قد هيا للمسلمين أجواء و مناخات مريحه إلى حد ما استطاعوا فيها مضاعفه نشاطهم الإعلامى، و كان ذلك سببا فى انتشار دعوتهم، و بعد صيتها، حتى أصبحت الحديث اليومى للصغير و الكبير فى مختلف البلاد، و العباد. و ترسخت هذه الدعوه و امتدت جذورها باطراد، و اطمأن كثير من الناس إليها، و عولوا عليها. و تلمسوا فيها كل المعانى

الخيره و النبيله، الموافقه لما تحكم به عقولهم، و تقضى به فطرتهم. و قد ساعد على ذلك ما ظهر لهم من قوه المسلمين، بعد أن بسطوا هيبتهم على المنطقه بأسرها.

غزوه ذات الرقاع:

يذكر المؤرخون: أن قادمًا قدم المدينة بجلب له، فأخبر أن أنمارا، و ثعلبه، و غطفان قد جمعوا جموعا بقصد غزو المسلمين. فلما بلغ النبي (صلى الله عليه و آله) ذلك استخلف على المدينة عثمان بن عفان، أو أبا ذر الغفاري، و خرج ليله السبت لعشر خلون من المحرم فى أربع مئه رجل. (و قيل: فى سبع مئه (١) و قيل فى ثمان مئه (٢))، حتى أتى وادى الشقره. فأقام بها يوما، و بث السرايا، فرجعوا إليه مع الليل؛ و أخبروه: أنهم لم يروا أحدا.

ثم سار (صلى الله عليه و آله) بأصحابه حتى أتى محالهم؛ فلما عاينوا عسكره، و لوا عن المسلمين، و كرهوا لقاءهم، فتسنىموا الجبل، و تعلقوا فى ٤.

١- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠١ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٢٧١.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤.

قلته، و لحق بعضهم ببطون الأوديه.

و لم يبق إلا نسوه، فجاء (صلى الله عليه و آله)، فأخذهن، و فيهن جاريه و ضيئه.

و لم يكن قتال (١).

ثم قفل (صلى الله عليه و آله) نحو المدينه، و بعث جعال بن سراقه إلى المدينه مبشرا بسلامته، و سلامه المسلمين (٢).

و قدم (صلى الله عليه و آله) صرارا يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم.

و صرار موضع على ثلاثه أميال من المدينه، و هى بئر جاهليه على طريق).

١- راجع تفصيل غزوه ذات الرقاع أو إجماله فى المصادر التاليه: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و السيره النبويه لزينى دحلان ج ١ ص ٢٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و سيره مغلطى ص ٥٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٢٧١ و حياه محمد لهيكل ص ٢٨١ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و الوفاء ص ٦٩١ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و الثقات ج ١ ص ٢٥٧ و ٢٥٨ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و ٢١٥ و المغازى للذهبي ص ٢٠١ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ و ١٦١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٥٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و ١٠٧.

٢- راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ قال: (و هو الذى تمثل به إبليس لعنه الله يوم أحد، حين نادى: إن محمدا قد قتل).

و كانت هذه الغزوه بأرض غطفان من نجد.

و كانت غيبته (صلى الله عليه و آله) فى تلك الغزوه خمس عشره ليله (٢).

نقاط لا بد من بحثها:

أما النقاط التى لا بد من بحثها فى هذا الفصل، فهى التاليه:

- ١- سبب تسميه هذه الغزوه بذات الرقاع.
- ٢- تاريخ هذه الغزوه، و لسوف نثبت: أن الصحيح هو أنها قد كانت بعد غزوه الحديبيه.
- ٣- ثم نشير بعد ذلك إلى ما يحاول أن يدعيه البعض من أن غزوه ذات الرقاع لم تكن واحده بل هناك غزوتان كل منهما تحمل هذا الاسم.
- ٤- و بعد ذلك يأتى كلام حول أن النبى (صلى الله عليه و آله) حينما خرج إلى ذات الرقاع قد جعل أبا ذر واليا على المدينه.
- ٥- ثم نذكر قصه يقال: إنها جرت لعباد بن بشر و عمار بن ياسر، حينما ١.

-
- ١- راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٥ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٢ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧١.
 - ٢- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و سيره مغلطاي ص ٥٤. و التنبيه و الأشراف ص ٢١٤ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٢ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٥ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١.

كانا يحرسان المسلمين فى موضع نزلوه و هم راجعون. مع تعليق تحليلى على الحدث.

٦- و لا ننسى أن نذكر قصه غورث بن الحارث، و شكوكنا حولها و مبررات هذه الشكوك، ثم نورد القصة الأقرب إلى القبول فى هذا المجال، مع تعليق تحليلى حولها.

و نرجى الحديث عن بقية النقاط المرتبطة بهذه الغزوه إلى فصل لاحق.

فنحن وفقا لهذا الذى ذكرناه نقول:

التسميه بذات الرقاع:

قد اختلفت كلمات المؤرخين فى سبب تسميه هذه الغزوه بذات الرقاع.

و نحن نجمل الأقوال فى ذلك على النحو التالى:

١- سميت بذات الرقاع: لأنه لم يكن فى تلك الغزوه ما يكفى لركوبهم فى سيرهم إليها، فنقبت أقدامهم من الحفاء، فلفوا عليها الخرق، و هى الرقاع، كما فى البخارى و غيره.

٢- سميت بذلك لأن المسلمين رقعوا راياتهم فيها.

٣- أو لأن الصلاة قد رقت فيها، لوقوع صلاة الخوف فيها، قاله الداودى.

٤- أو لأجل شجره كانت هناك يقال لها ذات الرقاع.

٥- أو لأجل جبل هناك اسمه الرقاع؛ لأن فيه بياضا، و سوادا، و حمرة، و يقع قريبا من النخيل، بين السعد و الشقره.

٦- أو لأجل أن الخيل كان فيها سواد و بياض، كما قاله ابن حبان، مع

احتمال أن يكون ابن حبان قد صحف كلمه (جبل) فقرأها (خيل) كما ذكره البعض (١).

٧- أو لأجل كل الأمور السابقه (٢).

و تحقيق ذلك ليس بذى أهميه، و إن كنا نستبعد بعض ما ذكر كالقول الثالث لما سيأتى من أن صلاه الخوف قد صليت فى غزوات أخرى قبل أو بعد هذه الغزوه، فلا وجه لاختصاص هذه الغزوه بهذه التسميه لأجل ذلك.

كما و نستبعد القول الثانى أيضا بالإضافه إلى أقوال أخرى. و تسمى هذه ٦.

١- راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

٢- راجع هذه الأقوال أو بعضها فى المصادر التاليه: سيره مغلطاي ص ٥٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٠ و ٢٠١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٣، و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٥. و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٢ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٢ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٨ و شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٢ ص ١٩٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧١ و ٣٧٢. و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١، و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و ٢٩ و الوفا ص ٦٩١ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٣٤ و الثقات ج ١ ص ٢٥٨ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و إعلام الورى ص ٨٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٦.

الغزوه أيضا ب (غزوه الأعاجيب) لما وقع فيها من أمور عجيبه. و تسمى أيضا ب (غزوه محارب) و (غزوه بنى ثعلبه) و (غزوه بنى أنمار) (١).

تاريخ هذه الغزوه:

و قد اختلفوا فى تاريخ غزوه ذات الرقاع.

فقال فريق: هى بعد غزوه بنى النضير فى السنه الرابعه: فى شهر ربيع الآخر، و بعض جمادى الأولى (٢).

و حسب قول البعض: إنها بعد غزوه بنى النضير بشهرين و عشرين يوما (٣).

و قال القيروانى: خرج لخمس من جمادى الأولى، و انصرف يوم الأربعاء لثمان بقين منه (٤). ٩.

١- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ ..

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦٠ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٠ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٨ و كتاب الجامع ص ٢٧٩ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢١.

٣- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ عن خلاصه الوفاء و إعلام الورى ص ٨٩ و البحار ج ٢٠ ص ١٧٦ و ١٧٨ و ١٧٧ عن ابن الأثير فى الكامل و عن المناقب، و عن إعلام الورى.

٤- الجامع ص ٢٧٩.

وقال آخرون: إنها كانت في شهر محرم (١).

وقيل: كانت بعد غزوه بدر الصغرى (٢).

و تردد ابن عقبة في كونها قبل بدر أو بعدها، أو قبل غزوه أحد أو بعدها (٣).

وقيل: كانت في سنة خمس (٤).

وجعلها أبو معشر في سنتين حينما قال: إنها كانت بعد بني قريظة في ذي القعدة، سنة خمس، فتكون ذات الرقاع في آخر هذه السنة، و أول التي تليها (٥).٦.

١- راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ٩ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و شذرات الذهب ج ١ ص ١١ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و راجع: زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٠ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٩٥ و نهایه الإرب ج ١٧ ص ١٥٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ عن ابن سعد، و ابن حبان و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٢٧٠ و فتح الباری ج ٧ ص ٣٣٢.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٣ و ٤٦٤ و سيره مغلطاي ص ٥٤.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ عن المواهب اللدنيه و فتح الباری ج ٧ ص ٣٢١.

٤- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ عن ابن سعد، و ابن حبان و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ عنهما و عن أبي معشر، و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٣٤ و الجامع للقيرواني ص ٢٨١ و ٢٧٩ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و راجع: شذرات الذهب ج ١ ص ١١ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و الثقات ج ١ ص ٢٥٧ و ٢٥٩ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٩.

٥- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

و قال بعضهم: إنها كانت بعد خيبر سنة سبع (١). و هو ما ذهب إليه البخارى، و هو ما نذهب إليه أيضا.

و قال الغزالي: إن غزوه ذات الرقاع آخر الغزوات، قالوا: (و هو غلط واضح، و قد بالغ ابن الصلاح فى إنكاره) و قد ذكر ذلك زينى دحلان فراجع (٢).

الصحيح و المعقول:

و بعد ما تقدم نقول: إن تشريع صلاه الخوف، و نزول الآيه قد كان فى الحديبيه، ثم بعد ذلك كانت غزوه ذات الرقاع فصلى النبى فيها صلاه الخوف أيضا.

و مستندنا فى ذلك ما يلى:

١- سيأتى فى هذا الفصل: أن صلاه الخوف قد شرعت فى غزوه الحديبيه (٣).

و أن الصدوق يروى فى الفقيه بسند صحيح: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد صلى بأصحابه صلاه الخوف فى غزوه ذات الرقاع (٤). فتكون ١.

١- راجع: صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ عن فتح البارى و البخارى و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ عن البخارى و عن الشمس الشامى، و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و ١٠٩ و غير ذلك.

٢- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٧ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

٣- البرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١.

٤- من لا يحضره الفقيه (ط مؤسسه النشر الإسلامى) ج ١ ص ٢٦٠ رقم الحديث ١٣٣٤ و تفسير البرهان ج ١ ص ٤١١.

متأخره عن الحديبيه.

٢- روى أحمد عن جابر قال: (غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ست غزوات قبل صلاه الخوف، و كانت صلاه الخوف فى السنه السابعه) (١).

و من المعلوم: أن صلاه الخوف قد صليت فى غزوه ذات الرقاع، فتكون هذه الغزوه فى السنه السابعه بعدها.

لكن عباره البخارى هكذا: (عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: إن النبى (صلى الله عليه وآله) صلى بأصحابه فى الخوف فى غزوه السابعه، غزوه ذات الرقاع) (٢).

فإن كان المراد: الغزوه السابعه التى حضرها رسول الله (صلى الله عليه وآله) و لم يكن فيها جميعها قتال، كانت هذه الغزوه قبل أحد، و هو غير مقبول، للاتفاق على أن ذات الرقاع لم تكن قبل أحد، و إن كان موسى بن عقبه قد تردد فى ذلك. لكن تردده فى ذلك لا معنى له، للاتفاق على تأخر صلاه الخوف عن هذا التاريخ، بالإضافة إلى الأدله التى تقدمت و ستأتى.

و إن كان المراد: الغزوه السابعه من الغزوات التى حضرها الرسول، مما كان فيه قتال، فإنها تكون و الحال هذه بعد خيبر، و هو المطلوب.

و إن كان المراد: السنه السابعه، فهو المطلوب أيضا، و يؤيد إرادته هذا الأخير روايه مسند أحمد المتقدمه (٣). ٤.

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٤ و مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤٨.

٢- صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و راجع البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣.

٣- فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

و نحن نرجح هذا الشق الأخير، لما ذكرناه و ما سيأتي.

و أما الاحتمال الثاني، فيرد عليه: أن غزوه ذات الرقاع لم يقع فيها قتال؛ فما معنى جعلها سابعه للغزوات التي وقع فيها قتال.

و الأنسب بالعباره المنقول، هو إرادته السنه السابعه، و ذلك بملاحظه عدم وجود لام التعريف فى المضاف، حيث قال: (غزوه السابعه) و لم يقل:

(الغزوه السابعه).

و ادعى العسقلانى: أنه لو كان المحذوف هو كلمه سنه لم يحتج البخارى إلى الاستدلال على تأخرها بروايه أبى موسى و غيره.

و لعل المراد: غزوه السفره السابعه.

و نقول:

إن نسبه الغزوه إلى السفره مما لا يحسن هنا، و نسبتها إلى السنه أنسب و أوضح فى التقدير لا سيما مع روايه أحمد المتقدمه، فكلام العسقلانى فى غير محله.

و لكن يبقى هنا سؤال، و هو: لماذا يعبر فى الروايه عن ذات الرقاع بأنها (غزوه السابعه) مع أن ثمه ما هو أهم منها قد وقع فى سنه سبع مثل غزوه خيبر؟!.

إلا أن يجاب عن ذلك: بأن ما وقع فيها من أعاجيب و قضايا قد جعلت لها أهميه خاصه بالنسبه لغيرها من الغزوات. لا سيما و أن غيرها قد عرف باسمه الخاص به، و شاع و ذاع أمره بذلك الاسم بالذات. أما بالنسبه لذات الرقاع، فلم يكن الأمر كذلك.

أو فقل: إن من الممكن أن تكون غزوه ذات الرقاع قد حصلت قبل

سائر غزوات سنه سبع، فأطلق عليها اسم غزوه السابعه، ثم جاءت سائر الغزوات، فأطلقوا عليها أسماءها الخاصه بها بعد ذلك، فلم يوجب ذلك تغييرا فى اسم هذه الغزوه.

أو فقل: لم يوجب ذلك خلافا فى فهم المراد من هذه العبارة حين إطلاقها.

٣- ما احتج به البخارى من أن أبا موسى الأشعري ذكر أنه قد حضر غزوه ذات الرقاع، فقال: (خرجنا مع النبي (صلى الله عليه و آله) فى غزاه، ونحن فى سته نفر، بيننا بغير نعتبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدمائى، وسقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوه ذات الرقاع) (١).

و أبو موسى إنما جاء من الحبشه بعد خيبر، فتكون ذات الرقاع بعد خيبر أيضا.

١- صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢١ و راجع ص ٣٢٢ و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٢ و ٣٦٩ و بهجه المحافظ ج ١ ص ٢٣٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٥٧. و راجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٠ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٣ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و السيره النبويه لزينى دحلان ج ١ ص ٢٦٤ و صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٠٠ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١. لكنه جعل الحديث مؤيدا لا-دليلا- و لعله تخيل وجود احتمال أن يكون أبو موسى لا يتحدث عن حضوره هو، بل ينقل ذلك عن بعض الصحابه، مع أن الروايه صريحه بأنه قد نقبت قدماءه، و سقطت أظفاره.

مؤيدات:

١- و يؤيد ذلك: أن عددا من المؤرخين يقول: إن النبي (صلى الله عليه و آله) قد استخلف أبا ذر الغفارى على المدينه حين غزا ذات الرقاع، و أبو ذر إنما قدم المدينه بعد أن مضت بدر، و أحد، و الخندق.

و سيأتى توضيح ذلك مع ذكر المصادر إن شاء الله تعالى حين الحديث عن الذى ولاه النبي (صلى الله عليه و آله) المدينه فى هذه الغزاه.

٢- و يؤيد ذلك أيضا: ما روى عن ابن عمر الذى أجازاه النبي بالخروج إلى الغزو فى وقعه الخندق أنه قال: غزوت مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) قبل نجد، فذكر صلاه الخوف (١).

٣- و يؤيد ذلك أيضا، قول أبى هريره: (صليت مع النبي (صلى الله عليه و آله) فى غزوه نجد صلاه الخوف)، و إنما جاء أبو هريره إلى النبي (صلى الله عليه و آله) أيام خيبر (٢).

لما ذا مؤيدات!؟

ألف: إنما جعلنا توليه أبى ذر على المدينه مؤيدا لا دليلا، لأنه سيأتى: أنهه.

١- راجع: المصادر التاليه: صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و ج ١ ص ١١٠ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٣ و ٣٢١ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٦٩ و راجع ص ٣٧٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و استدل به. و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦ و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٤.

٢- راجع المصادر المتقدمه.

قد حضر إلى المدينة حينما أسلم سلمان، بسبب ما رآه من علامات النبوه في الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد شهد على كتاب عتق سلمان. كما أن ذلك لا يدل إلا على تأخر غزوه ذات الرقاع عن الخندق، ولا يدل على كونها في السنه السابعه، أو غيرها.

ب: بالنسبه لروايه ابن عمر نقول: إنها لا تدل إلا على أن ذات الرقاع قد كانت بعد الخندق، ولا تدل على أكثر من ذلك.

أضف إلى ذلك: أنه لم ينص على اسم الغزوه، بل ذكر أن ذلك قد حصل في غزوه نجد، فلعل هناك غزوات أخرى قد كانت قبل نجد، وقد صلى فيها النبي (صلى الله عليه وآله) صلاة الخوف أيضا.

إلا أن يقال: إن غزوه نجد المعهوده في كلماتهم منحصره بذات الرقاع.

ج: وروايه أبي هريره، يرد عليها نفس ما يرد على روايه ابن عمر.

كلام الدمياطي:

وقد اتضح من جميع ما تقدم: أنه لا يصغى لقول الدمياطي: إن ما ورد عن أبي موسى في حضوره غزوه ذات الرقاع غلط، لأن جميع أهل السير على خلافه (١).

وذلك لأن كلام أهل السير لا عبره به إذا قام الدليل على خطئهم فيه، وقد ثبت عن أهل البيت، وكذلك سائر ما قدمناه من أدله: أن ذات الرقاع قد كانت في الحديبيه، فلا مجال للشك في ذلك، أو التشكيك فيه. ٦.

١- فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٢ وراجع: المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.

دليل الرأي الآخر:

و بعد ما تقدم نقول:

قد يقال: إن الراجح هو أن تكون غزوه ذات الرقاع قبل الخندق.

و مستند ترجيح ذلك ما يلي:

١- ما روى من أن جابرا قد دعا النبي (صلى الله عليه و آله) يوم الخندق إلى طعام في بيته، صنعته زوجته لهم في قصه مفصله ظهرت فيها كرامه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) في ذلك الطعام (١).

و في غزوه ذات الرقاع لم يكن النبي (صلى الله عليه و آله) يعلم شيئاً عن تزوج جابر بأى من النساء منذ استشهاد أبوه في أحد، حيث سأله، إن كان قد تزوج أم لاء، ثم لما أجابه بالإيجاب، عاد فسأله، إن كانت التي تزوجها بكراً أو ثيباً في محاوره جرت بينهما ستأتى إن شاء الله.

و قد صرح له فيها: بأنه إنما اختارها ثيباً لأجل أن أباه مات و ترك له أخوات يحتجن إلى من يجمعهن و يمشطهن، و يقوم عليهن (٢).

و نقول:

إن هذا النص لا يكفي لمعارضه الأدله المتقدمه، و ذلك لإمكان المناقشه ٨.

١- صحيح البخارى ج ٣ ص ٢١ و ستأتى سائر المصادر فى غزوه الخندق إن شاء الله.

٢- راجع هذه المحاوره فى: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٧ و ٢١٨ و صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٦ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٨ و راجع: صحيح البخارى ج ٢ ص ٨ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨١ و ٣٨٣ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٩-٤٠١ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦١ و ١٦٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٦ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٦ و ٨٧ و الثقات ج ١ ص ٢٥٨.

فى دلالتة على المطلوب من حيث أنه يمكن أن يكون جابر قد انفصل عن زوجته الأولى بموت لها أو طلاق، أو تكون قد أصبحت لسبب أو لآخر عاجزه عن القيام بمسؤولياتها تجاه أخواته، و كان (صلى الله عليه و آله) يعلم بذلك، و يعلم أن جابرا قد كان بصدد الزواج من جديد، فجرت المحاوره بينه و بين جابر على النحو المذكور، و كان اعتذار جابر عن اختيار الثيب هو ذلك، و لا يجب أن يكون (صلى الله عليه و آله) عارفا بما تركه أبو جابر من بنات، أو كان (صلى الله عليه و آله) عارفا، و لا يمنع ذلك جابرا من جعل ذلك هو العذر لاختياره الثيب للزواج.

غزوتان أم غزوه واحده:

قد أشار البيهقى إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين، إحداهما قبل خيبر، و الأخرى بعدها (١).

و قال الذهبى: (و الظاهر أنهما غزوتان) (٢).

و نقول:

إن منشأ هذا الاحتمال هو روايه أبى موسى الأشعري السابقه، و قد تقدم:

أن أبا موسى قال: (و نحن فى سته نفر بيننا بعير) و هذا يقرب أن يكون أبو .

-
- ١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢١ و ٣٣١ و راجع: السيره الحليه ج ٢ ص ٢٧١ و راجع ص ٢٧٠ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و راجع: زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٦.
 - ٢- تاريخ الإسلام (المغازى) ص ٢٠١ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠.

موسى يتحدث عن غزوه ثانيه أطلق عليها اسم غزوه ذات الرقاع أيضا.

و لكننا فى قراره أنفسنا نشك فى وجود غزوه من هذا القبيل؛ فإنه يبعد أن يقوم بغزوه يكون قوامها سته نفر فقط لا غير!!.

و لعل المراد: أن الذين كانوا يعتقدون الجمل مع أبى موسى كانوا سته أشخاص، فى ضمن جيش كثيف يقوده النبى (صلى الله عليه و آله) فى غزوه ذات الرقاع.

من استخلف النبى صلى الله عليه و آله على المدينه!؟

يظهر من عدد من المؤرخين: أنهم يرجحون أن يكون النبى (صلى الله عليه و آله) قد استخلف على المدينه فى حال غيابه عنها إلى غزوه ذات الرقاع أبا ذر الغفارى، و ليس عثمان بن عفان. لأنهم ذكروا الأول بصوره طبيعیه، ثم عقبوا ذلك بالإشاره إلى توليه عثمان بلفظ قيل (١)، و إن ادعى ابن عبد البر: أن عليه الأكثر.

و قد ناقش فى أن يكون أبو ذر هو المتولى لها بأن أبا ذر لما أسلم رجع إلى بلاد قومه، فلم يجرى حتى مضت بدر و أحد، و الخندق (٢).

و لكن هذه المناقشه موضع نظر: ٤.

١- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٨ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤.

٢- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤.

أولاً: لأن ثمة ما يدل على قدوم أبي ذر إلى المدينة قبل الخندق، حيث إنه قد شهد على كتاب عتق سلمان و هو مؤرخ في السنة الأولى للهجرة (١).

ثانياً: هناك حديث آخر يذكر فيه أن أبا ذر كان حين قضيه سلمان في المدينة، و ذلك حين كان في حائط لمولاته، فجاء النبي (صلى الله عليه و آله) و على (عليه السلام)، و أبو ذر، و المقداد، و عقييل، و حمزه و زيد بن حارثة، و لم يكن سلمان يعرفهم.

ثم ذكر قصته معهم و العلامات التي وجدها في النبي (صلى الله عليه و آله)، و بعض أسانيد هذه الرواية صحيح فراجع المصادر (٢).

ثالثاً: يؤيد ذلك مؤاخاه النبي (صلى الله عليه و آله) فيما بين سلمان و أبي ذر (٣). ١.

١- ذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ٥٢ و تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠ و راجع كتاب العتق أيضا في: تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٩ و مجموعه الوثائق السياسييه ص ٣٢٨ عن الأولين و عن جامع الآثار في مولد المختار محمد بن ناصر الدين الدمشقي، و طبقات المحدثين بأصبهان ج ١ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ و نفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٢٠ و ٢١ عن تاريخ كزیده، و مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٠٩ عن أكثر من تقدم و قال: (و أوعز إليه في البحار عن الخرائج).

٢- راجع: البحار ج ٢٢ ص ٣٥٨ و إكمال الدين ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥ و روضه الواعظين ص ٢٧٦-٢٧٨، و الدرجات الرفيعه ص ٢٠٣ عن إكمال الدين و نفس الرحمن ص ٥ و ٦ و ٢٢ عن إكمال الدين، و الراوندى في قصص الأنبياء، و روضه الواعظين، و الحسين بن حمدان، و الدر النظيم.

٣- راجع: بصائر الدرجات ص ٢٥ و الكافي ج ١ ص ٣٣١ و ج ٨ ص ١٦٢ و الغدير ج ٧ ص ٣٥ عنهما. و إختيار معرفه الرجال ص ١٧ و البحار ج ٢٢ ص ٣٤٣ و ٢٤٥ و مصابيح الأنوار ج ١ ص ٣٤٨ و قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٨ و نفس الرحمن ص ٩١.

إلا أن يدعى: أنه إنما آخى بينهما بعد غزوه الخندق فلاحظ!.

رابعاً: إن ما ذكره إنما يتم بناء على ما قيل من أن غزوه ذات الرقاع قد كانت قبل غزوه الخندق، و أما بناء على ما هو الصحيح من أنها إنما كانت بعد خيبر، فلا يبقى محذور في أن يكون أبو ذر هو الذي ولي المدينة، بعد قدومه إليها بعد الخندق.

تضحيات عباد بن بشر:

و في غزوه ذات الرقاع نزل رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليلاً، و كانت ليله ذات ريح، و كان نزوله في شعب استقبله.

فقال: من رجل يكلؤنا هذه الليلة؟ فقام عبيد بن بشر أو عماره بن حزم، و قام أيضاً عمار بن ياسر، فقالوا: نحن يا رسول الله نكلؤكم.

و عباره البعض: انتدب رجل مهاجري، و آخر أنصاري فجلسا على فم الشعب، فقال عبيد لعمار: أنا أكفيك أول الليل، و تكفيني آخره، فنام عمار، و قام عباد يصلي.

و كان زوج بعض النسوة اللاتي أصابهن رسول الله (صلى الله عليه و آله) غائباً، فلما جاء و عرف ما جرى، تتبع الجيش، و حلف لا يثنى حتى يصيب محمداً، أو يهريق في أصحاب محمد دماً.

فلما رأى سواد عباد قال: هذا ربيته القوم، ففوق سهماً فوضعه فيه، فانترعه عباد، فرماه بآخر، فانترعه، فرماه بثالث فانترعه كذلك. فلما غلبه الدم أيقظ عماراً، فلما رأى ذلك الرجل عماراً جلس علم أنه قد نذر به فهرب.

فقال عمار لعباد: ما منعك أن توقظني له في أول سهم يرمى به؟

فقال: كنت أقرأ في سورة الكهف فكرهت أن أقطعها. أضاف في نص آخر: فلما تابع على الرمي أعلمتك.

و في نص آخر: أنه (صلى الله عليه و آله) جعلهما بإزاء العدو فرمى أحدهما بسهم و هو يصلى، فأصابه، و نزفه الدم و لم يقطع صلاته، ثم رماه بثان و ثالث و هو يصيبه و لم يقطع صلاته.

و يقال: إن عتادا قال معتذرا عن إيقاظ صاحبه: لو لا أنى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما انصرفت و لو أتى على نفسى (١).

و يقال: إن الأنصارى هو عماره بن حزم (٢).

قال الحلبي الشافعي: (و بهذه الواقعة استدل أئمتنا على أن النجاسة الحادثة من غير السيلين لا تنقض الوضوء؛ لأنه (صلى الله عليه و آله) علم ذلك و لم ينكره. و أما كونه صلى مع الدم، فلعل ما أصاب ثوبه و بدنه منه قليل. و لا ينافى ذلك ما تقدم فى الروايه قبل هذه: فلما غلبه الدم. إذ يجوز ٩.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و ٢٧٢ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و ١١٢ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٨ و ٢١٩ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٧ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٤ و ١٦٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٥ و ٨٦ و راجع السنن الكبرى ج ٩ ص ١٥٠ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٥٨ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٨.

٢- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٩.

مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه و لا بدنه إلا القليل منه (١).

تسجيل تحفظ:

و نحن و إن كنا لا نملك معطيات كثيره فى مجال البحث حول هذه القضية، إلا أننا نرتاب فى أن يكون الذى تعرض للسهام هو خصوص عباد بن بشر، لأننا نشعر من خلال مراجعه ما لدينا من نصوص حول هذا الرجل: أنه كان موضع اهتمام فريق خاص يعنى بتسجيل الكرامات له، فراجع ترجمته (٢).

كما أن ما ذكر آنفا لتصحيح صلاه عباد بالدماء ليس كافيا فى ذلك كما هو ظاهر.

مع الحدث فى مراميه و دلالاته:

إن من الواضح: أن حرب بدر بكل ظروفها، و أحداثها و ملابساتها قد أفنعت أهل الإيمان بأن الجهاد ليس مجرد إنجاز عسكري يتجلى و يتجسد.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢.

٢- الإصابه ج ٢ ص ٢٦٣ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٢ ص ٤٥٢-٤٥٦ و أسد الغابه ج ٣ ص ١٠٠ و ١٠١ و سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٣٧-٣٤٠ و فى هامشه عن المصادر التاليه: طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٦ و طبقات خليفه ص ٥٨ و تاريخ خليفه ص ١١٣ و التاريخ الصغير ص ٣٦ و الجرح و التعديل ج ٦ ص ٧٧ و مشاهير علماء الأمصار ص ١١٣ و الإستبصار ص ٢٢٠-٢٢٢ و تاريخ الإسلام ج ١ ص ٣٧٠ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ١ ص ١٥.

من خلال جهد يبذل في ساحة القتال، تتجلى فيه فاعليه السلاح المتفاعل مع عنصرى الشجاعه الذاتيه من جهه، و الطموح من جهه أخرى، حيث يرسم معالمهما جهد تربوى، و تعليمى، و شحن روحى و نفسى، بالإضافة إلى تأثير النواحي التنظيميه، و ما يتبع ذلك من تخطيط عسكري مستند إلى الخبرات الواسعه، و الدراسات المعمقه، إلى أن ينتهى الأمر بحسن الأداء، و الدقه فى التنفيذ و الالتزام.

إن حرب بدر ثم ما تلاها من حروب و أحداث، و كذلك ما سبقها من ذلك أيضا قد أقنعت أهل الإيمان: بأن الحرب ليست هى مجرد ما ذكرناه آنفا.

و إنما الحرب و الجهاد عباده و فناء فى ذات الله، و باب قد فتحه الله و لكن ليس لكل أحد، و إنما لخاصه أوليائه، حيث يخرج من عالم و يدخل من ذلك الباب إلى عالم جديد بكل ما لهذه الكلمه من معنى. يعبر الإنسان فيه بوابه الموت ليصل إلى الحياه، و هى الحياه الحقيقيه التى يصبح فيها هؤلاء الأموات الأحياء شهداء على الناس؛ لأنهم أصبحوا قادرين على فهم الواقع بعمق، و من دون أية حواجز و موانع تقلل من درجه الإدراك، سواء كانت تلك الحواجز ماديه- و لو كانت هى نفس الوسائل التى يستخدمها الإنسان للحصول على العلم بما يحيط به من حوله- أو كانت من نوع الشهوات و الأهواء، و غيرهما مما يمنع من إدراك الأشياء على حقيقتها. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٩ ٣٣٦ مع الحدث فى مراميه و دلالاته:

يهدف إلى تسديد الضربه إلى الإسلام و المسلمين، أو

يهدف إلى سلب الإنسان المسلم حريه الرأى و حريه الاعتقاد، و حريه التفكير، و حريه الممارسه.

و لأجل هذه السنخيه بين الصلاه و بين الجهاد، فإننا لا نستغرب بعد هذا أن يكون أولئك المجاهدون، الذين يقفون فى موقع متقدم لحمايته من الأعداء، تنصرف همتهم فى هذه المواقع بالذات إلى ممارسه الجهاد الأصغر، و التربيه النفسيه عن طريق ترويض النفس، و تربيتها بالصلاه التى هى عمود الدين.

فتكون الصلاه و العبادات هى الشغل الشاغل لهم فى هذه المواقع بالذات، حيث يرون أنفسهم فيها فيما بين الدنيا و الآخره، فتلين قلوبهم، و تصبح نفوسهم أكثر شفافية و صفاء، و يصبحون أكثر شجاعه و صبرا و تحملا- للمكاره .. و ما قصه عياد و عمار المذكوره إلا شاهد صدق على ما نقول.

٢- إننا نلاحظ: أن الرجل الذى استهدفه ذلك المشرك بسهامه لم يوقظ رفيقه لانهماه أمام سهام ذلك العدو الغادر، و إنما من إحساسه بالمسؤوليه تجاه ما كلفه به النبى (صلى الله عليه و آله). فهو يوقظه لأنه يريد مواصله الصمود بذلك، لكى لا يضيع ثغرا من ثغور المسلمين. أى أنه لم يوقظه ليستعين به على الدفع عن نفسه، و ليجد فيه قوه له كفرد، و إنما أرادته ليحفظ الإسلام و ثغوره.

قصه غورث بن الحارث:

و يذكر المؤرخون و المحدثون هنا قصه مفادها:

أنه حين تحصن بنو محارب فى رأس جبل فى غزوه ذات الرقاع قال لهم

غورث بن الحارث: ألا أقتل لكم محمدا؟!

قالوا: بلى، و كيف تقتله؟!

قال: أفتك به. أى يقتله على حين غفله.

فجاء إلى النبي (صلى الله عليه و آله) و سيفه (صلى الله عليه و آله) فى حجره، فقال: يا محمد، أرنى أنظر إلى سيفك هذا (و كان محلى بفضه) (١)، فأخذه من حجره؛ فاستله، ثم جعل يهزه، و يهيم به، فيكبته الله (أى يخزيه) ثم قال: يا محمد، أما تخافنى؟!

قال: لا، بل يمنعنى الله تعالى منك.

ثم دفع السيف إليه (صلى الله عليه و آله) فأخذه النبي (صلى الله عليه و آله) و قال: من يمنعك منى؟!

قال: كن خير آخذ.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله ..

قال: أعاهدك على أنى لا أقاتلك، و لا أكون مع قوم يقاتلونك.

قال: فخلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) سبيله؛ فجاء قومه، فقال:

جتتكم من عند خير الناس!!.

زاد فى بعض المصادر قوله: و أسلم هذا بعد، و كانت له صحبه (٢).ح-

١- راجع: البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٦.

٢- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٨ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧ و شرحه مطبوع معه بهامشه و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦٠ و أشار إلى ذلك أيضا فى: الوفاء ص ٦٩١ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٦ و فتح-

زاد فى نص آخر قوله: فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) صلاة الخوف فكانت للنبي (صلى الله عليه و آله) أربع ركعات، و للناس ركعتين (١).

و فى بعض نصوص الروايه: أنه لما هم غورث برسول الله (صلى الله عليه و آله) (منعه الله عز و جل لذلك، و انكب على وجهه، فنزلت: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ (٢) الآية.

و لهذه الروايه نص آخر: لا يختلف كثيرا عما ذكرناه فراجع (٣).

قال القسطلانى و غيره: (و ذكر الواقدى فى نحو هذه القصة: أنه أسلم، .

١- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٦.

٢- نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٠ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٣ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٣ و ١٦١ و ١٦٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٤ و ٨٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٨ و راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٦ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٢٢-٤٢٤ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٦ عن ابن جرير، و ابن إسحاق، و أبى نعيم فى الدلائل، و ابن المنذر، و عبد بن حميد و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦١.

٣- الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢ و نهايه الإرب ج ١٧ ص ١٦٠.

و رجع إلى أهله، فاهتدى به خلق كثير) (١).

قصة أخرى تشبه قصة غورث:

و هناك قصة أخرى يقال: إنها قد حصلت في هذه الغزوة أيضا، و هي تشبه قصة غورث. و قد استبعد البعض اتحاد القصتين، لاختلاف سياقهما.

و ملخصها: أنه (صلى الله عليه و آله) لما قفل راجعا إلى المدينة أدركته القائله يوما بواد كثير العظام، أى الأشجار العظيمه، التى لها شوكة، و تفرق الناس فى العظام يستظلون بالشجر، و نزل رسول الله (صلى الله عليه و آله) تحت ظل شجره ظليله.

قال جابر: تركناها للنبي (صلى الله عليه و آله)؛ فعلق (صلى الله عليه و آله) سيفه فيها؛ فمنا نومه فإذا رسول الله (صلى الله عليه و آله) يدعوننا؛ فجئنا إليه؛ فوجدنا عنده أعرابيا جالسا، فقال:

(إن هذا اخترط سيفى، و أنا نائم، فاستيقظت، و هو فى يده مصلتا، فقال لى: من يمنعك منى؟!

قلت: الله.

قال ذلك ثلاث مرات، فشم السيف، و جلس، فلم يعاقبه رسول الله).

و عند مسلم و البخارى، و فى فتح البارى: فهدده أصحاب رسول الله، فأغمد السيف و علقه (٢).ح-

١- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٣١.

٢- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠١ و ٢٠٢ و صحيح البخارى ج ٢ ص ١٠٠ و

١٠١ و ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥ و صحيح-

و فى روايه اخرى: (أنه جعل يضرب برأسه الشجره، حتى انتثر دماغه) (١).

زاد فى نص آخر قوله: (فأغمد السيف و علقه، فنودى بالصلاه، فصلى بطائفه ركعتين ثم تأخروا) و ذكر صلاه الخوف (٢).

و نص آخر يقول: (كان قتاده يذكر نحو هذا و يقول: إن قوما من العرب أرادوا أن يفتكوا بالنبي (صلى الله عليه و آله)؛ فأرسلوا هذا الأعرابي، و يتلو: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ .. (٣).

و نقول:

إننا نشك فى صحه هذه القصه و تلك، على حد سواء.

و نذكر القارئ: بأن هذه القصه تشبه قصه دعثور، التى يقال: إنها ٤.

١- شرح بهجه المحافظ ج ١ ص ٢٣٧ عن البغوى فى التفسير.

٢- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٥ عن صحيح مسلم.

٣- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٤.

كانت في غزوه ذي أمر، بل لقد قال البعض إنهما قضيه واحده (١).

كما أنها تشبه قصه عمرو بن جحاش، التي يقال: إنها قد حصلت في غزوه بنى النضير (٢).

وقد تحدثنا عن القصة الأولى في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

وأشرنا إلى الإشكال في الثانيه في فصل: الجزء الأوفى، تحت عنوان:

نزول آيه سوره المائده في بنى النضير.

و في الشفاء: (و قد حكيت مثل هذه الحكايه: أنها جرت له يوم بدر، و قد انفرد عن أصحابه لقضاء حاجته، فتبعه رجل من المنافقين، و ذكر مثله) (٣).

و نكتفي هنا بالإشاره إلى ما يلي:

أولاً: إن هذه القضايا لا- يمكن قبولها؛ لأنها تصور لنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) بصورة إنسان بسيط و ساذج، لا يفكر بعواقب الأمور، بل يخدعه أعرابي، دون أن يستعمل أى أسلوب متميز، بل هو لا يزيد على أن طلب منه أن يعطيه سيفه، لينظر إليه.٧.

١- راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٣١ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧.

٢- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٤ و راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦١ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ١٢١ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٥٥ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٦٤.

٣- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧.

و معنى ذلك هو أن هذا النبى، الذى يطلب من أى مؤمن عادى أن يكون كيسا و فطنا، و حذرا (١)، لم يلتزم هو بأبسط قواعد الحذر أو الكياسه و الفطانه، و قد أمر الله المؤمنين بالحذر فى صلاه الخوف، و أمرهم بذلك أيضا فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً (٢).

ثانيا: إن هذا النبى الكريم و العظيم (صلى الله عليه و آله) هو الذى أمر باتخاذ الحرس للجيش يطوفون به، و كان مواظبا على الاستعانه بهم، و الاعتماد عليهم فى غزواته (٣).

و أين كان عنه على (عليه السلام) الذى كان يتولى حراسته بنفسه، فى الحضر، و فى السفر، و كان فى حرب بدر و الحرب قائمه لا يزال يتفقد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى موضعه (٤)؟

١- راجع: الخصال ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٥٧ و البحار ج ٦٨ ص ٣٣٩ و ج ٦٤ ص ٣٠٧.

٢- الآية ٧٢ من سوره النساء.

٣- راجع فى جعل النبى الحرس أفرادا، و جماعات: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٦٠٢ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٩٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٢١ و شرح النهج للمعتزلى ج ٤ ص ٢٢٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ١٥١ و السيره النبويه لابن هشام ج ٢ ص ٢٨٠ و ج ٣ ص ٢٤٩ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٥٨.

٤- راجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ عن البيهقى، و عن النسائى فى اليوم و الليله و حياه الصحابه ج ١ ص ٥٠٢ عنه و عن كنز العمال ج ٥ ص ٢٦٧ عن الحاكم و البزار، و أبى يعلى، و الفريابى.

و كان هو المدافع عنه و الحامى له فى حرب أحد، و فى غيرها. و كان له فى مسجد النبى (صلى الله عليه و آله) أسطوانه أمام الحجره، يجلس إليها لحراسته (صلى الله عليه و آله) (١).

و زعموا: أن غير على (عليه السلام) أيضا كان يحرس النبى (صلى الله عليه و آله) (٢).

ثالثا: كيف يترك جيش بأكمله قائدهم، و نبههم وحيدا فريدا فى غابه، تكثر فيها المفاجئات، و لا يلتفت و لو واحد منهم إلى رجل يتسلل إلى موضعه (صلى الله عليه و آله)، حتى يهدد حياته بخطر أكيد؟ ثم ينجيه الله منه.

و هل نام الجيش بأكمله فى آن واحد؟!

رابعا: قد ذكرت بعض النصوص ما يفيد: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد صلى بأصحابه صلاة الخوف فى هذه المناسبه، مع أنه لم يكن - حسبما يستظهر من تلك النصوص - يواجه عدوا يخشاه، بل كان ذلك فى طريق عودته إلى المدينه.

و إن كان يظهر من بعض الروايات الأخرى: أن ذلك كان حينما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يواجه أعداءه فى غزوه ذات الرقاع.

خامسا: قد ذكرنا فيما سبق أن آيه: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ

١- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٨.

٢- الإصابه ج ٢ ص ٤٢٨ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٥٧ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٤ و الجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٥٠ و ٦٥١ و مسند أحمد ج ١ ص ٣٩١ و ٤٥٠ و ج ٤ ص ١٣٤ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٩٢ و ٣٩٣.

قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ (١)، قد وردت في سورة المائدة. و هي قد نزلت قبل وفاه النبي (صلى الله عليه و آله) بشهرين أو ثلاثه دفعه واحده على رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢).

إلا أن يدعى: تكرر نزول الآية، و هو يحتاج إلى إثبات، ما دام أنه لا يمكن إبقاء آيه معلقه بالهواء عدّه سنوات و القرآن ينزل، ثم تنزل سورة، فيأتي بها و يضعها فيها.

سادسا: الآية ذكرت: أن قوما قد هموا أن يبسطوا أيديهم لضرب المسلمين، و هي لا تناسب شخصا واحدا كما هو مورد البحث هنا. و من يدري، فقد تكون هذه الآية قد نزلت في الذين تأمروا على النبي (صلى الله عليه و آله) ليله العقبه، لينفروا به ناقته، و يقتلوه.

سابعا (٣): يلاحظ مدى التناقض فيما يرتبط بمصير هذا الرجل الذي تقول روايه: إنه ضرب رأسه بالشجره حتى انتثر دماغه، و أخرى تقول: إنه أسلم و اهتدى به خلق كثير.٤.

١- الآية ١١ من سورة المائدة.

٢- البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤٣٠ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٥٢ عن أحمد، و أبي عبيد في فضائله، و النحاس في ناسخه، و النسائي، و ابن المنذر، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه، و البيهقي في سننه، و الترمذي، و حسنه، و سعيد بن منصور، و ابن جرير. و ممن صرح أنها نزلت دفعه واحده كما في المصدر المتقدم: أحمد، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و الطبراني، و محمد بن نصر في الصلاه، و أبو نعيم في الدلائل و البيهقي في شعب الإيمان.

٣- راجع ما تقدم في السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و ٢٧٤.

و تناقض آخر: و هو أنه لما دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله) أصحابه، وجدوا رجلا جالسا عنده، فأخبرهم النبي (صلى الله عليه و آله) بما جرى له معه.

و فى روايه أخرى: أنهم تهددوه حتى أغمد السيف.

و فى النص الأول المتقدم: أنه رد السيف إلى النبي (صلى الله عليه و آله).

و فى نص رابع: أن جبريل دفع فى صدره فوق السيف من يده (١).

إلى تناقضات أخرى: يستطيع من يقارن بين نصوص الروايات أن يقف عليها، و يلتفت إليها.

ثامنا: لما ذا يعيد غورث بن الحارث السيف إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، حسبما ذكرته الروايه الأولى؟!!

هذا كله: عدا عن عدم معقوليته أن يضرب رأسه حتى ينتثر دماغه، سوف يغمى عليه من أول ضربه شديده يتعرض لها رأسه.

نقول ذلك كله: مع أننا على يقين من أن من الممكن أن يتسلل بعض الناس إلى جهة النبي (صلى الله عليه و آله)، فى ظروف معينه. و لكن بغير هذه الطريقه و ليس على حساب كرامه النبي (صلى الله عليه و آله)، حين يكون الهدف هو النيل من شخصيته بصوره أو بأخرى.

القصة الأقرب إلى القبول:

و نعتقد: أن القصة الأقرب إلى القبول هى ما رواه أبان، عن أبى بصير، .

عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

(نزل رسول الله (صلى الله عليه و آله) في غزوه ذات الرقاع تحت شجره، على شفير واد، فأقبل سيل، فحال بينه و بين أصحابه، فرآه رجل من المشركين، و المسلمون قيام على شفير الوادى ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمدا.

فجاء و شد على رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالسيف، ثم قال: من ينجيك منى يا محمد؟.

فقال: ربى و ربك، فنسفه جبرئيل (عليه السلام) عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و أخذ السيف و جلس على صدره و قال: من ينجيك منى يا غورث؟!

فقال: جودك و كرمك يا محمد. فتركه، فقام، و هو يقول: و الله، لأنت خير منى و أكرم) (١).

كيف نفهم هذه القصة!!

و بعد .. فإنه إذا كان لهذه القصة أصل، و قبلنا منها ما يتوافق مع الضوابط العامه، و مع النظرة الواقعيه لشخصيه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و مع الظروف التى كانت قائمه آنذاك،

و بعد أن تصبح عناصر القصة فى حدود المعقول و المقبول، فإننا إذا أردنا أن نستفيد منها فى مجال التقييم و التقويم، فإن ما يمكن أن نقوله هو: ٩.

إن الله لم يزل يرعى نبيّه، و يظهر له المزيد من الكرامه، و يحوطه بألطافه، و يكلؤه، و يحفظه، و يصونه.

و يلفت نظرنا هنا: تأثير جواب النبي (صلى الله عليه و آله) لذلك الرجل بأن الله هو الذى يمنعه منه، فى ظرف لم يكن ذلك الرجل يفكر بالله سبحانه، و لا يخطر فى باله أن يتدخل الله فى موقف كهذا لنصره أى من الفريقين، و رأى من ثقه النبي (صلى الله عليه و آله) بالله و اعتماده عليه حتى إنه لم تتطرق ذره من الخوف إلى قلبه الشريف حتى فى موقف كهذا- رأى من ذلك ما أربعه، و هز كيانه، و أثار أمامه أكثر من سؤال، فتزعزعت الثوابت التى كانت تتحكم فى كيانه و تهيمن على وجوده. فلم يعد ثمه ما يحمى له قراره بقتل محمد، و أصبحت اليد الممدوده ليس لها مدد من إرادته، و لا رافد من عزيمته، فكان من الطبيعى أن تسقط، و يسقط السيف الذى كانت تحمله.

ثم لما رأى السيف فى يد النبي (صلى الله عليه و آله)، و رجع إلى كيانه و وجوده، فرآه موزعا و خاويا، و راجع حساباته كلها، فرأى أنه لا يملك أى رصيد يخوله أن يعتمد عليه، و يستند إليه، كان لا بد له من الاعتراف بأن لا أحد يمنع أو يدفع عنه، فما دام الله ليس معه، فإنه لا أحد معه، و هذه حقيقه لا بد من الاعتراف بها و الانصياع لها قبل فوات الأوان، و هكذا كان.

ص: ٣٤٩

الفهارس

١- الفهرس الإجمالي

٢- الفهرس التفصيلي

١- الفهرس الإجمالى الفصل الرابع: دلالات و عبر ٥- ٣٠

الباب الخامس: غزوه بنى النضير الفصل الأول: النصوص و الآثار ٣٣- ٦٢

الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول ٦٣- ١١٠

الفصل الثالث: القرار و الحصار ١١١- ١٧٠

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى ١٧١- ٢٣٢

الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء ٢٣٣- ٢٦٤

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى ٢٦٥- ٣٠٨

الباب السادس: حتى الخندق الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث ٣١١- ٣٤٨

الفهارس ٣٤٩- ٣٦٠

٢- الفهرس التفصلى الفصل الرابع: دلالات و عبر يكفينك الله، و ابنا قبله: ٧

النبي صلى الله عليه و آله يحمل أبا براء المسؤولىه: ٨

شرف التواضع .. و ذل الغطرسه: ٩

الرسلا لا تقتل: ١٠

ديه الرجلين، لما ذا؟! ١٢

الأفق الضيق: ١٣

خلافه النبوه: ١٤

المشركون فى مواجهه الوجدان: ١٦

رفضه صلى الله عليه و آله هديه ملاعب الأسنه، منطلقاته، و دلالاته: ١٧

المنطق القبلى مرفوض فى الإسلام: ٢٠

مصير زيد بن قيس، و ابن الطفيل: ٢١

فزت و الله: ٢١

الباب الخامس: غزوه بنى النضير الفصل الأول: النصوص و الآثار تمهيد ضرورى: ٣٥

نص ابن كثير: ٣٨

قصه عمرو بن سعدى القرظى: ٤٨

القتال .. فى بنى النضير: ٥١

نصوص أخرى حول قضيه بنى النضير: ٥٣

ليخبرن بما هممتم به: ٥٨

الفصل الثانى: قبل أن تدق الطبول بدايه: ٦٥

الاختلافات الفاحشه: ٦٥

تاريخ غزوه بنى النضير: ٦٦

تذكير بما سبق: ٦٩

تهافت ظاهر: ٧٦

سبب غزوه بنى النضير: ٧٦

روايه لا يعتمد عليها: ٨٢

نقض العهد .. و التكبير: ٨٣

نقض العهد و المؤامره: ٨٥

المعاهدات فى الإسلام: ٨٦

من عهد الأشر: ٨٧

الوفاء بالعهد: ٩٠

الشرط الأساس فى كل عهد: ٩٠

العهود لا تنقض، و هى ملزمه للجميع: ٩١

إحترام أمور المعاهدين: ٩٣

المعاهدون لا يجفون و لا يقصون: ٩٣

العهد .. و الحذر: ٩٥

الخيانه فى حجمها الكبير: ٩٦

الوفاء بالعهد ضروره حيايه: ٩٧

الغدر عجز، و عدم ورع: ٩٨

الغادر هو الذى يعاقب: ٩٩

السلاح فى أيدي المعاهدين: ٩٩

موقف له دلالاته: ١٠٠

وفاء اليهودى هو الغريب المستهجن: ١٠٢

الجرأه و مبرراتها: ١٠٤

التصوير الحاقد، و التزوير الرخيص: ١٠٧

مزيد من التجنى: ١٠٨

الفصل الثالث: القرار و الحصار القرار الحكيم: ١١٣

لما ذا كان الرسول صلّى الله عليه و آله أوسيا؟: ١١٥

حامل اللواء: ١١٧

الفتح على يد على عليه السلام: ١٢٠

١- الحكمه .. و المعجزه: ١٢٢

٢- الشعور بالمسؤوليه: ١٢٣

٣- الأسرار العسكريه: ١٢٣

٤- دراسه شخصيه العدو: ١٢٤

٦- العمليات الوقائية: ١٢٥

٧- إرهابيات: ١٢٥

٨- الفتح على يد علي عليه السلام: ١٢٦

٩- قتل قائد المجموعه: ١٢٧

١٠- الإشكال فى شعر حسان: ١٢٧

تحديد المواقع: ١٢٨

١- بنو النضير شرقى المدينه: ١٣٠

مناقشه للسهمودى لا تصح: ١٣٤

مناقشه أخرى وردها: ١٣٥

٢- قرب بنى خطمه إلى بنى النضير: ١٣٥

خلافه أخيره: ١٣٩

مناقشه مع الواقدى: ١٣٩

قطع النخل، أو حرقه: ١٤٠

عدد النخلات المقطوعه؟! ١٤٢

تفاصيل أخرى فى حرق و قطع النخيل: ١٤٣

١- لما ذا ابن سلام؟! ١٤٥

٢- شكوك تصل إلى حد التهمه: ١٤٥

البعض لم يفهم الآيه: ١٤٦

٣- الحرق أم القطع؟! ١٤٧

الحكم الفقهي في قطع الأشجار و حرقها: ١٤٧

حرق النخيل، و الفساد في الأرض: ١٤٨

جواب السهيلي، لا يصح: ١٥٠

ضروره قطع الأشجار، و حرقها: ١٥٦

المهاجرون!! و قطع النخل: ١٦١

التصويب فى الاجتهاد: ١٦٥

هذا الشعر لمن؟! ١٦٧

الفصل الرابع: الجزاء الأوفى تحسبهم جميعا، و قلوبهم شتى: ١٧٣

اليهود و المنافقون لا ينصرون حلفاءهم: ١٧٦

يخربون بيوتهم بأيديهم: ١٧٨

نجاف الباب و وصيه موسى: ١٨١

روايات غير موثوق بصحتها: ١٨٢

لأول الحشر: ١٨٣

سبب إخراج عمر لليهود: ١٨٩

دعاوى لا تصح: ٢٠١

الروايه الأقرب إلى القبول: ٢٠٣

لا إكراه فى الدين: ٢٠٣

إلى خير، أم إلى الشام؟ ٢٠٥

السلاح للمؤمنين فقط: ٢٠٧

حزن المنافقين: ٢٠٨

نماذج مثيره: ٢١٠

حسان بن ثابت يتعاطف مع اليهود: ٢١٠

ص: ٣٥٨

روايه شاذه لابن عمر: ٢١٣

روايه اخرى تحتاج الى اصلاح: ٢١٤

بنو النضير بمنزله بنى المغيره: ٢١٥

ملاحظه: ٢٢١

نزول آيه سوره المائده فى بنى النضير: ٢٢١

الترييه القرآنيه: ٢٢٢

الله هو الذى اخرجهم: ٢٢٣

العز، و الذل .. بماذا؟ ٢٢٥

مبالغات لا مبرر لها: ٢٢٦

صلاه الخوف فى بنى النضير: ٢٢٩

تحريم الخمر فى غزوه بنى النضير: ٢٢٩

الفصل الخامس: كى لا يكون دوله بين الأغنياء الخيانه و الفداء: ٢٣٥

أموال بنى النضير فى النصوص و الآثار: ٢٣٥

أموال بنى النضير لم تخمس: ٢٣٩

توضيحات للواقدي: ٢٤١

ألف: التعبير ب (صدقات) و (صوافى): ٢٤١

ب: حبائل ماكره اخرى: ٢٤٢

أموال بنى النضير فى ء أم غنيمه؟ ٢٤٤

الجواب الأمثل: ٢٤٦

ص: ٣٥٩

حكايه قسمه الأراضى: ٢٤٨

محاسبات دقيقه: ٢٤٩

المستفيدون من أراضى بنى النضير: ٢٥٣

نصان غير متوافقين: ٢٥٦

كى لا يكون دوله بين الأغنياء ٢٥٧

لما ذا اختص ذوو القربى بالخمس و الفى ؟ ٢٦١

الفصل السادس: أراضى بنى النضير و الكيد السياسى الغاصبون: ٢٦٧

نص الروايه: ٢٦٧

المؤاخذات التى لا محيص عنها: ٢٧٣

سؤال .. و جوابه: ٢٨٥

الانتصار لرسول الله صلى الله عليه و آله، أم لعمر الفاروق؟! ٢٩٤

يحسبهم الجاهل أغنياء: ٢٩٦

الزهد .. الحريه: ٣٠٣

الزهراء عليها السلام .. فى مواجهه التحدى: ٣٠٤

لما ذا لم يسترجع على عليه السلام ما اغتصب؟! ٣٠٨

الباب السادس: حتى الخندق الفصل الأول: غزوه ذات الرقاع .. تاريخ و أحداث بدايه: ٣١٣

الرصد الدقيق: ٣١٣

نتائج و آثار: ٣١٤

ص: ٣٦٠

غزوه ذات الرقاع: ٣١٦

نقاط لا بد من بحثها: ٣١٨

التسميه بذات الرقاع: ٣١٩

تاريخ هذه الغزوه: ٣٢١

الصحيح و المعقول: ٣٢٣

مؤيدات: ٣٢٧

لما ذا مؤيدات؟! ٣٢٧

كلام الدمياطى: ٣٢٨

دليل الرأى الآخر: ٣٢٩

غزوتان أم غزوه واحده: ٣٣٠

من استخلف النبى صلى الله عليه و آله على المدينه: ٣٣١

تضحيات عباد بن بشر: ٣٣٣

تسجيل تحفظ: ٣٣٥

مع الحدث فى مراميه و دلالاته: ٣٣٥

قصه غورث بن الحارث: ٣٣٧

قصه أخرى تشبه قصه غورث: ٣٤٠

القصه الأقرب إلى القبول: ٣٤٦

كيف نفهم هذه القصه؟! ٣٤٧

الفهارس:

١- الفهرس الإجمالي ٣٥١

٢- الفهرس التفصلي ٣٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩